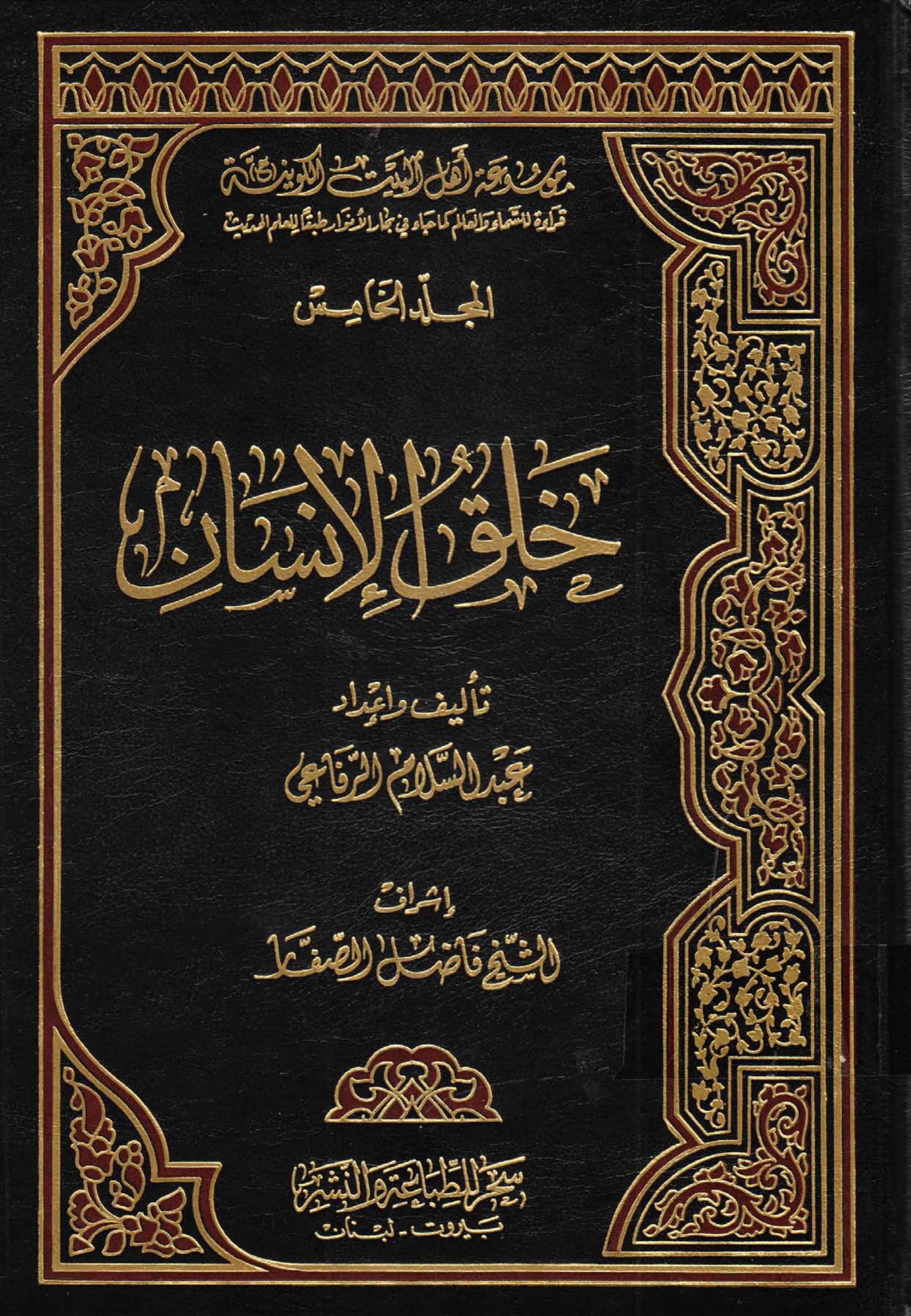


موسوعة أهل البيت (ع) الكونية
قراءة للسماء والعالم كما جاء في بحار الأنوار طبقاً للعلم الحديث
المجلد الخامس
خلق الإنسان
تأليف وإعداد
عبد السلام الرفاعي
إشراف
الشيخ فاضل الصفار
سحر للطباعة والنشر
بيروت - لبنان



موسوعة أهل البيت (ع) الكونية

قراءة للسماء والعالم كما جاء في بحار الأنوار طبقاً للعلم الحديث

المجلد الخامس

خلق الإنسان

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

مراكز التوزيع

لبنان : مؤسسة الفكر الإسلامي

ص ب ٥٩٥٣ / ١٣ بيروت ـ لبنان

هاتف ٢٢٣٦٨٣ ٣ ٠٠٩٦١ ـ ٦٤٨٢٧٠ ٣ ٠٠٩٦١

Email:Alfikr@ayna.com

سوريا : مكتبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

هاتف ٦٤١٧٩١٨ ١١ ٠٠٩٦٣ مقسم ١٠٩

إيران : مكتبة أهل البيت عليهم السلام

قم المقدسة ـ هاتف ٧٧٤٤٦٦٨

موسوعة أهل البيت (ع) الكونية

قراءة للسماء والعالم كما جاء في بحار الأنوار طبقاً للعلم الحديث

المجلد الخامس

خلق الإنسان

تأليف وإعداد

عبد السلام الرفاعي

إشراف

الشيخ فاضل الصفار

سحر للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

بسم الله الذي لا أرجو إلا فضله ولا أخشى إلا عدله ولا أعتمد إلاّ قوله ولا أمسك إلاّ بحبله الممدود من السماء إلىٰ الأرض محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن والحسين والأئمة المعصومين من ولد الحسين عليهم السلام.

والحمد لله الذي لم يُشهد أحداً حين فطر السماوات والأرض، الأوّل قبل الإنشاء والإحياء والآخر بعد فناء الأشياء، الذي جعل الليل لباساً والنوم سباتاً وأذهب الليل مظلماً بقدرته وجاء بالنهار مبصراً برحمته، الذي خلق فسوىٰ وقدّر وقضىٰ وأمات وأحيا وهو حيّ لا يموت.

اللّهم صلّ على سيد الانبياء والمرسلين محمد المصطفى وعلىٰ آله الأطهار أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة مدن العلم وسفن النجاة.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿...*قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين يهدي به الله من اتّبعَ رضوانه سُبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم*﴾[1].

لاشك إن القران الكريم معجزة في كل ما تحتاجه الحياة أو له علاقة بها من قريب أو بعيد، وكل ما تحتاجه الحياة موجود بين طياته، وأفصحت عنه آياته الكريمة؛ لانه ﴿*لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها*﴾[2]، فهو مصدر كل العلوم وشريعة كل الشرائع وقانون كل القوانين، مخبوءٌ بين دفتيه كنوز من العلم والمعرفة، وحلولٌ لكل المعضلات، وجواب لكل المسائل.

ومن معاجز القران انه لم يجعل لأحدٍ عليه سبيلاً، وما استطاع ان يأتي بمثله أحد ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، ولا استطاع أحد ان يحرّف ما جاء به ﴿*إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون*﴾[3] ولا ان يكذّب بما جاء به لانه ﴿*لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه*﴾[4] حمل بين طياته أسراراً ومعجزات من علوم ومعرفة تعاصر الحياة، وتتحدى علوم الماديين واللادينيين أن ينكروا شيئاً منه أو يحرّفوه أو يأتوا بمثله، وما توصلوا له اليوم من علوم أو ما يسمونه تقدم في بعض مجالات الحياة لم يكن إلاّ بنسبة عقولهم وما يحملونه من أفكار هي أقل من المطلوب بكثير فهي لم تصل إلى مستوى الكمال، قال تعالى: ﴿*وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً*﴾[5].

---

(١) سورة المائدة: الآيات ١٥ - ١٦.

(٢) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩.

(٤) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

كيف ينكـرون وجـود الله ويعزون خلق السماوات والأرض وما بينهما إلى الطبيعة أو إلى الصدفة أو إلى ما شاءوا من نظريات؟! يحرّفون بها الكَلِم عن مواضعه رغبة منهم في دنيا يصيبونها أو سلطان يحلمون به أو مخططات لا تفصح إلا عن فشلها أو خسرانها أمام أبسط ما قيل في كتاب الله وسنة نبيه محمدﷺ وآله الأطهار﷩ وهـم يضعـون النقـاط علـى الحـروف، ويبينـون للخلائق أجمعين كلّ ما غاب عـن عقولهم أو صعب على أفهامهم وفي كافة ميادين العلوم، فذلك الإمام علي بن أبي طـالب﵇ وهو ينادي القوم وبكل قوة واقتدار وإصرار على فتح أبواب العلم والمعرفة أمام بني البشر لِما حمَله منها الرسول الأعظمﷺ فيقول: «أيها الناس سلوني قبل ان تفقدوني؛ فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض»[1].

ولا عَجَب من ذلك فما قالهﷺ بشأنه: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها« لـهو شهادة بعظمة ما يحملـه وما يعرفه وما ورّثه لأبنائه وهـم مُدُن العلـم وسفن النجاة في كلّ ما يعرفونه وما يعلمونه، ففي حديث معنعنٍ يذكر أن الإمـام جعفر الصـادق﵇ حضر مجلس المنصور يوماً وعنده رجلٌ من الـهند يقـرأ كتب الطب، وبعد أن انصت لـه﵇ قال له: أتريد ممّا معي شيئاً؟ فبعد أخذٍ وعطاء وجّه له الإمام﵇ أسئلة فلم يجب، فأسدى له الكثير مـن العلـوم والنصائح حتى أذهل الهندي لِما رأى مما يحمله﵇ مـن العلـم والمعرفة، فقال له الهندي: من أين لك هذا العلم؟

فقال﵇: «أخذته عـن آبائي﵈ عن رسـول اللهﷺ عـن جبرئيل﵇ عن ربّ العـالمين «جلّ جلالـه» الـذي خلـق الأجسـاد والأرواح، فقـال الـهندي:

---

(١) شرح النهج: ابن أبي الحديد، خطبة ١٨٩.

صدقت، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وعبده وانك أعلم أهل زمانك.

ومن أجل كلّ هذا وذاك ارتأينا في بحثنا هذا أن نبيّن بعض الحقائق التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم وبيّنها رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، ومدى علاقتها بما أثبتته نتائج العلوم الحديثة، علماً أنّ تلك العلوم لن تبتعد قيد انملة فيما وصلت أو تصل إليه في تجاربها - الناجحة - عمّا ذكرته الشريعة السمحاء.

فمن هذه التجارب ما وصلت نتائجها وما تبهرجت به وأسمته بنظريات إلى بديهيات العلوم الدينية في القرآن والسنّة، ومنها ما زالت قيد البحث، فلو أخذوا بما قاله وبيّنه أهل بيت النبوة عليهم السلام لوفّروا على أنفسهم عناء التجربة والبرهان وفوات الزمن.

ومن هنا اعتمدنا آيات من القرآن الكريم، وأحاديث من السنة النبوية ذكرها العلامة المجلسي «قدس سره» في كتابه «بحار الانوار»، وقد اعتمدنا هذه الموسوعة العلمية لاحتوائها الكثير من أحاديث أهل البيت عليهم السلام وفي كافة جوانب الحياة وعلومها.

وما كان غرضنا من هذا العمل إلاّ لبيان قيمة ما نقله أهل البيت عليهم السلام في أحاديثهم ومناظراتهم، ونصائحهم التي قدّموها للبشر جميعاً وفي كافة العلوم رغم أنّ إمكانات التجربة العملية لم تكن بمستوى ما عليه اليوم، علماً أنّ ما قدّموه يفوق كل تصورات العلم الحديث وما توصلت إليه التجارب العلمية، وما ذاك بغريب فما جاءوا به عن آبائهم عن أجدادهم، عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أكّد صحته وصدقه ما قاله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٥.

وقد قسّمنا البحث هنا إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: يحمل عنوان «أطوار الخلق الإنساني» ويضم خمسة فصول: يتناول الفصل الأول منه موضوع أطوار التخلق الانساني من طور النطفة وحتى طور الجنين، ويبحث فيما أثبتته التجارب العلمية بوسائلها المخبرية قدرة الله تعالى وحكمته في هذا الخلق العجيب ، وتطابق كافة بحوثهم مع ما نقله الرسول الأعظمﷺ وأهل بيته الكرام في السنة الطاهرة وقبل ما يقارب من ١٤٢١ عاماً.

أما الفصل الثاني: فيتناول نظرة عامة في الحمل البشري من ناحية التنظيم والتشخيص الطبي أي في مواضيع متعددة كالإباضة وسن البلوغ وطبيعة الوظيفة التناسلية للنساء ،إضافة الى تشخيص الحمل من الناحية الطبيّة كما أشرنا فيه الى العلامات المحتملة والايجابية كدليل افتراضي على حدوث الحمل.

أما الفصل الثالث: فقد تناول حالات الجنين في رحم أمّه وطبيعة نموّه وما يمر به منظروف ليست بعيدة عن عناية الله تعالى وحمايته وتغذيته وما يتعرض له الجنين في فترة الحمل إلى حين الولادة .

والفصل الرابع: جاء بعنوان «النجاح والفشل التناسلي» وتضمن موضوعات عدّة في الرؤية الصحيحة للتناسل البشري ، كما أشرنا فيه أيضاً الى كيفيّة تنظيم الأسرة وطريقة استخدام وسائل منع الحمل ومن يحتاج الى ذلك ؟

أما الفصل الخامس: فيتناول العلاقات الجنسيّة في منظور الشريعة والطب وتناولنا فيه نبذة مختصرة عن تاريخ المرأة المسلمة وغير المسلمة والكثير من

العادات والتقاليد الناشئة في كلا المجتمعين وتنظيم العلاقات الجنسية إجتماعياً والإشارة الى الآثار المترتّبة عليها .

والباب الثاني: جاء بعنوان «ما به قوام بدن الانسان وتشريح أعضاءه» وقد تناول المرحلة الأخيرة من مراحل التطور الخلقي والتي وصفها الله تعالى في قوله: ﴿.. ثم أنشأناه خلقاً آخر..﴾[٨] في أربعة فصول: الفصل الأول منها تناول أسس قوام الانسان وبقاؤه وطبائعه، فأوضح باختصارٍ طبيعة الهيكل العظمي والعضلات والدم والبلغم معتمداً على ما نقلته أحاديث السنّة الشريفة، عن أهل البيتعليهم السلام، كما أشرنا فيه الى طبيعة الأعضاء التناسلية ووظائفها العمليّة إضافة إلى أهمية الجمجمة والشعر والأظافر.

أما في الفصل الثاني فقد تناولنا ما ذكرته السنّة الشريفة عن أهميّة ما أعطى الله تعالى للانسان من حواسٍ خمس وفوائدها، وعمق الحكمة الربانية في هذا الخلق العجيب، فبينّا بالطرق العلمية تشريح هذه الأعضاء، وطبيعة وظائفها العملية، ثم عرّجنا في الفصل الثالث إلى ما يكمل الفصل الثاني في بيان طبيعة وماهية الحاسة السادسة، وطبيعة العلاقة بين الدماغ والعقل.

أما الفصل الرابع فقد حمل عنوان «الروح» وتناول جوانب متعددة في ماهية الروح ومحاولات العلم الحديث من الحصول على منفذ لمعرفة هذه الماهية وكنهها، وتطرق إلى الكثير من المواضيع ذات العلاقة كالنوم والأحلام وتفسيرها علمياً، وكان كل ذلك مصحوباً بما تدلّ عليه الآيات القرانية من بيان وتحدٍّ في أمور لا يستطيع العقل البشري من الوصول إليها ﴿وما اوتيتم من العلم إلاّ قليلا﴾[٩].

---

(٨) سورة النجم: الآية ٤.

(٩) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

والباب الثالث: من هذا الكتاب كان بعنوان «الصحة العامّة في القرآن الكريم» وما للقرآن من دور فاعل في هذا المجال، حيث كان سبّاقاً في بيان أهم الأسس التي يقوم عليها بناء الصحة المتكامل على مستوى الفرد والمجتمع.

راجين من الله تعالىٰ أن يتقبّل هـذا القليـل،
ومن القارئ الكريم الصفح عن كل ما يعتريه من نقص وعدم بيان - لتشعّبات تلك المواضيع ووسع مجالاتها بما لا يكفيه كتاب - أو هفوة لم تكن مقصودة. وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الباب الأوّل

«أطوار التخلّق الإنساني»

الفصل الأوّل

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾

- تسمية الإنسان
- السُلالة
- طور النُطفة
- طور العَلَقة
- طور المُضغة والعظام
- الخلايا المُضغية وحكمة الله
- طور الجنين
- الإنشاء في القرآن

تسمية الإنسان:

ورد في القران الكريم لفظ الإنسان فـي أماكن متعـددة من آياتـه الكريمة دالاً على ذلك المخلـوق الـذي احتباه الله تعـالى بأشرف وأثقـل مهمـة، وهـي خلافته تعالى ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

ولما ثَبُت هذا اللفظ لذلك المخلوق، جال في خواطرنا سؤال نستفهم من خلاله عن حقيقة معينة تفتح لنا الأبواب الموصدة لمعرفة أسرار كثيرة وضعها الله تعالى فـي هـذا المخلـوق العجيب والـذي لا يعرف كنهه إلاّ هـو، وأما ما وصل إليه العلم الحديث عن بعض حقائقه فما هو إلاّ غيضٌ من فيض.

وسؤالنا هو: لماذا سمي الانسان انساناً؟!.

وللجواب على ذلك: ذكر العلامة المجلسي‏ في كتابه (بحار الانوار): ان هذه التسمية انما جاءت مناسبة لما يتمتع به هذا المخلـوق من صفات ربما لا تتواجد في مخلوقات أخرى، كصفة (النسيان) أو فقدان الذاكرة التي تؤدي به إلى فقدان ما يروم التفكير فيه سواء بصورة مؤقتة أو دائمة، وهذا ما يسمى بالنسيان، وهنا لابد من الإشارة إلى ان مثل تلك الحالة لا يبعد ان تكون نوع من انواع الأمراض التي تصيب الانسان والتي ربما توقعه يوماً في حالة من حالات الحرج سواءً مع نفسه أو غيره في المجتمع، وقد ذهـب الكثير من الاختصاصيين من أطباء وغيرهم في بحوث وتجارب كثيرة لأجل وضع حدٍّ أو علاج لهذه الحالة ولكن دون جدوى من الوصول إلى حلٍّ نهائي لهذه المشكلة.

فهل هي من الأمراض المستعصية التي تضر الانسان؟ أم انها جزءٌ من رحمته تعالى لهذا المخلوق الذي وصفه بقوله تعالى: ﴿وصوركم فأحسن

صوركم﴾[1] لما دلّت عليه تلك الآية من تمام قدرته تعالى وكمال حكمته، حيث ركّب فيه انواع البدائع من غير آلة ولا كلفة!.

ورغم كون هذه الحالة هي حالة مرضية، فلابد من القول بانها لا تخلو من فائدة عظيمة تعود على الانسان بمنافع كثيرة لما يمر به من ظروف وحالات لو بقي يتذكرها دائماً لزاغت به عن هدفه الأسمى في هذه الحياة المليئة بالمتناقضات والمخاطر والمآسي والآلام، ولأودت بحياته في مهاوي اليأس والحزن والمرض الذي ربما يفقده دوره في بناء المجتمع أو حتى بناء نفسه.

وأما لو حاول النسيان أو اعتراه ذلك الذي نسميه مرضاً، فسنجده أسرع في مواصلة الحياة في مجالاتها الأخرى، وأكثر في الحفاظ على نفسه ومتعلقاته وسلامتها من كل ما يحاول هدمها أو السير بها نحو الهاوية.

أطوار التَخَلّق الإنساني

قال تعالى: *﴿مالكم لا ترجون لله وقارا ❖ وقد خلقكم أطوارا﴾*[2].

لم يكن في وارد تفكيرنا ان نستعرض كل الآيات القرانية أو الأحاديث النبوية المختصة ببيان مراحل التطور الخلقي للانسان، بل اختيار النخبة الدالة على ذلك تكفي من أجل بيان القدرة الإلهية بهذا الخصوص وبما لا يتعارض مع تطور العلوم الحديثة، والتي أخذت هي الأخرى تثبت صحة ذلك لمن راوده الشك أو خالج أفكاره مما يبعده عن الحقيقة الواضحة والجلية والتي صورها الله في كتابه - القران - حينما انزله على رسوله محمد صلى الله عليه وآله قبل ١٤٢٠ عاماً، وهو يبين للناس جميعاً إعجازه للخلق في نشأته وطرائق تطوره وما

---

(١) سورة التغابن: الآية ٣.

(٢) سورة نوح: الآيات ١٣ ـ ١٤.

يؤول إليه في آخر مراحله، واصفاً ذلك في قوله تعالى لأولي الألباب: ﴿***يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجلٍ مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً***﴾[(١)].

وقال تعالى في آية أخرى:

﴿***ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ❖ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ❖ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ❖ ثم انكم بعد ذلك لميتون ❖ ثم انكم يوم القيامة تبعثون***﴾[(٢)].

ثم ذكر سبحانه وتعالى مثل ذلك في آيات أخر سوف نستعرضها في حينها.

فلو تمعّن رواد العلم الحديث والمتخصصون في علم الأجنة Embryology خاصة في تلك الآيات البينات، وما أظهره الله سبحانه فيها من حكمته وعلمه وقدرته، لأفصحوا جلياً بان كل ما توصلوا إليه من العلوم الحديثة ما هي إلاّ مصاديق لما فصّله الله تعالى من العلوم في تلك الآيات الكريمة، وانه ما من خطوة يخطوها العلماء نحو التقدم والرقي في هذا المجال إلاّ وله أساس وبداية وتفسير واضح قد سبق ذكره في كتاب الله عز وجل قبل ١٤٢٠ عاماً.

وما تفرّد به كتاب الله عز وجل بهذا الخصوص هو اختياره لألفاظ لم يسبق للبشرية اختيارها أو معرفتها، كما لم يستطع العلم الحديث إلاّ ليستخدمها في علومه وبحوثه نحو التطور والرقي ومعرفة حقائق الأمور، كالألفاظ الدالة على مراحل التطور الخلقي للانسان من نطفة، وعلقة ومضغة.

---

(١) سورة الحج: الآية ٥.

(٢) سورة المؤمنون: الآيات ١٢- ١٦.

وقبل الدخول في هذه المراحل لابد من بيان ماهية خلق الانسان والإشارة إلى نوع المادة التي خلق منها، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ومن آياته ان خلقكم من تراب﴾[2] وقال تعالى: ﴿وبدا خلق الإنسان من طين﴾[3] إلى غيرها من الآيات المبينة للمادة الأولى التي ابتدأ الله سبحانه بها خلق الانسان اعتبارا من آدم ﷺ باعتباره أصل البشر. ففي البعض أشار إلى التراب، وإلى الماء في البعض الآخر، كما أشار إلى مزجهما وتجانسهما كما في الطين.

وان ما أكده العلماء سواءً في العصور الغابرة، أو في الوقت الحاضر يدل على ذلك، فلو تتبعنا حالة الانسان بعد موته فيما يؤول إليه جسده، نلاحظ ان هذا الجسد يحتوي على مواد تعرف بالأجسام الحالة Lysosomes وتكون هذه الأجسام على شكل حويصلات داخل هيولى الخلايا الجسمية، تتحرر بعد الموت بعد ان يتحلل أولاً الغلاف المحيط بها، وتقوم بإعادة المادة التي كونت الخلايا الجسمية إلى مادة أولية بسيطة جداً، وبمساعدة عمل الأحياء المجهرية المحللة المتواجدة في الهواء الخارجي والتربة وعمل بعض الحشرات التي تقتات على بنية الانسان الجسدية فتقوم بتحويل ذلك إلى مواد نيتروجينية بسيطة تغذي التربة، وتعتبر هي المادة الأساسية المتواجدة على وجه الأرض والتي هي إحدى مركباتها.

---

(١) سورة الانعام: الآية ٢.

(٢) سورة الروم: الآية ٢٠.

(٣) سورة السجدة: الآية ٧.

السُلالة:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ولقد خلقنا الانسان من سُلالة من طين..﴾[١] وأشار العلامة المجلسي تتئ إلى المعنى المراد من قوله تعالى ﴿من سُلالة﴾ أي: «من خلاصةٍ سُلَت من بين الكدر»[٢].

أما معنى السلالة في اللغة: فهو ما انسلّ من الشيء وانتزع منه برفق، فهي إذاً الحيوان المنويّ في ماء الرجل والبويضة في ماء المرأة؛ إذ انه من بين مئات الملايين من الحيوانات المنوية التي توجد عادة في نطفة الرجل، ينسلّ حيوان واحد فقط منها كلها ليلقّح بويضة المرأة التي تنسلّ هي بدورها من حويصلة البويضة؛ لتلتقي بسلالة الرجل في انبوب الرحم، وبذلك تنشأ البويضة الملقّحة، ويبدأ الحمل[٣].

ولأهمية هذا الموضوع لابدّ لنا من بعض التفاصيل العلميّة المبسّطة عن سلالة المرأة والرجل وهي كالآتي:

١- سلالة الرجل: يوجد في منيّ الرجل المخصّب من ٥٠ مليون إلى مائة مليون سلالة في المليليتر الواحد، لا يصل منها إلى سلالة المرأة إلاّ بضع مئات أو آلاف، أما البقية فتموت، لكنها تلعب دوراً في عمليّة التلقيح، لذا فان نسبة الخصوبة في ماء الرجل تعتمد على عدد السلالة فإذا كان العدد أقل من عشرين مليوناً في المليليتر الواحد، يعتبر عند ذلك قليل الخصوبة أوغير مخصّب.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٢.

(٢) بحار الانوار: ٥٧ /٣٢٣.

(٣) من علم الطب القراني: ٣٧ ـ ٤٠.

وسلالة الرجل تبدو تحت المجهر مثل جُسيم طوله ٥٠ مكروناً[١] ذي رأس مدبّب منتفخ من طرفه الأمامي، وله ذنب طويل ذو حركة شبه لولبيّة تمكّنه من السباحة في السائل المنوي والتحرّك السريع في الأعضاء الجنسيّة عند المرأة، حتى يصل إلى الثلث الخارجي من انبوب الرحم حيث يلتقي بسلالة المرأة، فيحصل التلقيح والحمل.

والتجارب الحديثة أثبتت ان السلالات المنوية تقطع هذه المسافة الطويلة جداً في الأعضاء الجنسية عند المرأة في خمس دقائق، وبعضها في خمسين دقيقة، وأما المسافة بين مهبل المرأة حيث يقذف المني عادة، والمكان الذي يتم فيه التلقيح في انبوب الرحم، فلا تتجاوز عشرين سنتيمتراً تقطعها سلالة الرجل عادة في خمس دقائق أو خمسين دقيقة حسب قوّتها وحيويّتها، فتكون سرعة السلالة في الدقيقة الواحدة بين ٤ - ٤٠ مليمتراً، علماً ان طولها لا يتجاوز جزءاً من عشرين من المليمتر[٢].

٢- سلالة المرأة: في أواسط الدورة الشهرية يقذف مبيضا المرأة بالسلالة أي ببويضة المرأة، نتيجة نضوج ثم انفجار إحدى الحويصلات التي تحوي سلالة المرأة، فيتلقّفها بوق انبوب الرحم.

وسلالة المرأة خليّة واحدة هي من أكبر خلايا الجسم، وتبدو تحت المجهر مستديرة الشكل كالبدر الكامل، محاطة بطبقتين من الخلايا التي تحميها، كما تسبح في بضعة مليليترات من الماء الحويصلي الذي يقذف معها نتيجة انفجار حويصلتها، والسلالة مع طبقتي الخلايا التي تحيط بها والماء الذي تسبح فيه تشكّل ماء المرأة أو نطفتها.

---

(١) كل ألف مكرون يساوي مليمتراً واحداً.

(٢) المصدر السابق: ٧٢ -٧٥.

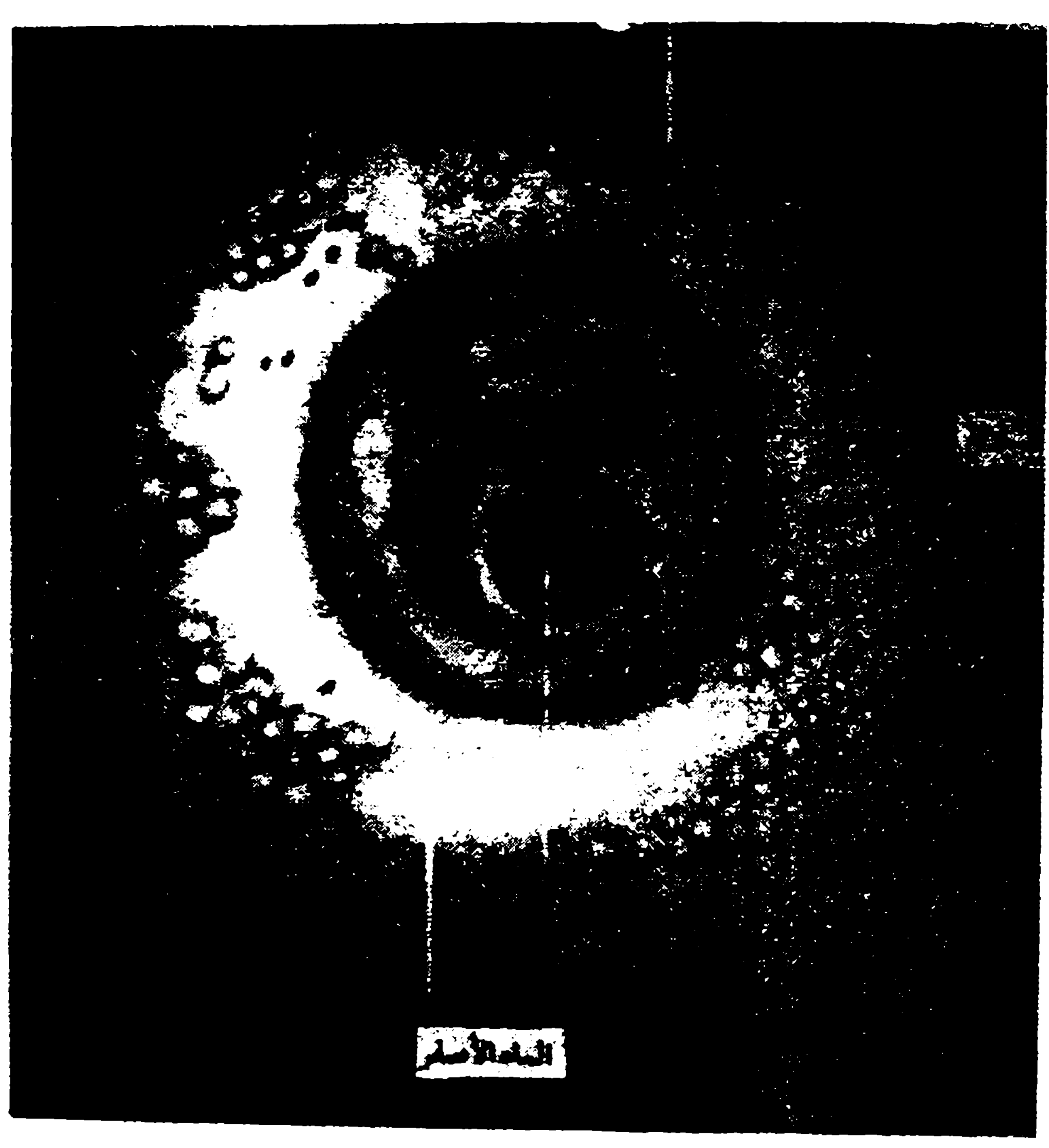
أما لماذا تنضج سلالة واحدة من بين آلاف السلالات الموجودة في المبيض، وتخرج دورياً كل شهر؟ فالعلم لم يكشف أبعاد ذلك بعد، وأما العمليات الهرمونية الكيميائية المعقّدة التي تتدخّل في نضجها وانفجار حويصلتها وانتقالها إلى بوق الرحم، فهي من أجمل وأصعب وأعقد العمليات الوظيفية، وتهمّ المختصين فقط[1].

والعقلاء من علماء الأحياء اليوم يقرّون بانه ليس باستطاعة العلم ان يخلق جزءاً من نواة خليّة رغم معرفتهم بكثير من دقائق تركيبها، ومن هنا نفهم معنى التحدّي القراني القائم إلى يوم الدين في قوله تعالى: ﴿*أفرايتم ما تمنون ❖ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون*﴾[2].

---

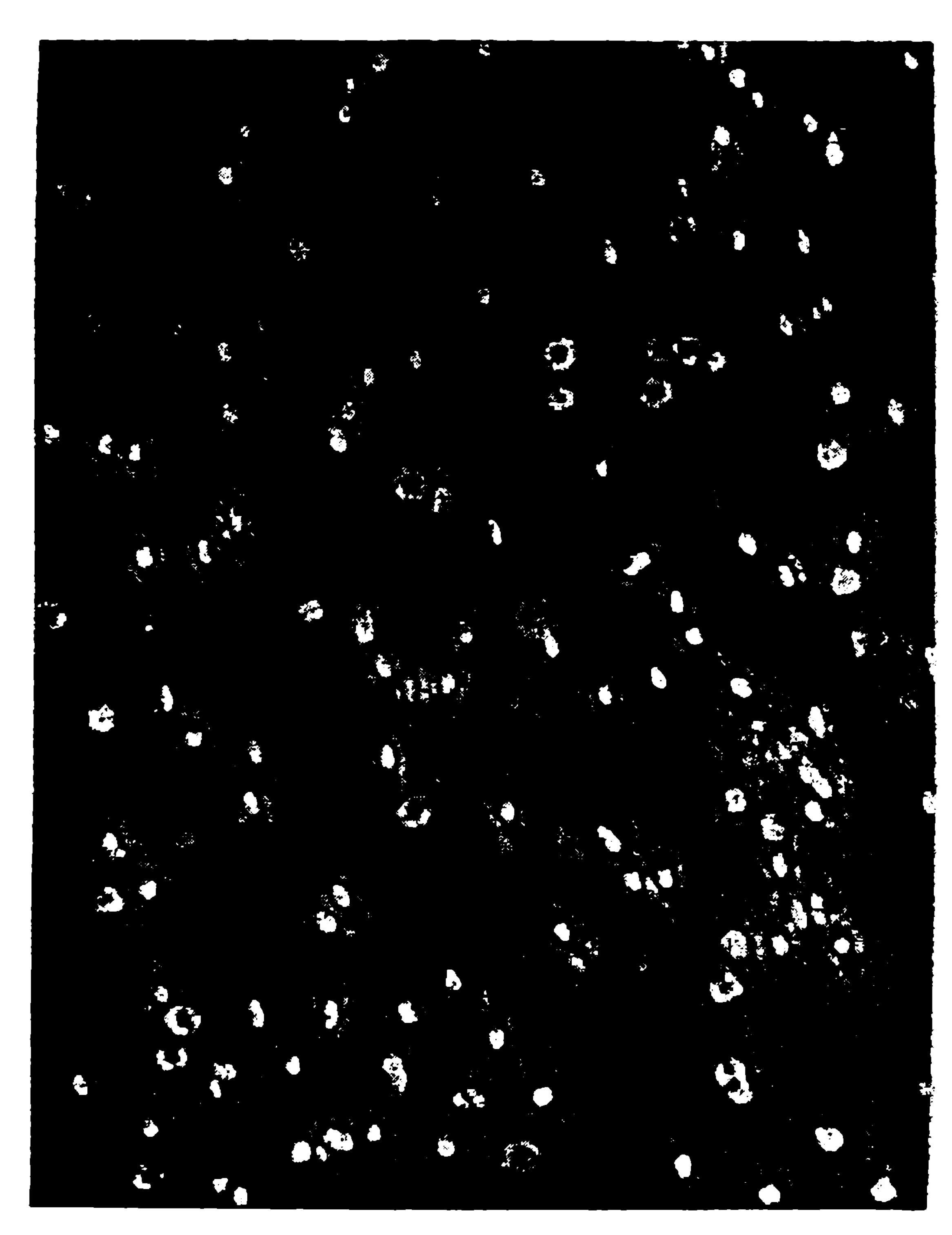
(١) من علم الطب القراني: ٧٥ ـ ٧٦.

(٢) سورة الواقعة: الآيات ٥٨ ـ ٥٩.



(التصوير رقم ١)

النطفة ـ البويضة "سلالة المرأة" وقطرها ١٠١١ ملم



(التصوير رقم ٢)

النطفة "سلالة الرجل ويبلغ طولها ٢٠٤١ ملم

طور النُطفة:

النطفة هي القليل من الماء، وربما يطلق - هذا اللفظ - على مطلق الماء[١]، وطور النطفة يعتبر هو المرحلة الأولى من مراحل التطور الخلقي للانسان، وقد ذكر سبحانه وتعالى هذه المرحلة في آياتٍ عدّة في كتابه الكريم، حيث قال سبحانه: ﴿***خلق الانسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين***﴾[٢] وفي آية أخرى: ﴿***فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة***﴾[٣] وذكر سبحانه في آية أخرى: ﴿***ثم جعلناه نطفة في قرارٍ مكين***﴾[٤].

ويمتد هذا الطور من اليوم الأول للحمل - أي منذ تلقيح سلالة المرأة بسلالة الرجل - حتى اليوم السادس منه، وخلال تلك الفترة تنقسم البيضة الملقّحة - وهي عبارة عن خلية واحدة تعتبر أكبر خلايا الجسم - إلى خليّتين ثم إلى أربع، فثمان خلايا، فستة عشر خلية، ثم تأخذ مجموعة الخلايا هذه شكل ثمرة التوت، ولهذا تسمى بالتوتة (Morula) وعدد خلاياها يصل إلى ما بين ٥٠ - ٦٠ خلية.

وخلال عملية الانقسام والتكاثر هذه تنتقل النطفة، وفي اليوم الخامس تقريباً من انبوب الرحم إلى الرحم نفسه لتبدأ بالتعلّق في جدار الرحم الداخلي منذ اليوم السابع من بدء الحمل.

---

(١) تفسير الميزان: ١٥/١٩ ـ ٢٠.

(٢) سورة النحل: الآية ٤.

(٣) سورة الحج: الآية ٥.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١٣.

وخلال المرحلة الأولى هذه لتطوّر الجنين - طور النطفة - نلاحظ ان قطر الجنين لا يتجاوز فيها خمس (١/٥) المليمتر الواحد، حيث يحيط به الماء والذي يكوّن الجزء الأكبر منه، ومن هنا جاءت التسمية القرانية للنطفة بالماء المهين[1]، حيث قال تعالى في كتابه الكريم واصفاً ذلك: ﴿..*الم نخلقكم من ماء مهين*..﴾[2]، وقال تعالى أيضاً: ﴿..*ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين*..﴾[3].

ويقصد بالماء المهين هو المتهن أي الضعيف، وقيل: انه الحقير المهان إشارة إلى انه عن شيء حقير لا قيمة له[4].

---

(١) من علم الطب القراني: ٤٩.

(٢) سورة المرسلات: الآية ٢٠.

(٣) سورة السجدة: الآية ٨.

(٤) بحار الانوار: ٥٧ /٣٢٤.



(التصوير رقم ٣)

طور النطفة عند الاسبوع الاول من الحمل بعد تلقيح سلالة المرأة بسلالة الرجل ، ويلاحظ فيه انفلاق البويضة الى أربع خلايا

طور العلَقَة:

العلقة قطعة حمراء معلّقة بجدار الرحم، ذكرها الله سبحانه وتعالى في آيات عديدة، باعتبارها المرحلة الثانية من مراحل التطور الخلقي حيث قال تعالى: ﴿*خلق الانسان من علق*﴾[1] وقال سبحانه: ﴿*خلقنا النطفة علقة*﴾[2] إلى غيرها من الآيات القرانية التي تبين سلسلة التطور هذه.

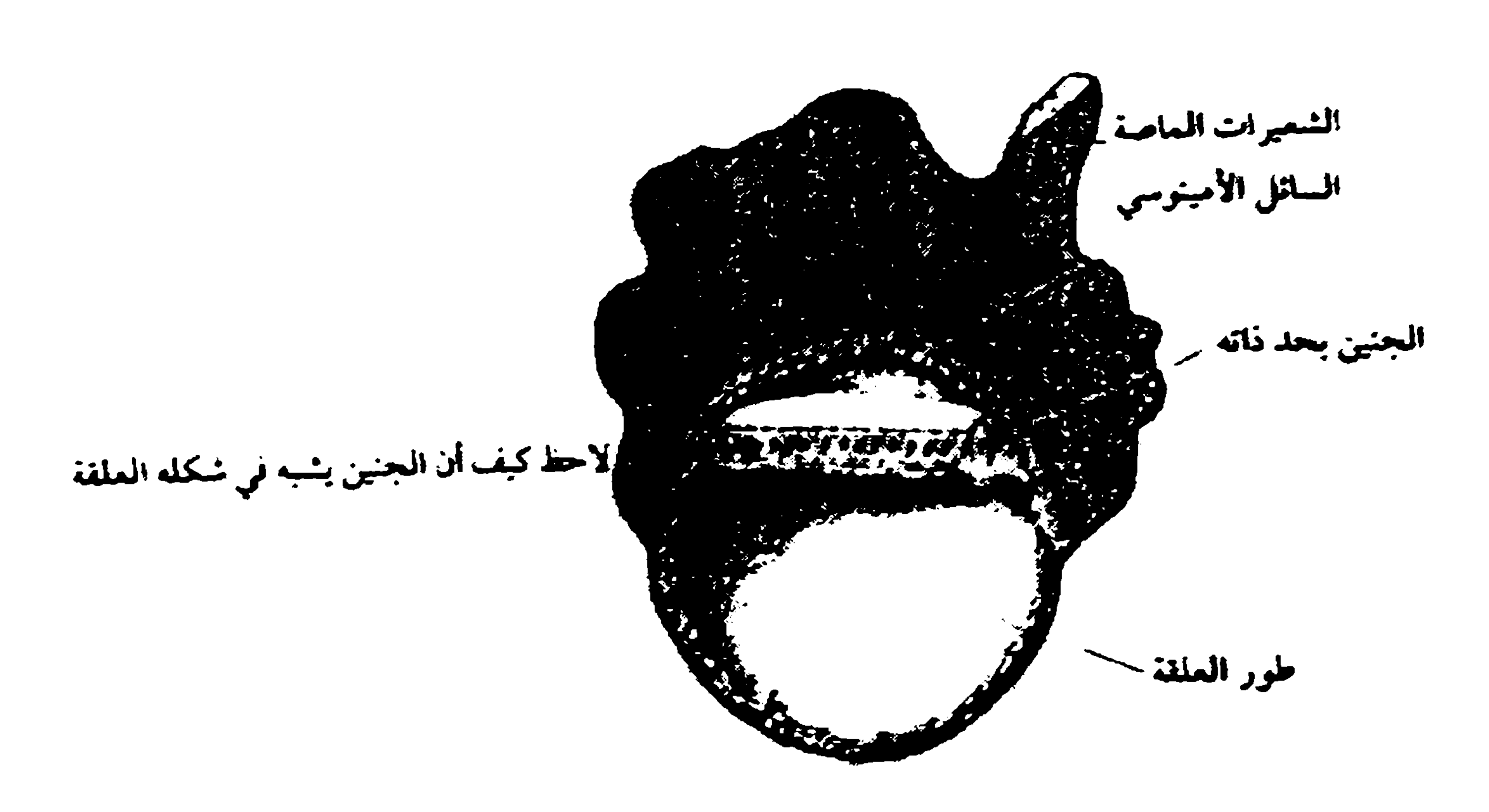
فبعد سلسلة الانقسامات المتعددة التي حدثت في المرحلة الأولى - طور النطفة - حيث وصلت إلى شكل ثمرة التوتة (Morula) والتي بدورها لا تلبث الخلايا السطحية لها ان تفترق عن الخلايا الداخلية، وتصبح بشكل خلايا اسطوانية، بحيث تكون مهمة هذه الخلايا ووظيفتها العملية هي تأمين الغذاء، وتسمى حينها بالخلايا المغذية Trophblast، وفي هذه المرحلة يصبح الحمل قابلاً للتعايش، فتغرس الخلايا المغذية Trophblast استطالاتها في مخاطية رحم الأم، وحينها تكتمل المرحلة الثانية لطور العلقة خلال مدة ٢٤ ساعة لتشكل العلقة. وهنا يمكن للمتتبع ملاحظة القدرة الإلهية في جعل مجموعة من الخلايا عالقة بواسطة استطالاتها الخلوية بجدار رحم الأم، حيث تستمد منه الدفء والغذاء والسكن[3].

---

(١) سورة العلق: الآية ٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

(٣) مع الطب في القران الكريم: ٨١.



(التصوير رقم ٤)

طور العلقة في اليوم العاشر وطوله ٢،١٠ ملم

طور المُضغَة والعِظام:

المضغة: هي القطعة من اللحم بقدر ما يمضغ[١].

يعتبر هذا الطور المرحلة الثالثة من مراحل التطور الخلقي للانسان بعد العلقة، وقد وصفها الله تعالى في كتابه الكريم حيث قال سبحانه: ﴿***فخلقنا العلقة مضغة***﴾[٢] وذكرها في آية أخرى حيث قال تعالى: ﴿***ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة***﴾[٣].

وينتج هذا الطور بعد انتهاء مرحلة طور العلقة، حيث تبدأ الخلايا المغذية Trophblast بالانفصال والتحوّل إلى خلايا مضغيّة Embryoblast.

ولابد من الإشارة هنا إلى ان تركيب اللوحة المضغية مكوّن من قرص مؤلف في البدء من ورقتين، إحداهما خارجية Ectoderm، والأخرى داخلية Endoderm، تتشكل بينهما وريقة ثالثة هي الوريقة المتوسطة Mesoderm.

تستمر هذه المرحلة دون أي تمايز بين عضو وآخر حتى نهاية الأسبوع الرابع من الحمل، تسمى حينها تلك المرحلة بالمضغة الغير مخلّقة[٤].

وقد ورد هذا المصطلح في القران الكريم ﴿***وغير مخلقة***﴾ للدلالة على ان هذه المرحلة هي مرحلة غير تامة الخلقة، فهي غير مسوّاة، يعتريها النقص والعيب[٥].

---

(١) بحار الانوار: ٥٧ /٣٢٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

(٣) سورة الحج: الآية ٥.

(٤) مع الطب في القران الكريم: ٨٠.

(٥) بحار الانوار: ٥٧ /٣٢٢.

بعد ذلك تستمر مرحلة التطور في أدق وأصعب مراحلها ابتداءً من الأسبوع الخامس من الحمل، حيث يطرأ على اللوحة المضغية المؤلفة من الوريقات الثلاث جملة تغييرات نسيجية هادفة ومدهشة تتم خلالها عملية التمايز بين الأعضاء، وتسمى هذه المرحلة بعملية التمايز Defferentiation وهي مرحلة المضغة المخلّقة، أي المسوّاة التامة التي لا يعتريها نقص أو عيب.

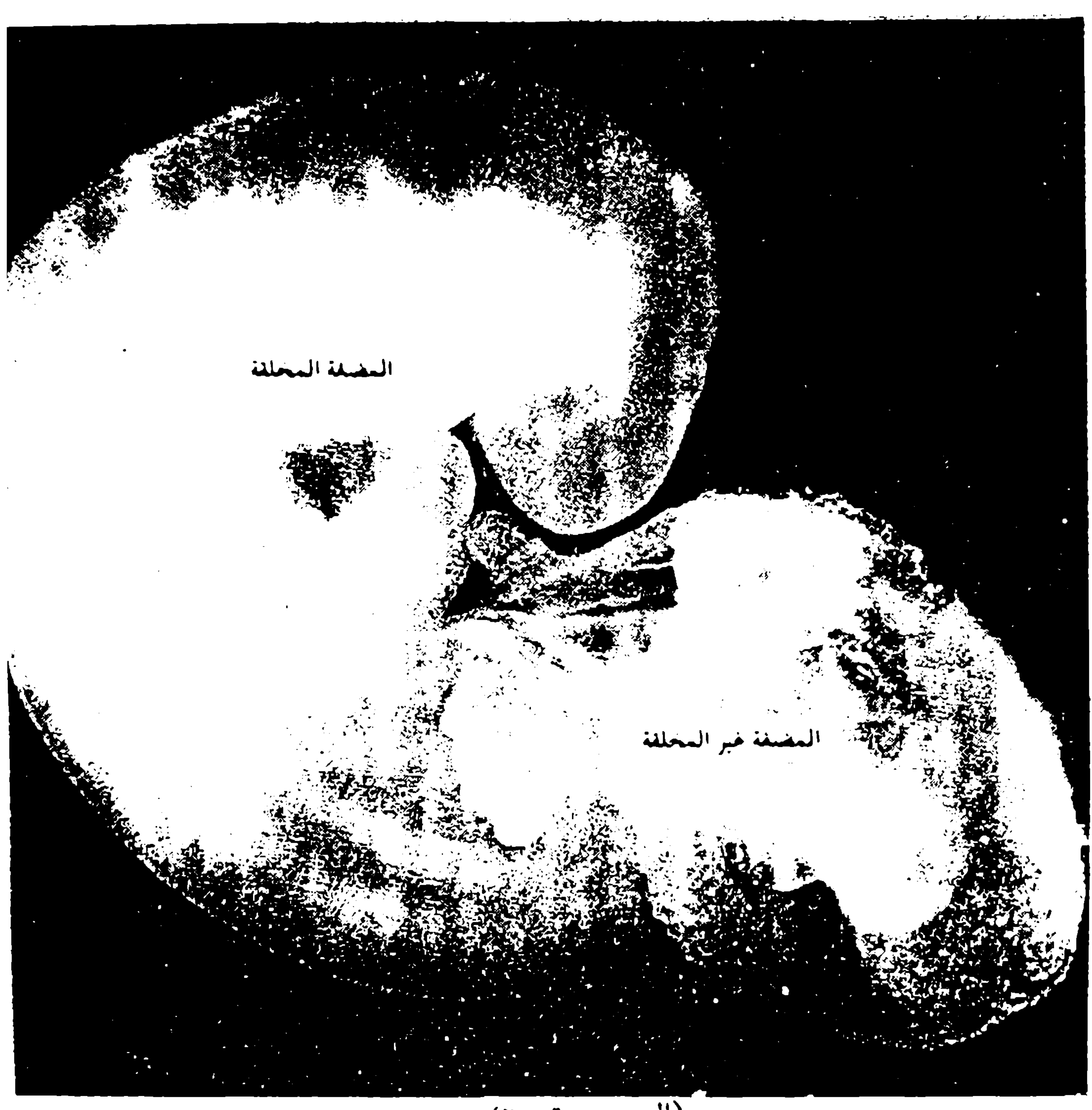
وفي هذه المرحلة تأخذ خلايا الوريقات الثلاث مهمة تشكيل واحد من أجهزة الجسم أو أعضاءه في إطار من التنسيق والتكامل بين هذه الأجهزة تستمر حتى نهاية الشهر الثالث من الحمل تقريباً، ليكوّن الانسان بهيئته الطبيعية، فيكون طول الجنين حينها (١٠ سم) ويزن حوالي (٥٥ غرام) تنتهي عندها عملية تكوين المضغة المخلقة[1].

(١) مع الطب في القران الكريم: ٨١ -٨٢.



(التصوير رقم ٥)

طور المضغة في الاسبوع الرابع من الحمل.



(التصوير رقم ٦)

طور المضغة المخلقة وغير المخلقة

الخلايا المُضغيّة وحكمة اللّه:

ونحن نتكلم عن عملية التخلق تستوقفنا أسئلة عدة منها: كيف يمكن للخلايا المضغيّة Embryoblast المتماثلة تماماً في بنائها ان تعطي هذه الوريقات الثلاث (الداخلية والخارجية والمتوسطة) المختلفة عن بعضها البعض؟

ثم كيف يمكن للخلايا المتماثلة في كل وريقة على حدة ان تعطي الأجهزة المختلفة في بنائها ووظائفها وخصائصها؟[١].

فالوريقة الخارجية مثلاً يتشكل منها: الدماغ، والأعصاب، وبشرة الجلد ولواحقه من الغدد والأشعار والأغشية المخاطية بالفم والانف.

والوريقة المتوسطة يتشكل منها: القلب والأوعية الدموية، والدم، والعظام والعضلات، والكليتان، وأدمة الجلد، وقسم من الغدد الصماء.

أما الوريقة الداخلية، فيتشكل منها: مخاطية الجهاز التنفسي، والطريق الهضمي، والغدة الدرقية، والغدة جار الدرقية، والكبد، والبنكرياس، وهكذا.

أجل؛ كيف تم ذلك؟ ومن الذي دفع هذه الخلايا المتماثلة الضعيفة لتعطي كل هذا من مراكز التفكير والشعور والإبداع؟ وكل هذا من مصانع الدم والسكاكر والبروتين؟ وكل هذا من أجهزة التكيف والراحة ومن وسائل الوقاية والحماية والأمن في الجسم؟!.

---

(١) الانقسام أو التكاثر الخلوي من أهم ميزات الخلية الحية، ومعروف ان الخلية عندما تنقسم تعطي خليتين متماثلتين تماماً وبكل شيء في البناء والخصائص والوظائف.

انها الحكمة التي ما زالت تحير كل علماء الدنيا حتى يعلموا أنّ المبدع والموجه في هذه الحياة، هو الله، ويوم يصلون إلى حل هذا اللغز فسيوقنون أكثر أنّه ﴿**هو الله الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى يسبّح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾[١].

ويتملكنا العجب ونحن نرى أنّ القرآن قد أشار لهذه الحكمة الإلهية في آيات هي منار هداية على طريق العلم، تدفع للبحث والتحليل باستمرار، حيث قال تعالى في سورة الحج: ﴿**ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة**﴾[٢] ثم يؤكد على هذه الناحية حيث يقول في سورة المؤمنون: ﴿**فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً**﴾[٣] فهذه الآية لا تشير فقط إلى بدء تشكّل العظام قبل تشكّل العضلات، كما لا تقتصر على الإبداع التعبيري الواقعي في تصوير علاقة العضلات بالعظام على انها علاقة كساء، ومن يدرس التشريح يعلم تماماً كيف تحيط العضلات بالعظام كانها كساؤها، أجل لا تقتصر الآية على ذلك وانما تشير في تقديرنا إلى عملية التمايز والتخلق، التي تبتدئ من تلك النطفة الصغيرة[٤].

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢٤.

(٢) سورة الحج: الآية ٥.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

(٤) مع الطب في القران الكريم: ٨٢ ـ٨٣.



(التصوير رقم ٧)

الجنين في طور العظام عند الاسبوع السابع ويبلغ طوله ٢٣ ملم

طور الجَنين:

﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾(١).

يميل الحمل نحو الزيادة في الوزن بعد الشهر الثالث، وتتجه الأجهزة التي تشكلت نحو التكامل، حتى ان بعض الأجهزة تبدأ عملها أثناء المرحلة الجنينية، كالقلب وجهاز الهضم، ويقوم نخاع العظم بتكوين عناصر الدم.

وبشكل عام فان أهم ما يطرأ على الجنين بعد الشهر الثالث هو: الحركة، ونبض القلب، واستقلال إفراز المشيمة الغدي، والنمو المتسارع في حجم الجسم وتكامل شكله الخارجي.

أما الحركة؛ فتبدوا في آخر الشهر الثالث وابتداء الشهر الرابع، حيث تتم عملية اتصال الجهاز العصبي بالأجهزة والعضلات، وتشعر الحامل بحركات جنينها الفاعلة في الشهر الرابع، أو قبل ذلك في المولودات.

أما نبضات القلب فيمكن سماعها عند بداية الشهر الرابع، وتكون واضحة في الشهر الخامس أيضاً.

أما استقلال المشيمة الغدي، فهو مباشرتها بإفراز الهرمونات اللازمة لاستمرار الحمل بعد ان أصبحت الكميات التي يفرزها المبيض غير كافية، ولان متطلبات الحمل من هذه الهرمونات تصبح أكبر بكثير من كفاءة المبيض.

أما نمو الجنين فيكون سريعاً في هذه المرحلة، فبعد ان كان وزنه في نهاية الشهر الثالث (٥٥غ) وطوله (١٠سم) يصبح وزنه عند تمام الحمل حوالي (٣٢٥٠غ) وطوله (٥٠سم) وخلال هذه الفترة يتكامل شكله الخارجي، فيصبح

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

لون الجلد أحمر، وتنبسط تجعداته وتسقط عنه الأوبار وتنفتح الجفون، وتتكامل الأظافر.

وبهذا الاستعراض السريع لأهم ميزات هذه المرحلة نجد أنّ تلك المضغة قد أخذت بُعداً آخراً، اكتسبت فيه قدرة على الحركة، وابتدأ بها القلب بالنبضان بلا توقف، ولعل أكثر الناس شعوراً بهذا البعد ليس الطبيب، وإنّما الأم الحامل التي ما ان تشعر بحركات جنينها حتى تحس بشيء لم تعهده من قبل، انها تحس ان روحاً أخرى تدب في أعماقها، فتظهر علامات الارتياح على ملامحها، وتعلو البسمة محياها، وإذا ما غابت عنها تلك الحركات مدة بسيطة، قلقت وتأرقت[1].

الإنشاء في القرآن:

لهذا البعد أشار القران الكريم بعد عرضه لسلسلة أطوار تخلق الجنين، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾[2].

ولابد من الإشارة هنا إلى أنَّ معنى الإنشاء في الآية الكريمة هو «إيجاد الشيء وتربيته، كما ان النشء والنشأة إحداثه وتربيته، كما يقال للشاب الحديث السن: ناشئ. والآية القرانية هنا دالة على حدوث أمر حديث ما كان يتضمنه ولا يقارنه ما تقدمه من مادة. أي ان ما تقدم هو بخلاف ما انشأه الله أخيراً وهو الانسان الذي له حياة وعلم وقدرة، فهو منشأ حادث، فقد كان مادة لها صفاتها وخواصها، ثم برز وهو يغاير سابقته في الذات والصفات والخواص، فهو تلك المادة السابقة التي صارت انساناً»[3].

---

(١) مع الطب في القران الكريم: ٨٤.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

(٣) تفسير الميزان: ١٥ /٢٠و٢١.

كذا إنّ المقصود من الآية الكريمة ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر..﴾ هو صورة البدن والروح والقوى بنفخة فيه أو المجموع[1].

ومما يؤيد ذلك ما توصل إليه العلماء من ان الجنين يبدأ في آخر الحمل بالسماع، ومما يسترعي سمعه وهو في بطن أمه ذلك الصوت الحنون الخالد الذي لا يعرف إلاّ الحب والحنان والعطاء، انه صوت خفقان القلب الكبير، قلب أمه، وهكذا تنشأ صلات الحب والمسؤولية بين الأم ووليدها في الوقت الذي تعاني فيه الأم من الوهن والعذاب ما لا يحتمله غيرها، ولذلك قال تعالى: ﴿ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾[2].

وبعد أن وقفنا على أطوار خلقنا البديعة المدهشة، هل لنا ان نقدر اللّه حق قدره؟ هل لنا ان نرجو للّه وقاراً؟[3] كما قال تعالى: ﴿مالكم لا ترجون للّه وقاراً ❁ وقد خلقكم أطوارا﴾[4].

---

(١) بحار الانوار: ٥٧ /٣٢٣.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٤.

(٣) مع الطب في القران الكريم: ٨٤.

(٤) سورة نوح: الآيات ١٣ ـ ١٤.



(التصوير رقم ٨)

ويلاحظ هنا اكساء العظام باللحم في جنين يبلغ عمره الشهر الرابع وطوله ١٦ ملم

الفصل الثاني

نظرة عامة في الحمل البشري

- نظرة عامة.
- بدء الإباضة وسن البلوغ.
- نظرة على الوظيفة التناسلية عند النساء.
- الإباضة هي الوظيفة الرئيسية للمبيض.
- المبيض كغدة صماء.
- الوظيفة التناسلية للنساء من وجهة نظر فيزيولوجية.
- الدور الديناميكي للجنين في الحمل.
- تشخيص الحمل طبياً.
- الدليل الإفتراضي على حدوث الحمل.
- العلامات المحتملة.
- العلامات الإيجابية للحمل.
- الأياس وسن اليأس.

نظرة عامة: Over View

إنّ إخصاب بيضة الإنسان بالنطفة (Spermatozoan) يحدث في انبوب فالوب خلال وقت قصير بعد الإباضة (من دقائق إلى بضع ساعات) وبعد (٦) أيّام من الإخصاب، فان الكيسة الأرومية تبدأ بالتعشيش في بطانة الرحم ويبدأ الحمل بالإعتماد على افتراض وهو:ان الجنين عبارة عن قوّة ديناميكية في تنسيق الحوادث الفيزيولوجية للحمل، فالحمل ينشأ بوضوح بحيث ان عضوية الأم تصبح فطرياً منفعلة، وتستجيب للإشارات المنبعثة من الجنين أو الانسجة الجنينية خارج المضغية كالمشيمة والأغشية الجنينية.

إنّ دور الجنين والانسجة الجينينة خارج المضغية في الحمل مشابه لذلك المشاهد في التنشوء الورمي الذي ينمو بسرعة ولا يعطي انتقالات، وان المضغة المتطوّرة والجنين يعتمدان على الأم وفي الغالب فان متطلباتهما تُلبى مهما كلفت العضوية الوالدية، وذلك بطريقة الآليات المشيمية الفعّالة بأخذ الغذاء والنقل، ولكن في نقاط أخرى فان الجنين هو طفيلي كريم وان يكن يخدم نفسه فهو يطوّر الانظمة التي تتيح التكيف الوالدي لهذا الطعم المشابه للورم، سريع النمو، والنصف مخالف المنشأ.

هذه الانظمة تتضمن:

١ ـ زيادة كبيرة في حجم الدم الوالدي.

٢ ـ زيادة في النتاج القلبي Cardic output.

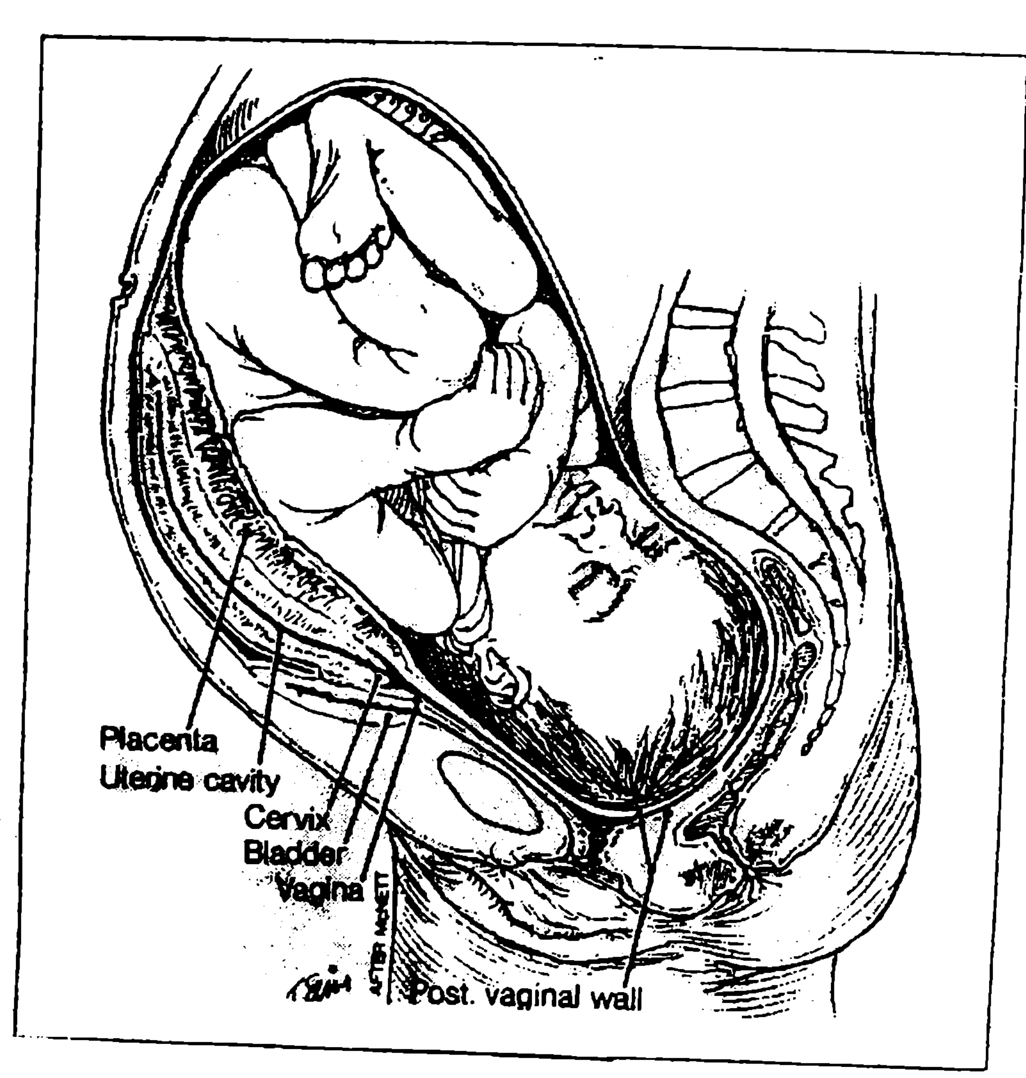
٣ ـ المقاومة للعناصر الرافعة لضغط الدم.

٤ ـ زيادة في التدفق الدمويّ الكلوي renal blood flow.

٥ ـ الإستخدام الفعال لمصادر الطاقة.

ان الجنين قادر أيضاً على الإرتباط بالانظمة الوالديـة التي توفر الحمايـة، على سبيل المثال: مـرور الأضداد (antibodies) عبر المشيمة، وعلى الغالب فان الجنين يشغل مكاناً محمياً ومميزاً أثناء الحمل[1].

حمل بطني في أوان الولادة. المشيمة معششة على الجدار الخلفي للرحم والرباط العريض الرحم المتوسع والمنبسط بتوضع مباشرة تحت جدار البطن الأمامي. العنق والمهبل محشوّان من الأمام والخلف بواسطة رأس الجنين الضخم في الرتج.

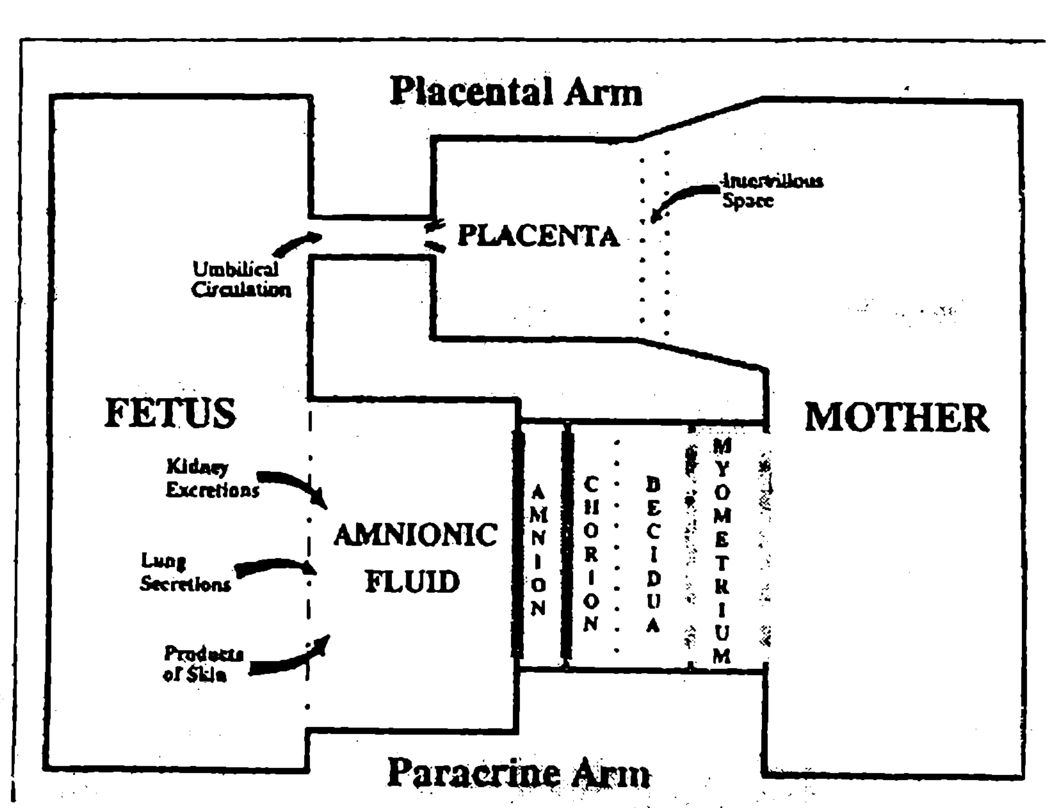


(التصوير رقم ٩)

---

(١) الجامع في التوليد: ١٥.

جهاز الاتصال الوالدي الجنيني . الأجزاء الأقرب تشريحياً لذراعي الجهاز ، المشيمي ونظير الغدي مرسومة في الشكل . الدم الوالدي يغطي للمشيمة بواسطة الأوعية الشعرية الزغابية الجنينية . الدم الوالدي بشكل مباشر بغمر الأرومات الغازية . السائل السلوي ، يتشكل بشكل كبير من البول الجنيني ، ويحتوي إفرازات من رئة الجنين والجلد ، يغمر الأمينون غير الزعائي ، والذي هو مجاور لوريقة الكوريون غير الوعائية . إن وريقة الكوريون والغشاء الساقط هما في اتصال مباشر خلية لـ خلية .



(التصوير رقم ١٠)

بدء الإباضة وسنّ البلوغ:

إنّ الحيض هو افراز دوري للدّم، المخاط، وحطام الخلايا من مخاطية الرّحم، ويحدث بشكل أكثر أو أقل انتظاماً، وبشكل دوري، وفواصل مؤكدة من بدء الإحاضة حتى سن اليأس، عدا أثناء فترة الحمل والإرضاع، وفيزيولوجياً وعلى كلّ حال فان الحيض يجب ان يعتبر انه إخصاب فاشل.

أما تأريخياً فانّ العمر الذي يبدأ به الحيض قد هبط بثبات حتى سنوات حديثة، وهذا الانخفاض قد توقف في الولايات المتحدة الأمريكية.

إنّ العمر الوسطي الذي يبدأ به الحيض هو الآن بين (١٢ ـ ١٣) سنة من العمر، لكن في عدد قليل وبوضوح في فتيات عاديّات فان بدء الإحاضة يمكن ان يحدث بشكل مبكر في سن (١٠) سنوات أو في سن متأخر (١٦) سنة.

إنّ بدء الإحاضة تشير بشكل نوعي للحيض الأول، بينما البلوغ فهو مصطلح أوسع يشير إلى مرحلة الانتقال التام بين الطفولة والنضج الجنسي.

فالطمث من هذا المنطق هو أحد علامات البلوغ، ولكن إذا كان نتيجة حدوث إباضة ومصاحبة الإفراز الهرموني فهو دالّ على إتمام الحدث الفيزيولوجي للبلوغ، وتحرير البيضة.

بالرغم من ان الفاصلة المشروطة والتي يحدث بها الحيض، قد اعتبرت لتكون (٢٨) يوم، فهناك تبدل معتبر بين النساء وبصورة عامة وبالإضافة إلى امتداد الدورة المعطاة أو المستحصل عليها من المرأة، فان التبدل الواضح في طول الدورات الحيضية لا يعني بالضرورة عدم الخصوبة.

إنّ مدة السيلان الحيضي هي غالباً متغيرة، ولكن المدّة الطبيعية هي بين (٤ ـ ٦) أيام، ولكن الفترة بين (٢ ـ ٨) أيّام يمكن إعتبارها طبيعية. في أية أمرأة، على أي حال فان مدة السيلان متشابهة عادة بشكل معتدل من دورة إلى دورة.

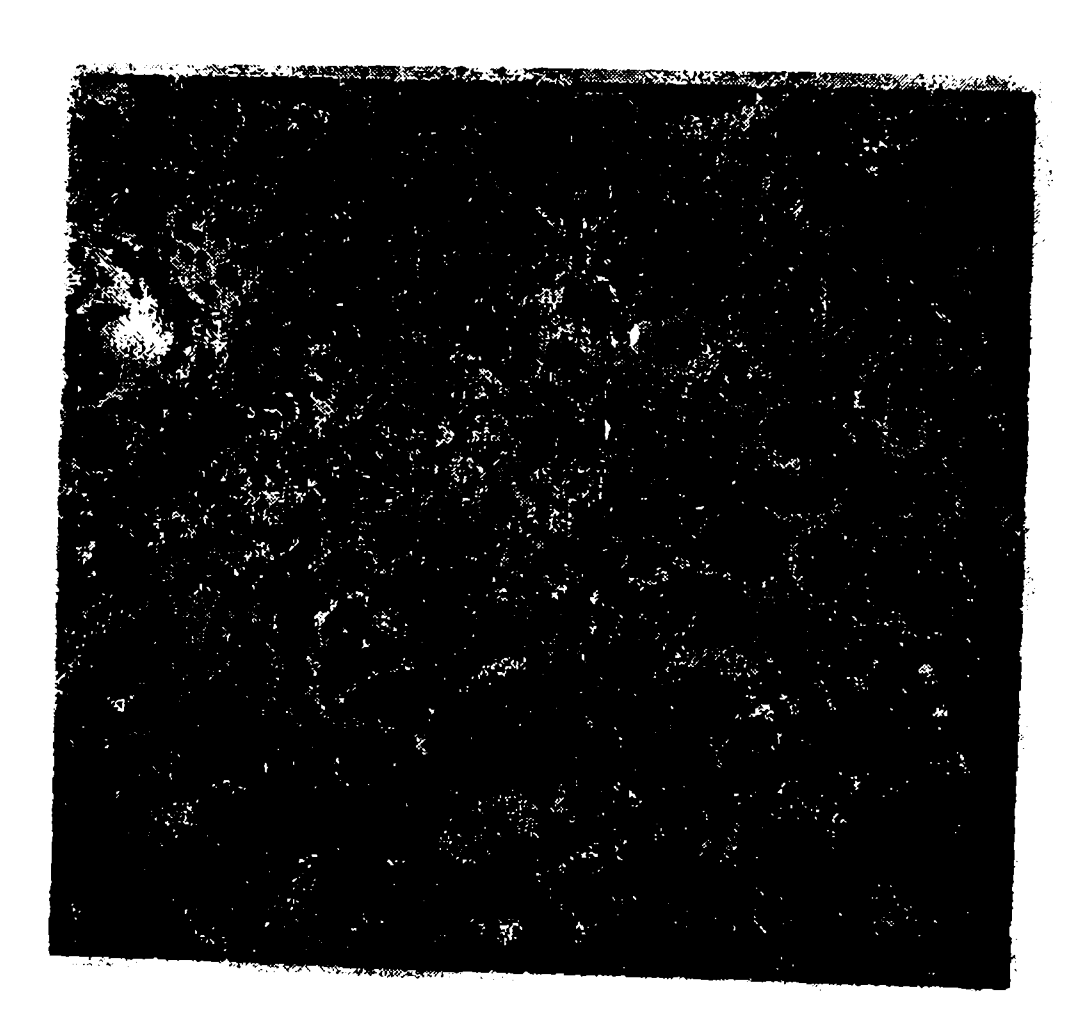
إنّ المادة المتدفقة الحيضية تتألف من أجزاء مطروحة للبطانة الرحميّة ممزوجة بكميّة متبدلة من الدّم.

عادة الدم سائل، لكن إذا كان معدل الدّم المتدفق زائد فان خثرات من أحجام مختلفة يمكن ان تظهر.

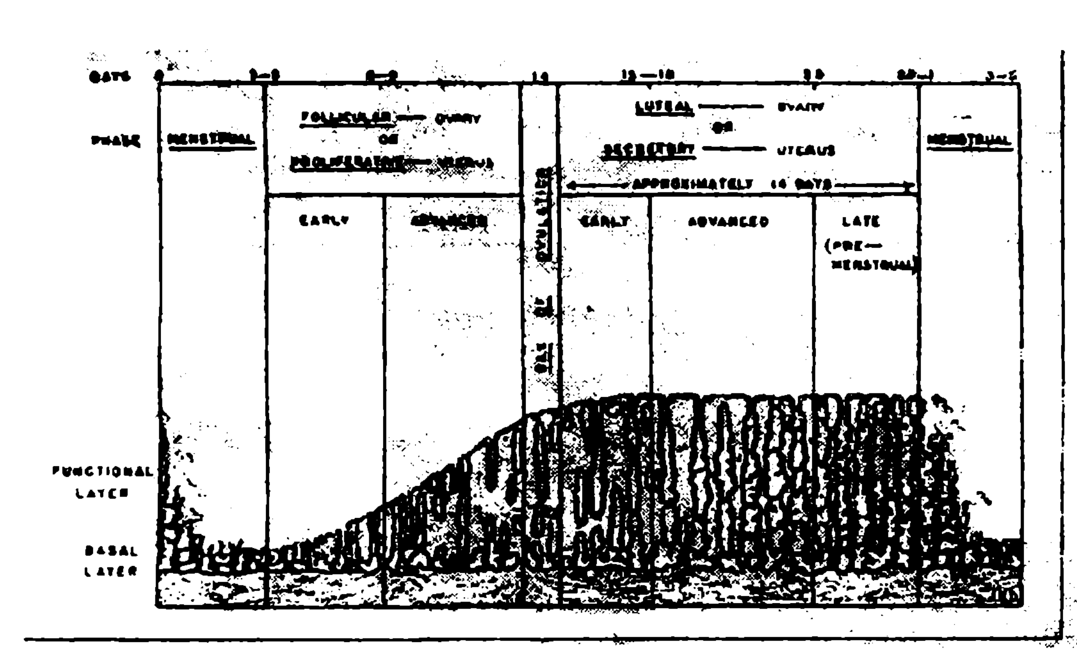
يجب أن يوجه اهتمام كبير إلى الحالة المألوفة من عدم تخثر الدّم الحيضي. ان الشرح الأكثر منطقية لعدم التخثر هو ان الدّم كان متخثراً عندما كان متدفقاً، لكن على الفور أصبح مائعاً بالفعالية الحالّة للفبرين[1].

---

(١) فيزيولوجيا الجهاز التناسلي عند المرأة: الدكتور رشيد شحادة.



(التصوير رقم ١١)   مبيض لطفلة ولود حيث يظهر فيها الأجربة الأولية الكثيرة العدد



التبدلات الدورية في ثخانة وشكل غدد وشرايين بطانة الرحم وعلاقة هذه التغيرات مع تلك التي في الدورة المبيضية .

(التصوير رقم ١٢)

أمّا في التشريع الإسلامي فقد حدّد البلوغ في السنّ أو العلامات الدالّة عليه، وقد استند الفقه الإسلامي على مذهب أهل البيتﷺ في تحديد الأمور الشرعية في ذلك، ومن ذلك ما قاله السيد الشيرازي (دام ظلّه) في كتاب الفقه:

قال في الشرائع: وكذا يعلم البلوغ (بالسّن وهو بلوغ خمس عشرة سنة للذكر).

إلى أن قال: وللانثى تسع[1].

وقال في المسالك: والمعتبر من السّنين القمرية دون الشمسية لان ذلك المعهود في شرعنا[2].

وقال في الجواهر: المراد بالسنة هنا وفي سائر التحديدات القمريّة، لانه المعهود من الشرع والمعروف عند العرب، ثم استدّل بأنّ عدّة الشهور عند اللّه اثني عشر شهراً ـ وكأنه لانصرافه إلى القمرية ـ بقرينة قوله سبحانه: ﴿***منها اربعة حُرُم***﴾[3]. إذ هي في الأشهر القمرية لا الشمسية[4].

وقال سبحانه: ﴿***هو الذي جعل الشمس ضياءً و القمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب***﴾[5]. فان قوله: قدره عائد إلى القمر.

وقوله سبحانه: ﴿***يسئلونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للنّاس والحجّ***﴾[6].

---

(١) شرائع الإسلام : ٣٦٣/٢، كتاب الحجر.

(٢) مسالك الأفهام : ١٤٤/٤، كتاب الحجر.

(٣) سورة التوبة: ٣٦.

(٤) جواهر الكلام: ٤٠/٢٦، كتاب الحجر.

(٥) سورة يونس: ٥.

(٦) سورة البقرة: ١٨٩.

لذا فان اطلاق المواقيت يشمل كل ميقات باستثناء ما استثني، مما يرتبط بالشمس كالزرع، حيث ان دلالتها مرتبطة بالشمس في الزكاة، ويدلّ على إعتبار السن المذكور روايات كثيرة مروية عن طرق العامة والخاصة[1].

مثل ما روي عن الخلاف والتذكرة عن النبيﷺ: انّه إذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه وأخذ منه الحدود[2].

وذكر كذلك في المسألة الرابعة من كتاب الفقه مايلي:

قال في الشرائع: أما الحمل والحيض فليسا بلوغاً في حق النساء بل قد يكونان دليلين على سبق البلوغ[3] وفي القواعد: الحيض والحمل على سبقه.

وقال في المسالك: لا خلاف في كونهما دليلين على سبق البلوغ، كما لا خلاف في كونهما بلوغاً بانفسهما، أما الحيض فقد علق الشارع أحكام المكلف عليه في عدّة أخبار[4].

كقولهﷺ: (لا تقبل صلاة حائض إلاّ بخمار)[5].

وقولهﷺ: إذا بلغت المحيض لا يصلح ان يرى منها إلاّ هذا، وأشار إلى الوجه والكفين[6].

وأما الحمل فهو مسبوق بالانزال، لان الولد يخلق من مائهما، فهو دليل على سبق البلوغ.. إلى آخر كلامه[7].

---

(١) كتاب الفقه: ١٦٩/٥٠، كتاب المفلس والحجر.

(٢) راجع كتاب الخلاف: ٧٢، كتاب الحجر _ المسألة: ٢.

(٣) شرائع الإسلام: ٣٦٣/٢، كتاب الحجر.

(٤) مسالك الأفهام: ١٤٥/٤، كتاب الحجر.

(٥) الوسائل: ٤ / ٤٠٨ ، الباب ٢٨.

(٦) الوسائل: ٤٠٨/٤.

(٧) مسالك الأفهام: ١٤٦/٤، كتاب الحجر.

وقد إختلفوا في انهما بلوغ، أو دليل سبق البلوغ، وقد ذكر في كتاب مفتاح الكرامة جملة من الأقوال في هذا الجانب، وجملة أخرى في الجانب الآخر، بل وعن مجمع البرهان: انهما دليلان بالإجماع، وعن التذكرة: الحيض في وقت الإمكان دليل البلوغ لا نعلم فيه خلافاً، لكن من جانب آخر عن الغنية الإجماع عن ان الحيض بلوغ قال: فالإجماعات متصادمة ظاهراً كالفتاوي ثم قال: يمكن الجمع بان المراد من كونهما بلوغاً بانفسهما تعليق احكام البلوغ في الشرع عليهما، وان كانا كاشفين عن حقيقة، ودليلين على سبقه بالانزال والسن، إلى آخر كلامه تتئ [1].

وذكر الفقهاء ان من علامات البلوغ نبات الشعر على العانة، إذا كان خشناً ولا اعتبار بالزغب (الشعر الناعم).

نلاحظ من خلال هذا البحث انه لا يوجد هناك فرق بين الرأي الطبي الحديث، وما أورده الفقهاء فيما اعتمدوا عليه من روايات في اصدار الحكم الشرعي في خصوص البلوغ وشروطه، بل ان الطبّ الحديث أكد لنا ما إعتمده الفقهاء في هذا الخصوص، وليس العكس، وان ما جاءت به شريعة السماء المتكاملة، وما تركه لنا أهل البيت ﷺ من علوم في شتّى المجالات، هو الأساس لتقدم ورقي البشرية ونجاتها من الانحراف والضياع.

الوظيفة التناسليّة عند النساء:

إنّ العمليات الفيزيولوجية الطارئة على النساء (وفي الحقيقة كل الأحياء المؤنثة) لتحقيق الحمل تثير الدهشة، فلنأخذ بعين الإعتبار المجتمعات، التي يعتبر الزواج المبكر فيها هو القاعدة والتي لا يطبق فيها منع الحمل، نرى ان حدوث الحيض فيها شيء غير شائع.

---

(١) كتاب الفقه: ١٩١/٥٠، كتاب المفلس والحجر.

إنّ الحمل يحصل مبكراً في المراهقة، وبعد الولادة يستمر عدم الإباضة، ويستمر عدم ظهور دم الحيض خلال مدة الإرضاع ويستمر الارضاع لمدّة (٢-٣) سنوات.

وبعد ذلك يحصل الحمل مرة بعد أخرى، وفي الوقت الذي تتم فيه (١٠-١١) دورة من الحمل والإرضاع تكون الإباضة قد توقفت ووظيفة المبيض قد توقفت (سن اليأس). انّ التحليل المثير للانتباه في تطوّر التناسل الانساني قد عُرض من قبل (Royer short) عام ١٩٧٦م[1].

إنّ تطوير موانع حمل أمينة وفعّالة قد حررت النساء من طغيان الخصوبة الزائدة، والسبب انّ المتطلبات الاجتماعية والجسدية للحمل والإرضاع المستمر أصبحت غير مقبولة للمرأة العصرية.

الإباضة هي الوظيفة الرئيسيّة للمبيض:

تتحرر بعملية الإباضة بيضة واحدة بصورة اعتيادية كل شهر، وهذه العملية تتكرر بالشكل ذاته كل (٢٤-٣٥) يوم من بدء الحيض حتى سن اليأس أي حوالي (٣٥) سنة طالما لم يحدث حمل، وكان هناك عدد كافي من الجريبات في المبيض.

إنّ الحوادث الغديّة الصمّاوية للدورة الإباضية مصممة لخلق جوهر موني يحرّض على الإباضة. ان الوسط الغدي الصمّاوي المهيأ خلال الدورة المبيضيّة يكون مثالياً لتجديد بطانة الرحم، وذلك بعد دورة إخصاب فاشلة (حيض)، وذلك لإعداد الرحم لفرصة حمل جديدة، لكن التأثيرات الجسدية للإستروجين (مثلاً على كثافة العظام) يجب أن ينظر إليها كمنافع إضافية

---

(١) الجامع في التوليد: ١١.

للإستروجين الجريبي الذي يفرز لينظم وظيفة المبيض، الدماغ، النخامي، وفي نضج الجريبات التي تنتهي بالإباضة أي انه ليس هناك آلية تستطيع من خلالها الانسجة الجسدية التصرّف من أجل تنظيم معدل إفراز الإستروجين المبيضي، وهذا ينطبق على كلّ الأنسجة المتأثرة بالإستروجين بما فيها الثدي، والرحم، والعظام، والجلد، والمهبل، والكبد، وهذا الأمر لا ينطبق على المبيض والنخامي والدماغ[1].

المبيض كغدّة صمّاء:

إنّ الوظيفة والتنظيم الوظيفي للمبيض الانساني غير متشابهة مع أي غدّة صماء أخرى. عموماً تستجيب الغدد الصُم للحاث المغذّي المناسب بإنتاج الهرمون أو الهرمونات المميزة لهذهِ الغدة مثلاً: الكورتيزول كإستجابة لـ ـ ACTH في الكظر. التيروكسين كإستجابة لـ ـ TSH الهرمون الحاث الدرقي. في الدرق. التستوسترون كإستجابة لـ ـ LH الهرمون اللوتيئيني في الخصيّة، ولكن ليس في المبيض، ان اصطناع الإستروجين يكون عائداً بدرجة كبيرة إلى مبيض واحد في كلّ مرّة، وللخلايا الجيبية في جريب واحد، وهو الجريب المختار للإباضة في تلك الدورة الإباضية.

في الواقع عندما تستنزف جريبات المبيضين فان الوظيفة الصمّاوية للمبيضين تتوقف ويحدث سن اليأس، بعد ذلك فان موجهات القند (gonadotropins) لا تعود تعمل على المبيض لخلق زيادة في إفراز الإستروجين.

في بدء كلّ دورة مبيضية، هناك زيادة تدريجية ومن ثمّ مفاجئة في معدل إصطناع وافراز الاستراديول17 - B الجريبي. هذهِ الأحداث الغديّة الصمّاوية

---

(١) الجامع في التوليد:١١.

الهامة تكون متوازية وأساسية لتطور ونضج الجريب، وتنظيم إفراز موجهات القند بما في ذلك الدفقة (Surge) من لـ (SH) التي تحدث الإباضة.

بَعد الإباضة، يفرز الجسم الأصغر (Corpusluteum) كميّات كبيرة من البروجسترون، ما عدا الحمل والظواهر المتعلقّة به، فليس هناك منفعة إستقلابية للبروجسترون، ولكن ينطبق على البروجسترون القول بانه (الستيروئيد قبل الحملي).

في الواقع يقبل عموماً القول بان البروجسترون ضروري للحفاظ على الحمل في معظم انواع الثدييات.

ان إصطناع البروجسترون من قبل الجسم الأصغر ضروري للحفاظ على الحمل في المراحل الأولى، واستمرار وظيفة الجسم الأصغر خلال دورة الاخصاب ضروري لنجاح الحمل[1].

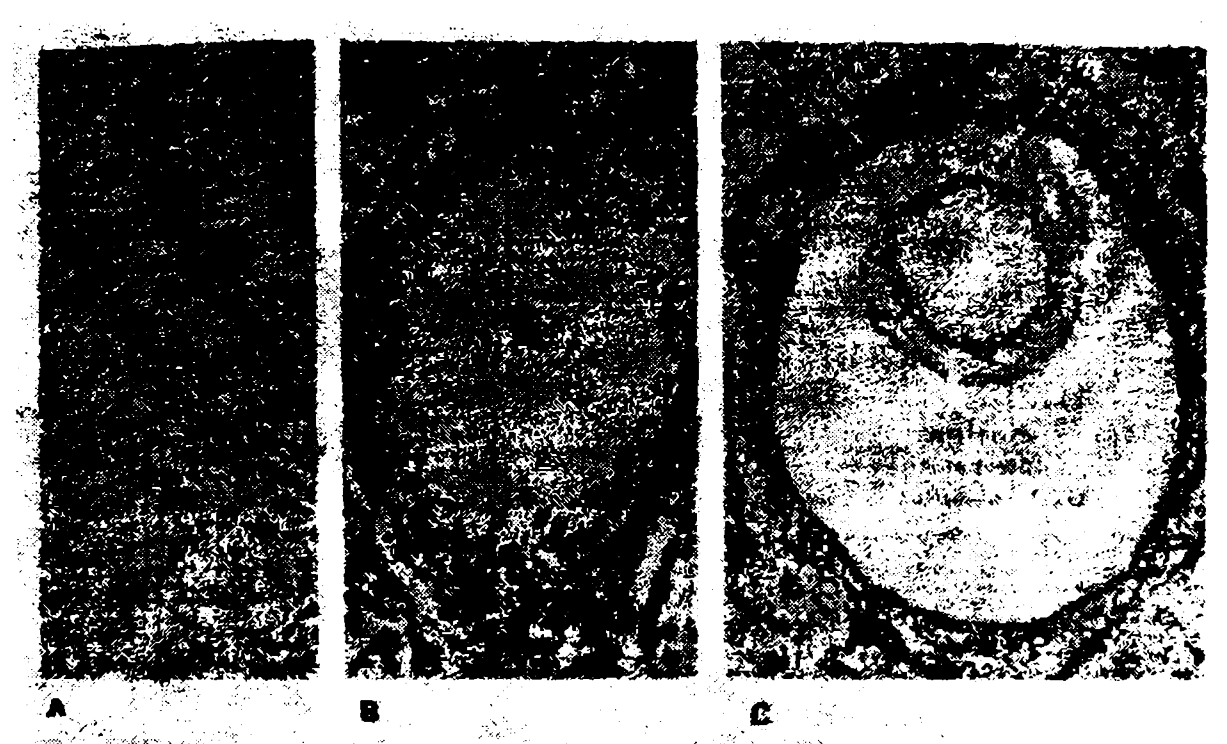
إذ ان سحب البروجسترون، عن طريق إزالة الجسم الأصغر قبل الأسبوع الثامن من الحمل يؤدي للإجهاض (abortion).

لذلك فانه من السهل القبول بالفرضية التالية:

ان الأحداث الغديّة الصماوية للدورة المبيضية هي إستثمار عُمِلَ بشكل فردي باتجاه تحقيق الحمل، وان المنافع الوظيفية غير التناسلية للإستروجين في النساء تحصل كمزايا عرضية في هذهِ العملية، هذا بلا شك يخدم كتفسير لنجاح المعالجة بالإستروجين في النساء اللّواتي أجري لهنّ عملية استئصال المبيض (avariectomized) وفي نساء بعد سن اليأس باستخدام حشد من الحميّات المختلفة تستعمل مركبات الإستروجين المتعددة والمعطاة بأي من الطرق المتنوعة.

---

(١) فيزيولوجيا الجهاز التناسلي عند المرأة: الدكتور رشيد شحادة.



صور مجهرية لمقاطع مبيض امرأة ناضجة . A : قشرة مبيض فيها جريبين ابتدائيين وضمنها خلايا بيضية بدئية والتي أتمت الدور الطليعي من الانقسام المنصف الأول ، ودخلت مرحلة الانفصال . بحالة راحة بين الدور الطليعي والتالي . B : جريب تالي وفيه خلية بيضية بدئية محاطة بالمنطقة الشفيفة وطبقة من الخلايا الجريبية . C : جريب ناضج مع جوف جرابي كبير وتوضع البويضة على الركام المبيضي ولاتظهر فيها النوية لأنها لاتمر بهذا المقطع .

(التصوير رقم ١٣)

الوظيفة التناسليّة للنساء من وجهة نظر فيزيولوجية:

هناك طريقة أخرى لعرض الوظيفة التناسلية عند النساء هي كما يلي:

الوظيفة المعقدة والأصعب تخيلاً للمبيض هي قذف بيضة في فترات دوريّة، وإذا تمّ ذلك فان كل المظاهر الأخرى لوظيفة المبيض بما في ذلك المشاركة المهادية النخامية (hypotholomic - pituitary) في هذا الحدث تكون طبيعية.

ان وظيفة انبوب فالوب تتمحور حول نقل البيضة والنطفة وتهيئة الوسط المناسب لتلقيح البيضة أو اخصابها وانقسام البيضة الملقّحة (Zygote)، قد تكون بطانة الرحم المكان الأمثل (ولكن ليس الوحيد) للتعشيش، ولكن العشاء الساقط (هو بطانة الرحم أثناء الحمل). هو الموضع الملائم لمنشأ (Uterotonins) (عوامل تسبب تقلص الرحم في المخاض).

وهكذا فان الوظيفة التناسلية عند النساء تتركز في عمليات موجهة بدقة لتحقيق الحمل وولادة الجنين الناضج[١].

ومما نقله العلاّمة المجلسي تَتِّئُ حول آلات التناسل عند المرأة، وفي بيان تشريحها ووظائفها في هذا الخصوص مايلي:

أمّا الرحم فهو للاناث بمنزلة القضيب للرجال، فهو آلة توليدهن، كما ان القضيب آلة تناسلهم، وفي الخلقة تشاكله إلاّ ان أحداهما تامّة بارزة، والأخرى ناقصة محتبسة في الباطن، وكان الرحم مقلوب القضيب أو قالبه، وفي داخله طوق مستدير عصبي في وسطه، وعليه زوائد وخلق ذا عروق كثيرة ليكون هناك عدّة للجنين، ويكون أيضاً للعضل الطمثي منافذ كثيرة، وهو موضوع فيما بين المثانة والمعاء المستقيم، إلاّ انه يفضل على المثانة إلى

---

(١) الجامع في التوليد: ١٢.

ناحية فوق، كما تفضل هي عليه بعنقها من تحت، وهو يشغل ما بين قرب السرة إلى آخر منفذ الفرج، وهو رقبتهز وطوله ما بين ست أصابع إلى أحد عشر، ويطول ويقصر بالجماع وتركه، ويتشكل مقداره بشكل مقدار من يعتاد مجامعتها، ويقرب من ذلك طول الرحم، وربما مس المعاء العليا وهي مربوط بالصلب برباطات كثيرة قوية إلى ناحية السرّة والمثانة والعظم العريض لكنّها سلسة.

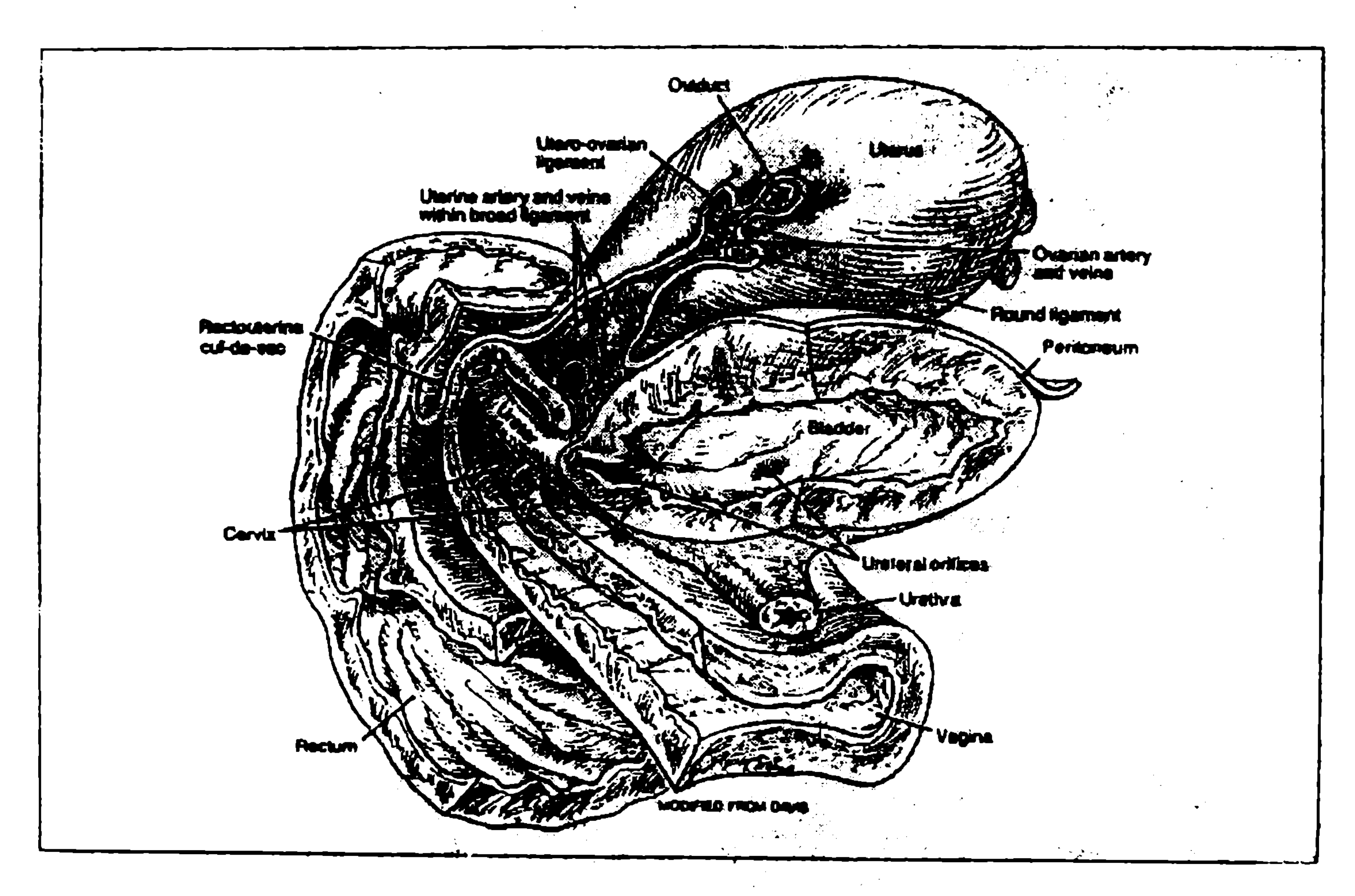
وجعل من جوهر عصبي له ان يتمدد ويتسّع على الإشتمال، وان يتقلص ويجتمع عند الاستغناء، ولن تتسم تجويفه إلاّ مع استتمام النمو كالثدي لا يستتم حجمها - إلاّ مع ذلك - لانه يكون قبل ذلك معطلاً، وهو يغلظ ويثخن كانه يسمن في وقت الطمث ثم إذا طهر ذبل. وخلق ذا طبقتين باطنتهما أقرب إلى ان تكون عرقية وخشونتها لذلك. وفوهات هذهِ العروق هي التي تنقر في الرحم وتسمى (نقر الرحم) وبها تتصل أغشية الجنين ومنها يسيل الطمث، ومنها يعتدل الجني،ن وظاهرتهما أقرب إلى ان تكون عصبية، وهي ساذجة واحدة والداخلة كالمنقسمة قسمين متجاورتين لا كملتحمتين.

ولرحم الانسان تجويفان، ولغيره بعدد الأثداء، وينتهيان إلى مجرى محاذٍ لفم الفرج الخارج، فيه يبلغ المنيّ، ويقذف الطمث، ويلد الجنين ويكون في حال العلوق في غاية الضيق لا يكاد يدخله طرف ميل، ثم يتسع بإذن الله، فيخرج منه الجنين.

وقبل افتضاض البكر تكون في رقبة الرحم أغشية تنتج من عروق ورباطات رقيقة جداً يهتكها الافتضاض، ومن النساء من رقبة رحمها إلى اليمين، ومنهنّ من هي منها إلى اليسار، وهي من عضلة اللّحم كانها غضروفية، وكانها غصن على غصن يزيدها السمن والحمل صلابة.

وللرحم زائدتان تسمّيان (قرني الرحم) وهما الأُنثيان للنساء، وهما كما في الرجال إلاّ انهما باطتنان وأصغر وأشدّ تفرطحاً، يخصّ كل واحد منهما غشاء عصبي لا يجمعهما كيس واحد. وكما ان أوعية المنيّ في الرجال بينهما وبين المستفرغ من أصل القضيب، كذلك للنساء بينهما وبين المقذف إلى داخل الرحم، إلاّ انها فيهنّ متّصلة بهما، لقربهما في اللّين، ولم يحتج إلى تصلبيهما وتصليب غشائهما[1].

(١) بحار الانوار : ٥٩ / ٤٨ ـ ٥٠.



(التصوير رقم ١٤) مقطع عمودي في النهاية الرحمية للرباط المريض الأيمن .

نلاحظ من خلال ما ذكره العلاّمة المجلسي ﷺ في بيان الأجزاء التشريحية والوظيفية للأعضاء التناسلية عند المرأة، قد أكدها كذلك الطب الحديث حيث انّ ما توصلت له التجارب العلميّة الحديثة اليوم وبالأخصّ ما يتعلق في بيان تشريح ووظائف هذه الأعضاء قد بينته الروايات الواردة عن أهل البيت ﷺ، وأوضحه الأطباء والحكماء الذين تخرجوا من هذه المدرسة عبر القرون الطويلة وقد اكّد الجميع كيف انّ الله تعالى قد هيأ هذه الأعضاء عند المرأة لتحقيق الحمل وأداء الوظيفة التناسلية بشكلها الطبيعي وفي منتهى الدقّة والتناسق.

الدور الديناميكي للجنين في الحمل:

The Dynamic role of the fetus inpregnancy

حتى الآن وبشكل شائع فقد صوّر الجنين كعابر سبيل سلبي في عملية الحمل.

ومن المعروف الآن أنّ هذا ليس هو الحال.

إنّ فهم طبيعة وأهمية نظام الإتصال الجنيني الوالدي للحمل البشري شيء هام لنسلّم بان الجنين يتمتع بوضع من الحماية في البيئة الخارجية وهذه الحماية لن يمر بها ثانية في حياته، ولكن في نفس الوقت يجب ان نميز أو ندرك بان الجنين عبارة عن قوة ديناميكية تصوغ وجوده الخاص.

إنّ الجنين والانسجة الجنينية خارج المضغية (extrambryonic) هي مصدر العناصر الفعالة حيوياً والتي تعمل كقوة مُسيرة في الحمل ومن وقت الإلقاح.

نرى ان التبادل الجزيئي يتوطد بين الانسجة الوالدية والجنينية، وان بعض الأنظمة الناقلة للإشارة (بين الجنين والأم) هي فعّالة بلا شك حتى قبل وقت

تعشيش الكيسة الأرومية (blastocyst implanttion) في الانواع الثدية المتعددة كالحصان على سبيل المثال.

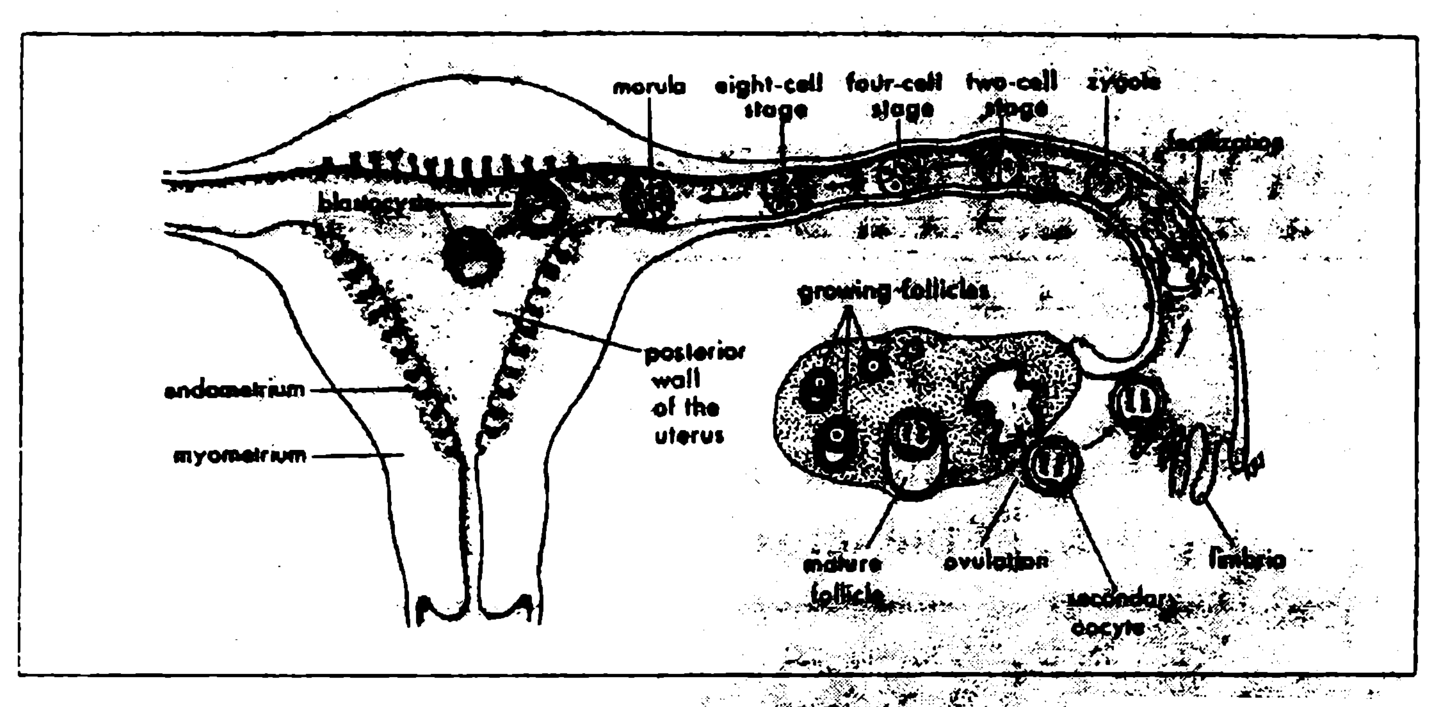
هناك اختلافات واضحة المعالم بين نقل البيوض المخصّبة وغير المخصّبة في انبوب فالوب.

إنّ الدافع للتعشيش ينشأ من الكيسة الأرومية ومنتجات الكيسة الأرومية إذ ان غزو الغشاء الساقطي الوالدي والأوعية الدموية لتوطيد مكان التعشيش والتطور اللاحق للمشيمة يتم بتأثير الفعل المباشر للمنتجات الفعالة حيوياً للانسجة الجنينية. ان التعرف الوالدي على الحمل ينجم عن الإشارات المتولدة من قبل الكيسة الأرومية، وانّ استمرار الحمل يتنسق بالإسهامات الجنينية، وتنشأ التبدلات الغدّية الصمّاوية في الحمل من المنتجات المتشكلة ـ والمفرزة من قبل مشيمة الجنين ـ ومن المحتمل ان التراجع الجنيني عن الحفاظ على الحمل هو الحادثة قبل الأخيرة ليتم البدء العفوي للولادة عند الموعد المحدد لها.

من هذه التفاعلات ثبت أنّ هنالك تبادل على المستوى الجزيئي الحيوي، والتي تتضمن إشارات حميمةكاستجابات نقل بين أنسجة الجنين وأمه[1].

---

(١) الجامع في التوليد: ١٥.



(التصوير رقم ١٥) ملخص ترسيمي للدورة المبيضية والإخصاب وتطور الإنسان خلال الأسبوع الأول . يبدأ تطور المرحلة الأولى من [illegible] (البيضة الملقحة) . المرحلة الثانية (الأيام ٢ - ٣) تشمل [illegible] Morula) المرحلة الثالثة (الأيام ٤ - ٥) [illegible] (الأيام ٥ - ٦) يتمثل بالكيسة الأرومية للملاصقة [illegible]

تشخيص الحمل طبياً:

عن طريق الاتصال الجزيئي بين الجنين وأنسجة الأم تظهر تغيرات فيزيولوجية وتشريحية ملحوظة في النساء الحوامل تبدو باكراً بعد الإلقاح.

انّ الحمل الطبيعي هو حالة فيزيولوجية، وان الأمر الذي تحدث فيه تغيرات تكيفية عميقة ضخمة وأساسية لحصول حمل أمثل. انّ العديد من التكيفات الفيزيولوجية للحمل قابلة للتنبؤ لها. وبناء عليه فهي تشكل معالم هامة تميز تكيف المرأة الحامل لتطوّر الجنين.

انّ العديد من هذه التكيفات الفيزيولوجية للحمل قابلة للتنبؤ لها، وبناءً عليه فهي تشكّل معالم هامة تميّز تكليف المرأة الحامل بتطوّر الجنين، والعديد من هذه التكيّفات الفيزيولوجيّة تشكل دلائل هامّة تسمح بتشخيص الحمل وتقييم تقدمه.

ففي حياة النساء، هنالك بضع تشخيصات أهم من تشخيص الحمل، بالنسبة للمرأة التي يمكن ان تكون حاملاً، والتي تستطيع أن تثير عواطف مثل الفرح الغامر أو مثل الألم بسبب اليأس العميق. وبالنسبة لكل الأطبّاء الذين يُعهد إليهم التدبير الطبيّ للنساء اللّواتي هنّ في سن الاخصاب، فانّ معرفة وجود الحمل حاسم للتشخيص المناسب والعلاج لكل العمليات المرضية. لكل هذه الأسباب، فانّ كل طبيب يتحمل مسؤولية العناية الطبيّة بأي امرأة في سن الإخصاب، وبالتالي يجب ان يضع في اعتباره دوماً هل هي حامل؟ والفشل في ذلك يؤدي غالباً إلى تشخيص غير صحيح، معالجة غير مناسبة، وفي بعض الأحيان تورطات طبيّة قانونية.

انّ من السهل عادة تشخيص الحمل ولكن لسوء الحظ لا يحدث هذا دوماً، في بعض الأحيان فان العمليات الدوائيّة الفيزيولوجية، أو

الفيزيولوجيّة المرضية قد تسبب تغييرات غديّة أو تشريحية تشابه الحمل وتسبب إضطراب للمرأة أوالطبيب.

لذلك حالياً ليس من السهل تشخيص الحمل ولكن نادراً ما يكون مستحيلاً إذا أجربت الفحوص السريرية والمخبريّة اللازمة.

بشكل عادي فانّ المرأة تكون قلقة من احتمال الحمل عند استشارة الطبيب بالرغم من انها قد لا تقدم المعلومات طوعاً ما لم تسأل بدقّة عن حملها. الأخطاء في التشخيص غالباً ما تحصل في الأسابيع الأولى من الحمل ـ عندما يكون الرحم عضواً حوضياً ـ وبالرغم أنّه من المحتمل أنْ يلتبس الرحم المتضخم في نهاية الحمل مع ورم من طبيعة ما، وان مثل هذهِ الأخطاء تحدث عادة نتيجة التسرع في التشخيص أو الفحص الغير كامل.

انّ التبدلات الغدية، الفيزيولوجية، والتشريحية المرافقة للحمل تعطي أعراض وعلامات مما يقدم دلائل فرضيّة، محتملة أو حتى قاطعة تدلّ على وجود الحمل.

انّ هذهِ التغييرات تظهر كنتيجة للأفعال المتبادلة بين انسجة كل من الجنين والأم، كإستجابة للإشارات التي تُنقل بين الجنين وأنسجته، والأم وأنسجتها، أو عن طريق تطوّر الجنين بمفرده.

انّ أعراض الحمل قد صنفت في ثلاث مجموعات، الدليل الافتراضي، العلامات المحتملة، والعلامات الإيجابية.

الدليل الإفتراضي على حدوث الحمل:

Presumptive Evidence of the pregnancy

انّ الأحداث الإفتراضية التي تدلّ على الحمل قائمة بشكل كبير على الأعراض والعلامات التي تتضمن:

١ ـ الغثيان مع القيء أو بدون القيء.

٢ ـ إضطراب التبول.

٣ ـ التعب.

٤ ـ الإحساس بحركات الجنين.

أما العلامات فتتضمن:

١ ـ انقطاع الطمث.

٢ ـ تبدلات تشريحية في الثديين.

٣ ـ تغير لون مخاطية المهبل.

٤ ـ إزدياد التصبغات الجلديّة.

٥ ـ و الأكثر الأهمية هل تعتقد المرأة انها حامل؟

العلامات المحتملة: Probalbe evidence of pregnancy

١ ـ تضخم البطن.

٢ ـ تبدلات في شكل وحجم وقوام البطن.

٣ ـ تبدلات تشريحية في عنق الرحم.

٤ ـ تقصلات براكستون هيكس Braxton Hicks.

٥ ـ النهز الجنيني ballottement.

٦ ـ المعالم الجسدية للجنين.

٧ ـ نتائج الفحوص الغديّة الصماوية.

العلامات الإيجابيّة للحمل: Positive Signs of pregnancy

العلامات الإيجابية في الحمل هي:

١ ـ تعيين عمل القلب الجنيني بشكل واضح ومنفصل عن قلب الأم.

٢ ـ ملاحظة الحركات الجنينية الفاعلة من قبل الفاحص.

٣ ـ التعرف على المضغة والجنين في أي وقت من الحمل بتقنيات الأمواج الصوتيّة Sonographic، أو باستعمال التصوير الشعاعي إذا كان الجنين أكثر نضجاً وذلك في النصف الثاني من الحمل[1].



(التصوير رقم ١٦) . تنتهي المرحلة المضغية عند نهاية [illegible] أسابيع بعد الإخصاب ، في هذا الوقت . تكون معظم التراكيب الأساسية للجنين قد تكونت . المرحلة الجنينية ، تمتد من الأسبوع التاسع حتى الولادة وتتميز بنمو وتفاصيل البنى . يتوضح الجنس بشكل جيد في الأسبوع ١٢ .

---

(١) الجامع في التوليد: ١٨.

الأياس وسن اليأس:

الأياس: هو توقف الطمث.

هناك إختلاف واسع في العمر الذي يحدث عنده سن اليأس، فحوالي نصف النساء يتوقف الحيض عندهن بين الأعمار ٤٥ ـ ٥٠ سنة.

٤/١ من النسوة يتوقف لديهن الحيض قبل (٤٥) سنة، والربع الآخر يستمر بعد (٥٠) سنة من العمر.

انّ مصطلح سن اليأس قد اشتق من كلمة يونانية تعني ـ درجة السلَم ـ وهي تحمل نفس دلالة مصطلح سن اليأس، كما هو الحال في مصطلح البلوغ الذي يدلي بمفهوم بدء الإباضة.

انّ سن اليأس يشير إلى الوقت في حياة المرأة والمعروف لكافة الناس بـ (تغير الحياة).

لقد حدد الفقهاء سن اليأس عبر الروايات الواردة عن أهل البيت ﷺ، وما ذكر في هذا الخصوص قد أكده الطب الحديث، ولإيضاح المطلب نورد هنا عدد من الروايات التي اعتمدها الفقهاء في هذا الشأن، حيث يذكر ان اليأس فيه أربعة أقوال:

الأوّل: انه يحصل (ببلوغ ستين سنة في القرشيّة، وخمسين في غيرها) كما عن غير واحد، بل المشهور.

الثاني: انه يحصل ببلوغ خمسين سنة مطلقا، وهذا ما ذهب إليه الشيخ في النهاية والجمل والمهذّب والشرائع في كتاب الطلاق والسرائر والمدارك كما حكي عنهم.

الثالث: انه الستون مطلقاً، كما عن الشرائع في الحيض والمنتهى وصريح النراقي الأول.

الرابع: انه الستون في القرشيَّة، والنبطيّة، والخمسون في غيرهما، كما عن ابني حمزة والسعيد، والقواعد، بل قيل: انه مختار العلامة في أكثر كتبه، وعن الكركي إختياره ناسباً له إلى المشهور، بل إلى الأصحاب.

وهناك قول خامس للراوندي: وهو: التفصيل بين الهاشمية فستون وغيرها فخمسون، والأقرب هو القول الأوّل، وذلك للجمع بين الأدلّة[1]، إذ قد وردت طائفتان من الدليل:

الأولى: ما حدّد فيه اليأس بالخمسين كصحيح ابن الحجاج عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (حدّ التي قد يئست من المحيض، خمسون سنة)[2].

وكذا خبر أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال: (المرأة التي قد يئست عن المحيض حدّها خمسون سنَة)[3].

وصحيح ثان لإبن الحجاج عن الصادق عليه السلام: (ثلاث يتزوجن على كلّ حال) إلى ان قال: (والتي يئست من المحيض ومثلها لا تحيض) قلت وماحدّها؟ قال: (إذا كان لها خمسون سنة)[4].

وخبر أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (المرأة التي قد يئست من المحيض حدّها خمسون سنة)[5].

الثانية: ما حدد اليأس فيه بالستين كخبر ثالث لإبن الحجاج، وفيه بعد السؤال عن حدّ اليأس؟ قال عليه السلام: (إذا بلغت ستين سنة، فقد يئست من المحيض)[1].

---

(١) كتاب الفقه: ١٠ /٢٩٨ .

(٢) الوسائل: ٢ / ٣٣٥ ، الباب ٣١ من أبواب الحيض.

(٣) الوسائل: ٢/٣٣٦/ح٣.

(٤) المصدر نفسه : ح٦.

(٥) التهذيب: ١ / ٣٩٧ ، الباب ١٩ في الحيض.

وشاهد الجمع بين هاتين الطائفتين جملة من الرّوايات:

كمرسل ابن أبي عمير الذي هو كالمسند المروي في الكافي والتهذيب عن الصادق ﷺ قال: (إذا بلغت المرأة خمسين سنة لم تر حمرة إلاّ أن تكون امرأة من قريش)[٢].

ومرسل المبسوط قال: تئس المرأة من الحيض إذا بلغت خمسين سنة، إلاّ إذا كانت امرأة من قريش، فانه روي انها ترى دم الحيض إلى ستين سنة[٣].

هذا ما أردنا بيانه في الأياس وسن اليأس، ونحن نلاحظ من خلال الروايّات الواردة، والرأي العلمي والطبي، ليس هنالك فرق محسوس في الإطار العام بين الرأيين، فقط استثني القرشية [والقرشية من انتسب إلى النضر بن كنانة جدّ النبي ﷺ[٤]].

والإستثناء هنا ليس مورد بحثنا نوكله إلى ذوي الإختصاص، ولكن بشكل عام ان البحوث الفقهيَة والطبيّة متطابقة في الرأي في هذا الخصوص.

---

(١) الوسائل: ٢ / ٣٣٧/ح٨ .

(٢) الوسائل: ٢/٣٣٦/ح٧.

(٣) راجع كتاب المبسوط: ١٠ / ٤٢، كتاب الطهارة.

(٤) كتاب الفقه: ١٠ / ٢٩٣ .

الفصل الثالث

الحمل والولادة

- تشخيص الحَمل اليقيني والعدّة
- البُعد الإنساني (الروح)
- الظلمات الثلاث
- القرار المكين والقدر المعلوم
- الدورة الحيضيّة العاديّة
- التغيّرات الهرمونيّة
- أخطار الحمل المديد
- أخطار الخداج
- الولادة
- الولادة قبل الأوان
- أنواع التوائم
- طبيعة الصفات الوراثيّة
- الذكر يحدد نوع الجنس

تشخيص الحَمل اليقيني والعدّة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿حملته أمّه وهناً على وهن..﴾[(١)].

انّ الشعور بحركة الجنين، وسماع نبضات القلب، هما العلامتان اليقينيتان لتشخيص الحمل، وكل العلامات التي تسبقهما كانقطاع الطمث وأعراض الوحام، وحتى إيجابية تفاعل الحمل الحيوي لا تعتبر علامات يقينية نستطيع على أساسها القطع بحصول الحمل، فهناك حالات مرضية، يمكن ان تعطي نفس الأعراض، كالرحى العدارية، والورم الكوريوني البشري، والحمل الهيسترياثي.

وكما لاحظنا ان هاتين العلامتين: شعور الحامل بحركة جنينها وسماع الطبيب لدقات قلب الجنين يحصلان بعد الشهر الرابع، وهذا ما بينه الله تعالى في كتابه الكريم حيث قال سبحانه: ﴿والذين يتوفّون منكم ويذرون ازواجاً يتربّصنَ بأنفسهنّ اربعة اشهر وعشراً﴾[(٢)].

انّ وجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة ظاهر بلا شك، وهي تقرّر ما يسمى بعدة المرأة التي توفي زوجها، حيث حددت وبالضبط المدة التي يصبح عندها أو بعدها تشخيص الحمل يقينياً.

أمّا الحكمة من هذه العدة، فقد علمها الأطباء الشرعيون؛ فخلالها يمكن إثبات ما إذا كان الحمل من الزوج المتوفى أم لا، وحتى لا تنسب المرأة حملاً حملته سفاحاً لزوجها المتوفى، وحتى لا ينكر أهل الزوج المتوفى بنوّة الجنين الجديد لأبيه بغية التخلص من ميراثه، ويتهمون الأم البريئة بأنّ حملها هذا

---

(١) سورة لقمان: ١٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٤.

سفاحاً أم من زوجها الجديد. وإلى آخر ما هنالك من المظالم التي قد تسبب الكثير من المشاكل الاجتماعية[1].

البُعد الإنساني (الروح):

البُعد الانساني هو البعد الذي يبين كيف جعل الله من الطين الرخيص بشراً تسجد له الملائكة المكرمون، قال تعالى: ﴿*إذ قال ربك للملائكة إنّي خالق بشراً من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين*﴾[2] وهو بعد الحياة الإنسانية - وليس الخلوية - الذي يمنحه الحق تبارك وتعالى للانسان، وهو ما يزال في بطن أمه، عندما يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، وذلك بعد (١٢٠) يوماً، أي بعد أربعة أشهر، وهذا ما يطابق معطيات العلم الحديث.

وهكذا نفهم ذلك البعد الذي خص الله به الإنسان، فلم يعد مجرد عناصر أوليّة لا تساوي في قيمتها سوى بضع دراهم في ميزان البيع والشراء، كما لم يعد مجرد مجموعة خلوية حية، بل ميّزه عن باقي مخلوقاته يوم جَمَع بين المادة والروح في خلقه، وبذلك كان الانسان خليفة الله في أرضه، ومهبط وحيه ورسالاته، وحامل أمانته، قال تعالى: ﴿*إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة..*﴾[3] والخليفة هنا لابد من ان يمتلك ما يمكنه من القيام في عمله بصورة صحيحة وعادلة، من مقومات وإمكانات تتناسب وطبيعة عمله في ظل ظروف زمانية ومكانية تجعله محققاً للأهداف والغايات التي من أجلها خلق بتلك الهيئة المتكاملة وجعل خليفة لله تعالى[4].

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم: ٨٥.

(٢) سورة ص: ٧١-٧٢.

(٣) سورة البقرة: ٢٣٤.

(٤) مع الطب في القرآن الكريم: ٨٦.

الظُلُمات الثلاث:

قال تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظُلُماتٍ ثلاثٍ ذٰلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تُصرفون﴾[1].

في الوقت الذي تتعرض فيه الخلايا المضغية للأطوار التي ذكرناها سابقاً، يتكون هنالك ما يسمى بالخلايا المغذية التي تأخذ على عاتقها تأمين الغذاء والهواء لحصول الحمل، ثم يتشكل منها ملحقات الجنين والتي منها تلك الأغشية الثلاثة التي تحيط ببعضها، وهي من الداخل إلى الخارج:

١- الغشاء الأمينوسي Amniotic membrane: وهو يحيط بالجوف الأمينوسي المملوء بالسائل الأمينوسي، الذي يسبح فيه الجنين بشكل حر.

٢- الغشاء الكوريوني Chorionec membrane: الذي تصدر عنه الزغابات الكوريونية التي تنغرس في مخاطية الرحم.

٣- الغشاء الساقط Disidua membrane: وهو عبارة عن مخاطية الرحم السطحية بعد عملية التعشيش ونمو محصول الحمل، وسمي بالساقط لانه يسقط مع الجنين عند الولادة.

وبالنظر إلى الآية السابقة: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظلماتٍ ثلاث﴾[2] واستناداً إلى المعطيات العلمية التي ذكرناها حول الأغشية الثلاثة، نجد انفسنا مرة أخرى أمام إعجاز قراني جديد، إذ أشارت الآية الكريمة لأغشية الجنين الثلاثة بتصوير واقعي لجو الظلمة المحيطة بالجنين، فما أسماه القرآن بالظلمة: ظلمة الغشاء الأمينوسي، وظلمة الغشاء الكوريوني، وظلمة الغشاء الساقط[3].

---

(١) سورة الزمر: ٦.

(٢) سورة الزمر: ٦.

(٣) وردت تفسيرات عديدة حول الظلمات الثلاث، فيعتبرها الدكتور محمد وصفي: ظلمة الخصية، والمبيض، وظلمة الرحم، وفي كتاب (القران محاولة لفهم عصري) لمؤلفه مصطفى محمود

وهنالك شيء آخر تبينه الآية الكريمة هو كون عملية الخلق تتم على أطوار متلاحقة داخل هذه الظلمات الثلاث: ﴿خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾[1].

كما لا ننسى أنّ هنالك آراء متعدّدة في تفسير معنى الظلمات الثلاث .

ورد تفسير للظلمات: ظلمة البطن والرحم وظلمة الغشاء الأمينوسي. والواقع ان ما يجعلنا نستبعد هذين التفسيرين هو صريح الآية الكريمة التي تحصر الظلمات الثلاث على انها داخل البطن، وهكذا فلا يعتبر البطن من الظلمات، كما لا تعتبر الخصية منها لأنها خارج البطن أيضاً.

(١) سورة الزمر: ٦.



(التصوير رقم ١٧)

الظلمة الأولى: صورة حقيقيّة للبويضة وقد استقرّت بين تلافيف الأنبوب خلال الظلمة الأولى من الظلمات الثلاث التي يمّر فيها الجنين تتابعاً



(التصوير رقم ١٨)

هنا يسبح الجنين داخل السائل الأمينوسي محاطا بغشاء السلي .

الجنين في الاسبوع السادس وطوله ١٥ ملم

القرار المَكين والقَدَر المعلوم:

قال تعالىٰ في سورة المرسلات: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين ۞ فجعلناه في قرارٍ مكين ۞ إلى قدرٍ معلوم ۞ فَقَدَرنا فنعمَ القادرون ۞ ويل يومئذٍ للمكذّبين﴾[١].

بهذا الأسلوب المعجز يشير تعالى إلى حقيقتين علميتين ثابتتين ليس في علم الأجنة فقط، وانما في علم التشريح والغريزة أيضاً.

الحقيقة الأولى: هي وصف الآيات للرحم بالقرار المكين في قوله تعالى: ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾.

والحقيقة الثانية: إشارتها إلى عمر الحمل الثابت تقريباً، أو ما أسماه القرآن: القدر المعلوم كقوله تعالى: ﴿إلىٰ قَدَرٍ معلوم﴾ وكأنّي بالقران الكريم عندما أشار لهاتين النقطتين، انما يتحدى علماء الأرض على مدار التاريخ، ويدعوهم للبحث والتأمل بهما لما تحتويان من الأسرار كما سنرى في تفصيلنا لهما ان شاء الله[٢].

القرار المكين:

﴿ولقد خلقنا الانسانَ من سُلالةٍ من طينٍ ثم جعلناهُ نُطفةً في قرارٍ مكينٍ﴾[٣].

علمنا مما تقدم ان النطفة هي أولى مراحل التطور الخلقي للانسان، وهي صغيرة لا ترى إلاّ بعد تكبيرها مئات المرات، جعلها الله في هذا القرار، فتكاثرت وتخلقت حتى أعطت هذا البناء العظيم.

وخلال هذه المرحلة كانت تنعم بكل ما تتطلبه من الغذاء والماء والأوكسجين في مسكن أمين ومنيع ومريح، وتحت حماية مشددة من أي

---

(١) سورة المرسلات: ٢٠ - ٢٤.

(٢) مع الطب في القرآن الكريم: ٨٨.

(٣) سورة المؤمنون: ١٢ - ١٣.

طارئ داخلي أو خارجي، ألا وهو الرحم الذي وصفه الله تعالى بالقرار المكين.

ولابد من ان تستوقفنا هذه التسمية قليلاً لمعرفة السر الكامن وراءها، والعمق الإلهي لهذا المعنى الرائع والذي يخفي وراءه الكثير من القدرة والحكمة الإلهية لهذا الخلق العجيب الذي مكّنه من حفظ كافة أطوار التخلق الانساني على مدى فترة من الزمن وفي مأمن من أي مكروه يصيبه.

القصة شيّقة وممتعة لا يملك من يطالعها إلاّ ان يسبح الخالق العظيم، وهو يرى تعاضد الآليات المختلفة: التشريحية، والهرمونية، والميكانيكية، وتبادلها في كل مرحلة من مراحل تطور الجنين؛ لتجعل من الرحم دائماً قراراً مكيناً.

أما تشريحياً فيمكن الإشارة هنا إلى نقاط عديدة:

١- يقع الرحم في الحوض بين المثانة من الأمام، والمستقيم من الخلف، وتتألف من ثلاثة أقسام تشريحية هي: الجسم والعنق والمنطقة الواصلة بينهما وتسمى المضيق.

٢- يحيط بالرحم جدار عظمي قوي جداً يسمى الحوض، ويتألف الحوض من مجموعة عظام سميكة هي العجز والعصعص من الخلف، والعظمين الحرقفيين من الجانبين، ويمتدان ليلتحما في الأمام على شكل عظم العانة.

هذا البناء العظمي المتين لا يقوم بحماية الرحم من الرضوض والضغوط الخارجية من الجوانب كافة فحسب، وانما يطلب منه ان يكون على شكل بناء وترتيب تشريحي يرضى عنه الجنين، بحيث يكون ملائماً لنموه، متناسباً مع حجمه وشكله، وان يسمح له عندما يكتمل نموه ويكبر آلاف المرات بالخروج والمرور عبر فتحته السفلية إلى عالم النور، وبشكل سهل، فأي اضطراب في شكل الحوض أو حجمه قد يجعل الولادة صعبة أو مستحيلة، وعندها يلزم شق البطن لاستخراج الوليد بعملية جراحية تسمى «القيصرية».

٣- أربطة الرحم؛ هناك أربطة تمتد من أجزاء الرحم المختلفة لترتبط بعظام الحوض أو جدار البطن تسمى الأربطة الرحمية تقوم بحمل الرحم، وتحافظ على وضعيته الخاصة الملائمة للحمل والوضع، حيث يكون كهرم مقلوب، قاعدته نحو الأعلى وقمته في الأسفل، وينثني جسمه على عنقه بزاوية خفيفة إلى الأمام، كما تمنع الرحم من الانقلاب إلى الخلف أو الأمام، ومن الهبوط للأسفل بعد ان يزداد وزنه آلاف المرات.

هذه الأربطة هي: الرباطان المدوران، والرباطان العريضان، وأربطة العنق الأمامية والخلفية. ولندرك أهمية هذه الأربطة، يكفي ان نعلم انها تحمل الرحم التي يزداد وزنها من (٥٠غ) قبل الحمل إلى (٥٣٢٥) غ مع ما تحويه من محصول الحمل، وان انقلاب الرحم إلى الخلف قبل الحمل قد يؤدي للعقم لعدم إمكان النطاف من المرور إلى الرحم، وإذا حصل الانقلاب بعد بدء الحمل فقد يؤدي للإسقاط[1].

أما هرمونياً: فيكون الجنين في حماية من تقلصات الرحم القوية، التي يمكن ان تؤدي لموته، أو لفظه خارجاً، وذلك بارتفاع عتبة التقلص لألياف العضلة الرحمية بسبب ارتفاع نسبة (هرمون البروجسترون) الذي هو أحد أعضاء لجنة التوازن الهرموني أثناء الحمل، والتي تتألف من:

١- المنميات التناسلية Gonadotrophin كمشرف.

٢- هرمون الجريبين Ostro gen كعضو يقوم بالعمل بشكل مباشر.

٣- هرمون البروجسترون Progesteron كعضو يقوم بالعمل مباشرة.

تتعاون هذه اللجنة وتتشاور لتؤمن للجنين الأمن والاستقرار في حصنه المنيع، فلنستمع إلى قصتها بإيجاز:

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم: ٨٩.

ما إن تعشعش البيضة في الرحم حتى ترسل الزغابات الكورونية إلى الجسم الأصغر في المبيض رسولاً يدعى المنميات التناسلية تخبره بان البيضة بدأت التعشيش، وتطلب منه ان يوعز للرحم ان تقوم بما عليها من حسن الضيافة.

وفعلاً يقوم الجسم الأصغر بإفراز هرموني (الجريبين واللوتئين) بشكل متزايد، ولهذين الهرمونين التأثير المباشر على الرحم لتقوم بتأمين متطلبات محصول الحمل، كما ان لهرمون اللوتئين (البروجسترون) - كما ذكرنا - الفضل في رفع عتبة تقلص العضلات الرحمية، فلا تتقلص إلاّ تقلصات خفيفة تفيد في تعديل وضعية الجنين داخل الرحم.

وفي الشهر الثالث يبدأ الجسم الأصغر بالإعلان عن اعتذاره من الاستمرار في تقديم هذه الهرمونات، ويميل للضمور، وفي هذا الوقت تأخذ المشيمة - التي تكون قد تكونت - على عاتقها أمر تزويد الحمل بمتطلباته المتزايدة من الهرمونات حتى نهاية الحمل.

وهكذا نجد لغة التفاهم والتعاون ظاهرة في هذه اللجنة الهرمونية والجهات التي تصدر عنها.

أمّا ميكانيكاً: فبعد الشهر الثالث يبدأ الرحم بالارتفاع بشكل واضح إلى البطن، وفي هذه الحالة يصبح خارج الحماية العظمية الحوضية.

إذن فمن يحمي الجنين عندها من الصدمات الخارجية؟!.

لقد أجاب العلماء عن هذا السؤال حسبما أثبتوه بالتجربة والبرهان بما يلي:

انّ العناية الإلهية فاقت كل تصور، فمنذ الأشهر الأولى للحمل يكون هناك ما يسمى بالسائل الأمينوسي، الذي يفرزه الغشاء الأمينوسي، هذا السائل يحيط بالجنين من كل الجهات، وتزداد كميته بشكل واضح حتى

تصبح حوالي (١٠٠٠) سم٣ في الشهر السادس، ثم تميل إلى النقصان تدريجياً، وتقدر وسطياً بـ(٥٠٠-٦٠٠) سم٣ في نهاية الحمل.

يقوم هذا السائل إضافةً لوظائفه الكثيرة بوظيفة هامة هي حماية الجنين من الصدمات الخارجية، حيث يمتص قوة الصدمات بتوزيعها على سطح أوسع، كما يشارك في الحماية أيضاً جدار البطن والأغشية الثلاثة وجدار الرحم ذاته.

وبهذا يكون الجنين وبعد الشهر الثالث قد تجاوز المرحلة الدقيقة والخطرة، ويصبح أكثر تحملاً للطوارئ والرضوض، بل كثيراً ما يباشر ببعض المناورات من الداخل بحركاته الفاعلة التي تثبت وجوده ومهارته.

وبعد كل ما مضى من التجربة والبرهان اصبح المعنى واضحاً جلياً لتسمية الرحم بالقرار المكين. فكونه قراراً أي: «بمعنى المقر الذي تستقر فيه النطفة، وكونه مكيناً أي: لتمكنها من حفظ النطفة من الضيعة والفساد حيث تكون النطفة مستقرة متمكنة..»[1] وقد صدق الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾[2].

القَدَر المعلوم :

قال تعالىٰ في سورة المرسلات: ﴿فجعلناهُ في قرارٍ مكينٍ ❁ إلىٰ قدرٍ معلومٍ ﴾[3].

الرحم : قرار مكين لحصول الحمل، ولكن ذلك لمدة محدودة وثابتة تقريباً تعرف بمدة الحمل، وهي تقدر بـ (٢٧٠-٢٨٠) يوماً، أو بـ (٤٠) أسبوعاً، أي ما يعادل تقريباً عشرة أشهر قمرية، أو تسعة أشهر شمسية، يصبح بعدها

---

(١) تفسير الميزان: ١٥ /٣٠ ، بحار الانوار: ٥٧ /٣٢٣ بالمعنى.

(٢) سورة المرسلات: ٢١.

(٣) سورة المرسلات: ٢١ - ٢٢.

الجنين قادراً على الحياة في العالم الجديد، ولهذه المدة أشار القران الكريم بالقدر المعلوم، ففي سورة الحج: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1] فهنا يسمي القران هذه المدة بالأجل المسمى أي الأمد المحدد.

الإعجاز القراني:

ان إعجاز هذه الآيات ليس في إشارتها لمدة الحمل، انما في تقريرها ان ذلك القدر من مدة الحمل هو أفضل ما يمكن ان يكون، وإذا ما زاد أو نقص لأي سبب فان الضرر لاحق بالوليد أو بأمه، فلو استمر الحمل لأكثر من (٤٢) أسبوعاً اعتباراً من بداية آخر طمث سمي بالحمل المديد، وإذا استمر أقل من (٣٨) أسبوعاً، اعتبر الوليد خديجاً بالخاصة؛ ولكي نتبين الحكمة من مدة الحمل الطبيعية والتي هي بين الأسبوع (٣٨) والأسبوع (٤٢) أو ما أسماها القران بالقدر المعلوم، فسوف نستعرض طبيعة الدورة الحيضية العادية والاختلاف الهرموني على امتداد هذه الدورة ثم نوجز أهم أخطار الحمل المديد والخداجة «التوكسيميا»[2].

الدورة الحيضية العادية:Normal Menstrual Cycle

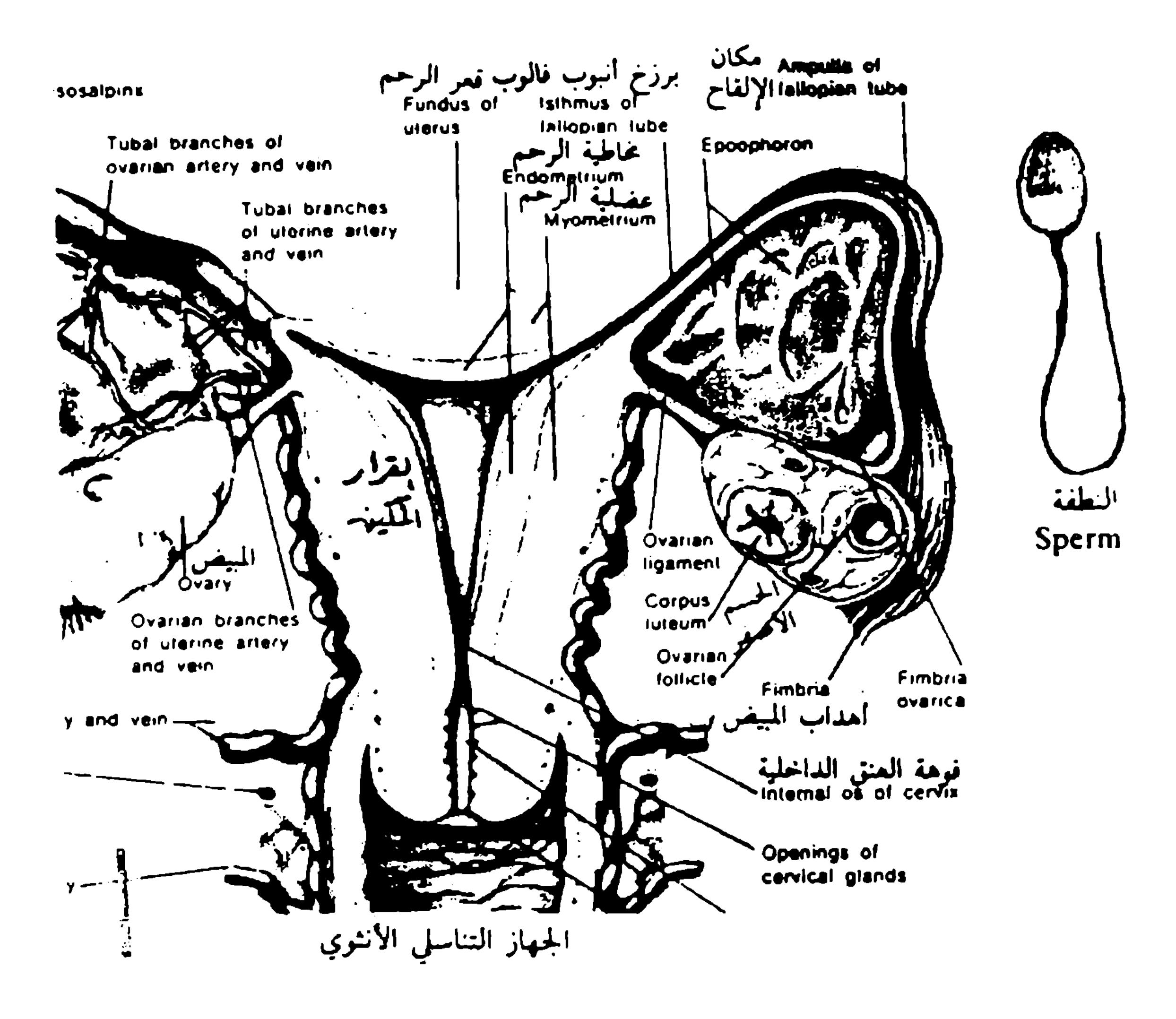
يمكننا أن نقسم الدورة الحيضية العادية إلى جزأين: الدورة المبيضية والدورة الرحمية. وذلك اعتماداً على العضو الذي يخضع للاختبار.

ويمكننا أيضاً ان نزيد في تقسيم الدورة المبيضية بحيث تصبح طورين: الطور الجريبي والطور اللوتئيني، بينما نقسم الدورة الرحمية إلى طورين: الطور التكاثري والطور الإفرازي.

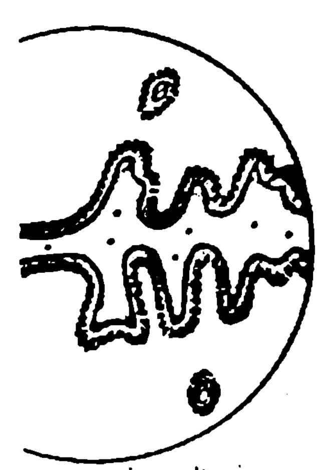
---

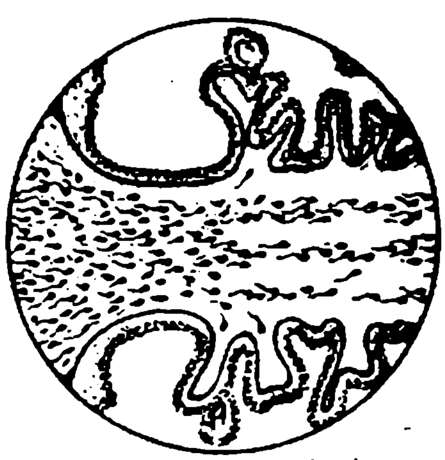
(١) سورة الحج: ٥.

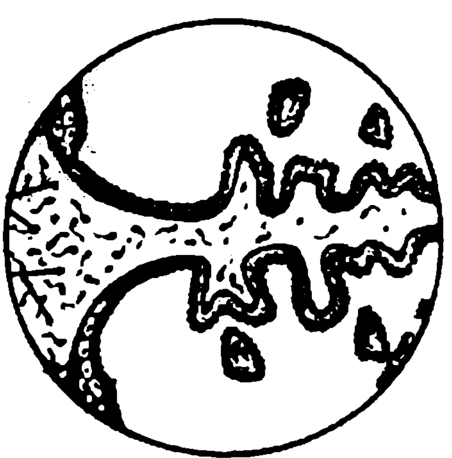
(٢) مع الطب في القرآن الكريم: ٩١.



الجهاز التناسلي الأنثوي







في اليوم السادس من الدورة: عنق الرحم متضيق، والمخاط فيه قليل وفقير، وهجرة النطاف متعوقة Impeded

في اليوم الثالث عشر: عنق الرحم متوسع، والمخاط رقيق ومائي وغني، ويلاحظ تدفق تيار النطاف عبر قناة العنق

في اليوم السادس عشر عنق الرحم متضيق والمخاط سميك ولزج وتحرك النطاف معوق أيضا

(التصوير رقم ١٩)

تتميّز أطوار الدورة المبيضيّة بما يلي:

١- الطور الميضي: يحرض التلقيم الراجع الهرموني بانتظام على تطوير الجريب المسيطر الوحيد الذي سيصبح في منتصف الدورة ويستعد للإباضة، يبلغ الطول الوسطي للطور الجريبي عند الانسان من ١٤ - ١٥ يوماً. ويعتبر الاختلاف في مدة هذا الطور هو سبب معظم التغيرات في طول الدورة.

٢- الطور اللوتئيني: هو الزمن الممتد من الإباضة حتى بداية الحيض، يبلغ معدل طوله حوالي ١٤ يوماً.

تدوم الدورة الطمثية العادية من ٢١ - ٣٥ يوماً، وتبلغ مدة النزف ٢ - ٦ أيام بينما تتراوح كمية الدم الوسطى من ٢٠ - ٦٠ مل، على كل حال لقد ظهر ان أعداداً كبيرة من النساء ذوات الدورة العادية خضعن للدراسة، ثبت ان ثلثي هذه الأعداد فقط كانت مدى الدورة عندهن ٢١ - ٣٥ يوماً.

أما طرفي الحياة التكاثرية (بعد بدء الإحاضة، وحول سن اليأس) فانهما يتميزان بنسبة مئوية عالية من الدورات اللاإباضية وغير المنتظمة[١].

التغيّرات الهرمونيّة:

يبين الشكل التالي النموذج النسبي من الاختلاف الهرموني المبيضي الرحمي على امتداد الدورة الحيضية العادية.

١- في بداية كل دورة حيضية شهرية تكون مستويات الستيروئيدات القندية منخفضة. وتتابع انخفاضها حتى نهاية الطور اللوتئيني من الدورة السابقة.

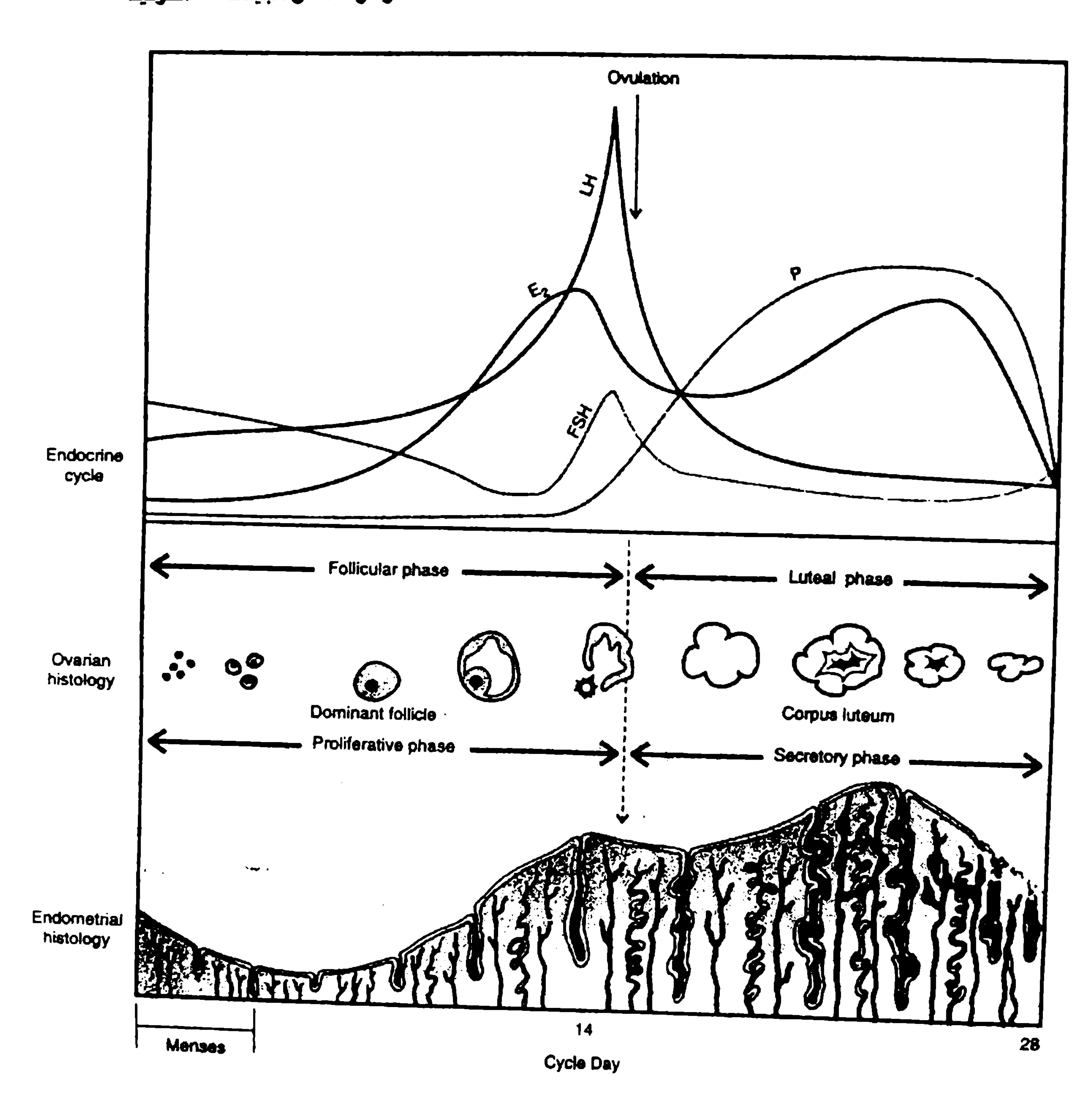
---

(١) الجامع في أمراض النساء: ٧٥.

٢- مع زوال الجسم الأصفر تبدأ مستويات FSH بالارتفاع، كما يبدأ تجنيد مجموعة من الجريبات الآخذة بالنمو ويفرز كل من هذه الجريبات مستويات مرتفعة من الأستروجين عندما تنمو في الطور الجريبي، وهذا بدوره يعتبر محرضاً لتكاثر البطانة الرحمية.

٣- ان المستويات المرتفعة من الأستروجين تؤمّن تلقيماً راجعاً سلبياً لإفراز FSH من النخامة، الذي يبدأ بالتناقص في منتصف الطور اللوتئيني. على العكس فان LH يتحرض في البداية بواسطة إفراز الأستروجين خلال كامل الطور الجريبي.

٤- في نهاية الطور الجريبي (تماماً قبل الإباضة) تكون مستقبلات LH المحرضة FSH موجودة على الخلايا الحبيبية، ومع إفراز LH يتعدل إفراز البروجسترون.



(التصوير رقم ٢٠)

الدورة الطمثية، يظهر المخطط العلوي التغيرات الدورية في FSH وLH والاستراديول (E2) والبروجسترون (P)، ذات الصلة بزمن الإباضة. أما المخطط السفلي فإنه يظهر علاقة الدورة المبيضية في الأطوار الجريبية واللوتينية، والدورة البطانية الرحمية في الأطوار التكاثرية والافرازية.

فيزيولوجيّة الدورة الطمثيّة:Menstrual Cycle Physiology:

يحدث في الدورة الطمثية العادية انتاج دوري منتظم للهرمونات وتكاثر مرافق لبطانة الرحم استعداداً لإفراز المضغة.

انّ الاضطرابات في الدورة الطمثية وكذلك الاضطرابات في الفيزيولوجية الطمثية يمكن ان تؤدي إلى حدوث حالات مرضية متنوعة، بما فيها العقم والإجهاض المتكرر[١].

أخطار الحمل المديد:

أوّلاً- على الجنين: ويمكن إيجازه بنقاط ثلاث:

١- يتعرض الجنين أثناء الحمل لنقص الأوكسجين بسبب قلة المبادلة الغازية وخاصة إذا كانت الأم مصابة بالانسمام الحملي، أو ارتفاع التوتر الشرياني.

٢- صعوبة الولادة بسبب كبر حجم رأس الجنين.

٣- يعاني الجنين أثناء المخاض من نقص في الأوكسجين، قد يكون شديداً فيولد ميتاً، أو يموت بعد الولادة بقليل.

ثانياً - على الأم: ويمكن توضيحه بنقطتين:

١- اضطراب طبيعة التقلصات الرحمية أثناء المخاض، وما ينتج عنه من أخطار على الأم كالإعياء الشديد، والتعرض للانتان والتجفاف، والتعرض للنزف بسبب سوء انقباض الرحم.

٢- الحمل المديد ضد مصلحة الأم الحامل المصابة بالانسمام الحملي «التوكسيميا»[٢].

---

(١) الجامع في أمراض النساء : ٧٩.

(٢) مع الطب في القرآن الكريم: ٩٢.

أخطار الخداج:

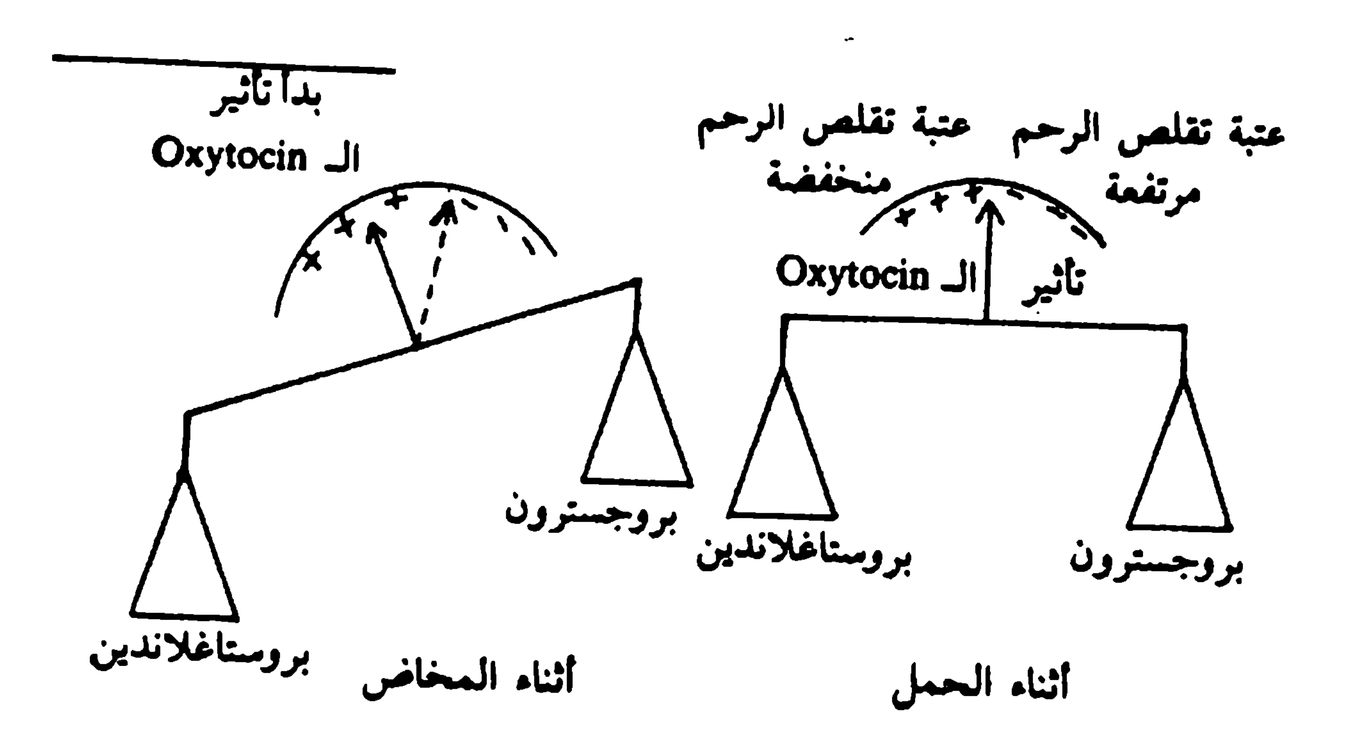
الخديج هو وليد ناقص الوزن، وتزداد الأخطار التي يتعرض لها كلما كان نقص الوزن شديداً. وأهم هذه الأخطار التي تجعل من وفيات الخدّج تشكل (٥٠٪) من وفيات المولودين حديثاً هو الانتان؛ لقلة مقاومته ونقص مناعته، وكذلك يتعرض الخديج لخطر العديد من الأمراض كالرضوض الولادية، ونوب الإزرقاق (نوب توقف التنفس) وتناذر الشدة التنفسية، والاستعداد للنزوف، واليرقان النووي، وفقر الدم الخداجي، والوذمات، وإصابات الشبكية في العين.

وما يحير العلماء هو كيفية استمرار الحمل مدة (٢٨٠) يوماً تقريباً لحين بدء المخاض، فلا زيادة ولا نقصان بشكل عام. ثم كيف يحتفظ الرحم بالحمل حتى المائتين والثمانين يوماً؟ ولماذا لا يطرح الرحم محصوله قبل ذلك بكثير، خاصة وان محصول الحمل يعتبر جسماً غريبا بالنسبة للمرأة من الناحية المناعية؟!

ولتعليل بدء المخاض بعد مدة من الحمل استمرت (٢٨٠) يوماً، هنالك نظريات عدة أثبتها العلم الحديث منها: نظرية شيخوخة المشيمة، ونظرية مُفرَز الغدة النخامية Oxytocin ونظرية فرط التمدّد، والنظرية المناعيّة، وأحدث النظريات التي وضعت: نظرية هرمون الجنين البروستاغلاندينprostaglandin ، والقول الأقرب للحقيقة هو أن مفرز Oxytocin يسبب تقلصات خفيفة للرحم أثناء الحمل؛ لان هناك توازناً بين هرمون «البروجسترون» الذي تفرزه المشيمة، وهرمون آخر «البروستغلاندين» اكتشف حديثاً في السائل الأمينوسي ويفرزه الجنين، وعندما ينخفض مستوى البروجسترون بسبب شيخوخة المشيمة، ويرتفع

مستوى البروستغلاندين يـزداد ارتكـاس عضلـة الرحـم لمفـرز الغـدة النخاميـة، ويبدأ المخاض.

وهنا يرد سؤال آخر وهو: كيف يتم هـذا الانخفاض المفاجئ في مستوى البروجسترون بعد ان كان مستواه عالياً جداً في آخر الحمل؟ وهو ما لم يفصح عن جوابه العلم الحديث في الوقت الحاضر[١]. وصدق من قال: ﴿*فقدرنا فنعم القادرون*﴾[٢].



(التصوير رقم ٢١)

(١) مع الطب في القرآن الكريم: ٩٣.

(٢) سورة المرسلات: ٢٣.

الولادة:

قال تعالى: ﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أكفرهُ ❁ مِنْ أيِّ شيءٍ خلقهُ ❁ من نطفة خلقه فقدّره ❁ ثم السبيلَ يسّره﴾[١] أي سهّل عليه الخروج من بطن أمه.

بعد رحلة بديعة دامت أربعين أسبوعاً تجلت فيها كل صور الروعة الأخّاذة، يعلن الجنين عن مقدرته على مواجهة الحياة، ويرى الرحم انه لابد من لفظ الجنين خارجاً، وتبدأ عملية الولادة بتقلصات الرحم الدورية، التي تبتدئ خفيفة وقصيرة وبفواصل متباعدة تقدر بـ(١٥ – ٢٠ دقيقة)، ثم تصبح التقلصات قوية وبفواصل أقل فأقل، كما تزداد شدة التقلصات وتستمر مدة أطول تصل إلى الدقيقة.

تعاني الماخض أثناء ذلك آلاماً شديدة، تلك الآلام التي جاءت بسيدتنا مريم إلى جذع النخلة عند ولادتها بالسيد المسيح ﷺ حيث قال تعالى في سورة مريم: ﴿فأجاءها المخاضُ إلى جذع النّخلة قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسيا﴾[٢].

وعندما تتم الولادة ويخرج الجنين إلى الوجود ثم تتبعه المشيمة والأغشية، يتقلص الرحم تقلصاً واحداً مستمراً وقوياً يخفف النزف الحاصل.

وإنّ تقلصات العضلة الرحمية هذه وميزاتها وتطورها أثناء المخاض وبعده، تجعل من عملية الولادة التي تتكرر في حياتنا باستمرار، عملية خارقة بالفعل، فلو تصورنا ان الرحم قام بتقلص واحد وشديد، ليخرج الجنين بشكل سريع، فماذا سيحصل؟ ان النتيجة ستكون موت الجنين بسبب الضغط القوي الحاصل عليه، أو بسبب نقص ورود الدم إليه عبر المشيمة.

---

(١) سورة عبس: ١٧ – ٢٠.

(٢) سورة مريم: ٢٣.

ولو تصورنا ان الرحم استمرّ بعد خروج الجنين والملحقات بتقلصاته الدورية، فسيؤدي ذلك لنزيف هائل من ذلك الجرح الكبير الذي تركته المشيمة مكان ارتكازها، وبالتالي موت المرأة بالصدمة حتماً، وهنا تتدخل يد العناية المدبرة لتتدارك الأمر مباشرة، وتُصدر النخامة أمرها للرحم بأن يتقلّص تقلّصاً واحداً وشديداً ومستمراً يجعل من الرحم كتله منكمشة على كَلِمِها، وتسمى كرة الأمان؛ لانها جعلت الولود في مأمن من خطر النزيف.

أما عنق الرحم فيكون قبل بدء المخاض مغلقاً، وإذا به يتوسع ويتمدد تدريجياً بفعل تلك التقلصات الدورية حتى درجة الانمحاء وبشكل يسمح للجنين الكامل ان يمر عبره.

فتبارك الخالق الذي رعى الجنين بكل عناية حتى اكتمل خلقه، ثم يسّر له سبيل الخروج إلى الدنيا؛ ليبدأ مرحلة المكابدة والامتحان[١].

الولادة قبل الأوان :

العامل الوحيد المتوافق مع الوفيات الجنينية والوليدية في الحمل التوأمي هو وزن الولادة القليل، فقد أظهرت مراجع لـ٢٦ دراسة مستفيضة لحمولة توأمية ان ٥٥,٥٨٪ من التوائم لديهم أوزان ولادة تحت (٢٥٠٠) غرام، وينجم هذا عن معظم حالات الولادة قبل الأوان بسبب المخاض المبكر أو تمزق الأغشية المبكر.

أنواع التوائم:

في الحالات المتعارف عليها عند الحمل كثيراً ما تلد المرأة ذكراً أو انثى بصورة مفردة، أما في حالات خاصة قد يتعدد الحمل ويحتوي الرحم على

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم: ٩٤.

أكثر من مولود ربما اثنين أو ثلاث أو أكثر، وهنا تتجلى قدرة الله تعالى في كيفية ذلك وما يسبغه من نعمه في حماية الجنين ومداراته وتغذيته، قال تعالى: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾(١).

قال الطبرسي ﵀ في تفسيره: «يعلم ما في بطن كل حامل من ذكر و انثى تام أو غير تام، ويعلم لونه وصفاته، وقال البيضاوي: أي وما تنقصه وما تزداد في الجنّة والمدّة والعدد»(٢).

وهنالك نوعان من التوائم:

أولاً- التوائم المتماثلة: هذه التوائم تنتج عن إخصاب حيوان منوي واحد لبويضة واحدة، فعند بدء انقسامها تنقسم إلى قسمين فينمو كل قسم على حدة مكوناً جنيناً مستقلاً منفرداً، يتغذى الجنينان بواسطة مشيمة واحدة.

هذه التوائم تتشابه في جميع الصفات الوراثية؛ لانها نتجت عن بويضة مخصّبة واحدة، إضافة إلى ذلك تكون هذه التوائم من جنس واحد إما ذكوراً أو اناثاً.

ثانياً- التوائم غير المتماثلة: تنتج هذه التوائم عن بويضتين أخصبت كل واحدة منهما بواسطة حيوان منوي بشكل مستقل، ونجم منهما زويجتان يتصل كل واحد منهما بناحية من جدار الرحم بواسطة مشيمة خاصة، ومن ثم نجد الجنينين مستقلين ومختلفين تماماً في كل شيء، حيث تختلف الصفات الوراثية لهذه التوائم، فقد تكون من جنس واحد أو من جنسين مختلفين تماماً(٣).

---

(١) سورة الرعد: ٨.

(٢) بحار الانوار: ٥٧ /٣٢١.

(٣) الجامع في التوليد: ٦٩٥.

وصدق الله تعالى حين قال: ﴿*يا أيّها الناس إن كنتم في ريبٍ من البعث فإنّا خلقناكم من ترابٍ ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم ونقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجلٍ مسمّى ثمّ نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتوفّى ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علمٍ شيئاً*﴾[1].

طبيعة الصفات الوراثيّة:

لا يخفى على الجميع قدرة الله تعالى في خلقه وحكمته في تصويره إياه منذ الوهلة الأولى لنشوئه حيث قال تعالى: ﴿*هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلّا هو العزيز الحكيم*﴾[2] فقد قدّر الله سبحانه للانسان ان يحمل صفاتاً ذات علاقة بآبائه أو أجداده من أمه وأبيه، فتلك الصفات التي تميزه عن غيره، تُرجع إلى تلك العوامل الوراثية لكلا الأبوين، رغم ان بعض الصفات قد تكون سائدة على صفات أخرى وهي الصفات المتنحية أو الضعيفة، فتعطي الصورة التي أرادها الله تعالى عن طريق تلك العوامل الوراثية لان تبقى على مدى العصور، فربما تظهر تلك الصفات الوراثية عن أقرب الآباء، وربما لا تظهر لفترة طويلة ولكنها تعاود الظهور مرة أخرى من جديد وفي جيلٍ آخر، لتظهر قدرة الله تعالى وحكمته في خلقه.

الذكر يحدّد نوع الجنس:

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿*يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور*﴾[3] لا تبتعد القدرة والحكمة الإلهية من التحكم في نوعية جنس المولود في كونه

---

(١) سورة الحج: ٥.

(٢) سورة آل عمران: ٦.

(٣) سورة الشورى: ٤٩.

ذكراً أو أنثى فهو خالق الكون والحياة والتي لابد ان تتمتع بنوع من التوازن يمكنها من الاستمرار والاستقرار، ومن هنا كثيراً ما تقع المزيد من المشاكل الاجتماعية بسبب الولادات ونوعية الجنس ومن المتحكم بهذه النوعية.

فمن الناحية العلمية استخدمت المصادر الوراثية المسؤولة عن المعلومات الوراثية رموزاً ثابتة - وفي كل العالم - كرمز XX للانثى ورمز YX للذكر، ومعنى ذلك هو اكتساب صفة الذكورة من وجود كروموسوم Y (الصبغي) وصفة الانوثة من وجود كروموسوم X (الصبغي).

فالنطف الذكرية تقسم إلى مجموعتين: مجموعة X ومجموعة Y، فعند التلقيح يقوم الحيمن من مجموعة X بتلقيح البويضة والتي هي بالأساس X فيكون الناتج أو المولود (X X) وهو الانثى، أما إذا لقح الحيمن من مجموعة Y البويضة X فيكون المولود (YX) وهو الذكر، ولابد هنا وتبعاً للنتائج العلمية ان نبين بان الذكر هو المسؤول عن نتيجة نوع الجنس كونه ذكراً أو انثى باعتبار نوع النطف الموجودة لديه والتي حددها العلم بـX وY والمخطط التالي يوضح ذلك:

X X	×	X Y	الأجناس
X		X Y	الأمشاج
X Y		X X	الأجيال

التخطيط يوضح جنس المولود عند التلقيح تبعاً لوجود نوعين من النطف الذكرية وهما X،Y[1].

(١) الوراثة والجنس: ٨٥.

الفصل الرابع

النجاح والفشل التناسلي

- نظرة عامة.
- النجاح التناسلي البشري إلى أبعد حد.
- فشل التناسل البشري.
- الرؤية الصحيحة للتناسل البشري.
- التناسل في الرئيسيات الأخرى.
- الولادة في المجتمعات البدائية.
- شريك المرأة العصرية التناسلي.
- تنبؤات نجاح وفشل التكاثر الجنسي.
- مدى حياة كل من النطفة والبويضة.
- القاعدة النظرية للتنبؤات.
- مصدر فقدان الحمول.
- من يحتاج إلى منع الحمل.
- وسائل منع الحمل الشائعة التطبيق.

نظرة عامة:

تكون الأنثى في أغلب الأنواع المصدر المحدود مع إحترام الوظيفة التناسلية. وهذهِ هي الحالة لدى الإنسان ولكن كما لاحظ (Shont) عام ١٩٧٦م بأنّ الإنسان هو الثديي الوحيد الذي تخلّت أنثاه عن الظاهرة السلوكية الدورية للودان التي تسلكها وتصبح خلالها جذابة ومتقبلة للذكر غريزياً.

قد تبدّل ذلك في البشر بحيث ان الانثى تكون جذابة ومتقبلة للذكر في أيّ وقت منذ البلوغ وحتّى سن متأخرة.

وحدهم البشر من الرئيسيات التي يتأخر البلوغ فيها حتى العقد الثاني من الحياة، كما يتميز البشر بانهم وحدهم من الرئيسيات التي يكون فيها تطور الثدي كامل خلال البلوغ، بينما بقية الثدييات يحصل تطور الثدي مع الحمل الأول، كما يوجد دليل جيد على ان الأثداء مثيرة للشهوة في المجتمعات البدائية والمتقدمة.

بيد أنّ البشر تكيفوا مع مستويات دنيا من الفعالية الجنسية المستمرة، لأنّ المرأة جذابة في كل أوقات الدورة المبيضية، بالإضافة لكونها متقبلة في كل الأوقات للذكور.

هذهِ الإعتبارات هامة في استنباط التنبؤات في نجاح أو فشل الوظيفة التناسلية البشرية، وهذهِ الحالة كما سنجدها تكون مشكلة فريدة ومعقدة للتناسل البشري.

تتضمن حالة الودان في الحيوانات الأخرى وجود النطاف مسبقاً في قناة فالوب خلال وقت الإباضة، أمّا في الانسان فقد تصل النطاف متأخرة، كما ان

مدة حياة البويضة الجاهزة للإلقاح قد يمتد لدرجة تسمح بإلقاح يقود لجنين طبيعي وصحيح التكوين، يبدو ان الإنسان تقبل ميزات الروابط الأسرية الناتجة عن الفعالية الجنسية كبديل لمخاطر تأخر أو غياب إخصاب البويضة.

وتأكيداً لذلك نذكر هنا ما بينته لنا الروايات الواردة عن أهل البيت ﷺ في كيفية إتيان المرأة وإثارة الغريزة الجنسية لديها، حيث نقل العلامّة المجلسي قدس سره في بيان أمر الجماع مايلي:

(ولا تجامع امرأة حتى تلاعبها، وتكثر ملاعبتها، وتغمز ثدييها، فانك إذا فعلت ذلك غلبت شهوتها واجتمع ماؤها، لان ماءها يخرج من ثدييها، والشهوة تظهر من وجهها وعينيها، واشتهت منك مثل الذي تشتهيه منها. ولا تجامع النساء إلاّ وهي طاهرة. فإذا فعلت ذلك فلا تقم قائماً، ولا تجلس جالساً، ولكن تميل على يمينك. ثمّ انهض للبول إذا فرغت من ساعتك شيئاً، فانك تأمن الحصاة بإذن الله تعالى. ثم اغتسل واشرب من ساعتك شيئاً من المومياني بشراب العسل، أو بعسل منزوع الرغوة، فانه يرد من الماء مثل الذي خرج منك)[1].

نلاحظ من خلال هذه الإرشادات:

١ ـ إنّ الرجل عليه أن يهيء الأرضيّة المناسبة في نجاح الوظيفة التناسلية وبشكل طبيعي وخالٍ من الانانيّة، وتؤيد ما توصل إليه العلماء من أنّ الأثداء مثيرة للشهوة في المجتمعات البدائية والمتقدمة كما تقدم ذكره.

٢ ـ تحثنا هذهِ الرواية على الالتزام بالآداب والسنن منها الحفاظ على الطهارة رعاية للأمور الصحيّة، وما يترتب عليها من آثار معنوية من جانب آخر.

---

(١) بحار الانوار : ٥٩ / ٣٢٧ باب الرسالة الذهبيّة للإمام الرضا عليه السلام.

٣ ـ نلاحظ الإرشادات الصحيّة من خلال الرواية والتي منها تأمر بالتبول بعد الانتهاء من الجماع، وهذا من الناحيـة الصحية لـه أهمية كبيرة، حيث ان بقايـا المنـي المتجمـع في المجـرى البولـي مـن الممكـن ان يترسـب علـى غـدة البروستات مما يسبب بمرور الزمن حالة تكلس فيها، وقد يكون هذا هـو المعني بالحصاة.

النجاح التناسلي البشري:

يعتبر نجاح التناسل عند البشر واحد من أهـم اهتمامات الانسـان، أي الإنفجار السكاني الـذي يقـود إلـى حمـل زائـد علـى العـالم، اعتبـرت الأمـم المتحدة عام (١٩٧٤م) عـام السكان العـالمي كتعبير عـن الإهتمـام العـالمي بـهذا التزايد السكاني ونتائج اسـتمرار هـذا التزايد. هـذا الخـوف ـ التـزايد السـكاني الهائل ـ اعتبر من قبل العديدين وبنظرة واقعية مصدر خطر شـديد علـى صحـة الانسان.

حتى لـ (١٠,٠٠٠) سنة الماضيّة لزم على الأقل (٣٥٠٠٠) سنة حتـى تضـاعف سكان الأرض. وإذا استمر التضاعـف بنفـس المعـدل فانـه بعـد (٣٥٠) سـنة سيصبح تعداد السكان يفوق الأربعة تريليون.

تطلب زمن التضاعف السكاني في بعض البلدان أقل من (٢٠) سـنة وربمـا (١٥) سنة.

لقد تجاوز تعداد السكان الان الخمسة بلايين، وربمـا تعتبر مشكلة إرتفـاع واستمرار زيادة الحمـول غـير المرغـوب فيـها عنـد المراهقـات مـن المشـاكل الإجتماعية الخطيرة في الولايات المتحدة الأمريكية.

يـهدد العـالم ويخيفـه الآن تنـاذر عـوز المناعـة المكتسـبة (Acquired Immune deficiency Syndrome) أو الـ (AIDS) المنتقـل بـالجنس والنـاجم

عن فيروس عوز المناعة البشرية (HIV) أو (Human Immuno deficincy Virus) والذي ينتشر كوباء قاتل.

من أصل (٦٠) طفل مولود في نيويورك واحد يكون حاملاً لأضداد HIV/ حتى عام (١٩٨٨م)، وحسب إحصائيات الأمم المتحدة في عام (٢٠٠٠م) فان هناك (٥٠) مليون إصابة بمرض الإيدز.

ان إلقاء نظرة على الوضع التناسلي للبشر الحالي: هو أنّ الإفراط الجنسي الواسع الانتشار وغير المكبوح باستعمال وسائل منع الحمل، والوقاية ضد الأمراض المتنقلة بالجنس كل ذلك يخلق معضلة يمكن إصلاحها عن طريق الرجوع إلى الدّين وتعاليم السّماء[1].

فشل التناسل البشري:

تعترض للمولدين والنسائيين مشكلة بشرية تناسلية هي وجود (٢٥٪) من الأزواج يعانون عدم إخصاب مطلق أو نسبي، بالإضافة إلى أنّ نسبة نجاح الحمل بأجنة أحياء عن طريق الإخصاب بالزجاج ومن ثم نقل المضغة تبلغ أقل من (٢٠٪).

في نفس الوقت وفيما يتعلق بهذهِ المعضلة فان فشل الحمل الناجم عن تلف المضغة أو الأجنة محتمل الحدوث في كلّ خطوة من التناسل البشري بدءاً من فشل إخصاب البويضة أو فشل انقسام البويضة الملقحة، أو تعشيش الكيسة الأريمية، والخسارة المرتفعة للأجنة عن طريق الإجهاض العفوي، أو التشوهات، أو الولادة المبكرة، وكلها أسباب هامة.

ممّا سبق نصل لأمر هو صعوبة شديدة في حفظ العرق البشري كماً ونوعاً[2].

---

(١) الجامع في التوليد: ١٠٠١.

(٢) الجامع في التوليد: ١٠٠٢.

الرؤية الصحيحة للتناسل البشري:

من الهام لكلٍ من الفيزيائيين والباحثين وعلماء الدراسات الإحصائية، والعلماء بعلم الانسان الذين يهتمون بعلوم التناسل المقدرة على تمثيل قاعدة نظرية لتناسل بشري غير معاق.

تتضمن الإختلافات التناسلية التي تعود لتوازن تناسلي وبشكل عادي:

١ ـ سن البلوغ.

٢ ـ موت المضغة والجنين.

٣ ـ الوفيات حول الولادة.

٤ ـ مدة انقطاع الطمث الإرضاعي (عقم لا إباضي).

إستطاع الانسان ان يطور هذا الكبح وان كان بوقت غير متوقع، لذلك فالتأريخ الطبيعي للتناسل البشري قد أصبح مبهماً عن طريق المد الإجتماعي، كما أشار لذلك Short عام ١٩٧٦م ويضيف قائلاً: حين التكلم عن الوراثة فلا نزال أقوام بدائية، فهناك (٨٠) جيلاً فقط منذ ولادة السيد المسيح، وعلى الأكثر عدّة مئات من السنين على بزوغ الحضارة، مما يجعل حصول أي تغيرات وراثية خلال هذهِ الفترة صعب جداً[1].

التناسل في الرئيسيات الأخرى:

يمكن اكتساب رؤية واحدة للتناسل البشري الطبيعي بفحص التناسل عند انواع من الرئيسيات شديدة القرب للانسان.

بين اناث قردة الـ Chimpanzees في الأدغال، تكون الفترة بين الولادات (٦) سنوات، ولكن هذهِ الفترات تكون أقصر بسبب موت الأطفال مما يقترح ان سبب طول هذهِ الفترة يعود للعقم المتولد عن الإرضاع

---

(١) الجامع في التوليد: ١٠٠٣.

(اللاإباضة anvulation) ترضع الـ Chimpanzess صغارها عدّة مرات في السّاعة، مفرزة حليب يماثل الحليب البشري، وتنام والرضيع بجانب صدرها خلال الليل كما أشار Short في تجاربه عام (١٩٨٤م) لذلك أحد العوامل التي تقيم النجاح أو الفشل التناسلي اجتماعياً قد يتعلق مع الإرضاع الوالدي لحديث الولادة.

الولادة في المجتمعات البدائيّة:

لازال بعض المد الاجتماعي الذي يشوش رؤيتنا للتناسل المنتظم عند البشر، درس علماء علم الانسان (Anthropologists) قبائل بدائية معينة في جنوب أفريقيا هي قبائل الـ (Kung)، وهي تجمعات من الصيادين في الصحراء (Kalahari) في جنوب أفريقيا والتي تزودنا بأدلّة مفيدة عن تأثير التغيرات السكانية في حياة الانسان التناسلية.

يتأخر سن بدء الإحاضة بين نساء الـ Kung البدويات اللواتي يعملن بالصيد، حيث يبدأ حوالي (١٥,٥ سنة) وقد عزي هذا التأخير إلى كتلة الجسم النحيلة والخالية من الدهون في النساء البدويات من الـ Kung مقارنة مع نساء أكثر إستقراراً واللواتي يعشن في قرى أشبه ما تكون بالزراعية، تتزوج نساء Kung على أي شكل من أشكال منع الحمل، وتكون الفترة الفاصلة بين الولادات حوالي (٤,١) سنة، وسبب ذلك يعود لحياة البداوة والترحال للنسوة الصيادات فلا يتوفر سوى القليل من الطعام اللّين لإطعام الرضع مما يضطرها إلى إستمرار إرضاع أطفالها من صدرها حتى لـ (٤ ـ ٥) سنوات.

كما يتغذى الأطفال من صدور أمهاتهم عدة مرات قد يصل حتى أربع مرات في الساعة خلال النهار وان كانت فترة الرضعة حوالي الدقيقة فقط[1].

---

(١) تنظيم الأسرة للدكتورصبيح مهايني ـ كلية الطب ـ جامعة دمشق.

بالإضافة لذلك فان نساء الـ Kung تنام وأولادها بجانبها فيمصون ثدييها ليلاً مما يفسر طول الفترة بين الحمول.

تبدو العلاقة أفضل بين عدد مرات مص الثدي من قبل الوليد في اليوم، وحدوث اللاإباضة وانقطاع الطمث منها بين فترة المص أو كمية الحليب المنتجة، وفترة العقم المثارة بسبب الإرضاع تكون الخصوبة ضعيفة خلال انقطاع الطمث الناجم عن توليد اللّبن وحصول اللاإباضة، وهذا ما بينه العالمان Kolata في عام ١٩٧٤م وShort في عام ١٩٨٤م في تحقيقهم.

يبلغ متوسط حجم العائلة عند نساء الـ Kung البدويات (٤,٧) طفل، وزمن التضاعف السكاني الـ (٣٠٠) عام.

أمّا نساء الـ Kung اللواتي تبنّينَ الحياة الزراعية يبدأ الحيض لديهن باكراً، ويحصل الحمل الأول أبكر أيضاً، وتكون الفترة بين الولادات شبه معدومة وقد تؤدي لانفجار سكاني بين الـ Kung.

يعتقد أنّ حدوث الحيض باكراً عند امرأة أكثر إستقراراً يعود لزيادة الدهن في الجسم، كما انّ وقت حدوث الحيض يتعلق بوزن الجسم، تنقص فترة انقطاع الطمث الناجم عن الإرضاع بوجود الطعام اللين ومصادر الحليب الحيوانية البديلة التي تؤدي إلى نقص فترة الإرضاع الوالدي وبالتالي عودة الطمث.

المرأة العصريّة:

إنّ الشكل الفيزيولوجي المفروض على المرأة (في غياب أي تدخل دوائي) هو الحصول على حمل.

فلهذا الشكل أو الغلاف عمق كبير جداً لدرجة ان العالم Short يقول في ذلك: (كما لو ان المرأة فيزيولوجياً تهدر معظم حياتها التناسلية بحالة اللاحمل).

من الواضح أنّه يؤثر عن السير الطبيعي للتكاثر البشري عاملين أساسيين هما:

١ ـ التغذية.

٢ ـ مانعات الحمل.

قاد التطور الغذائي إلى:

١ ـ طمث باكر وإباضة.

٢ ـ إطعام الوليد صناعياً، وبالتالي قصر فترة الإرضاع مع قصر فترة انقطاع الطمث، وحصول الإباضة بعد الولادة.

٣ ـ بقاء أطول للوليد.

نستنتج بان الاستمرار وطريقة الحياة الزراعية التي سادت في القرون القليلة الماضية ساهمت لدرجة كبيرة في محتوى الجسم وكتلته مما سبب طمث وإباضة مبكرين.

يحصل الطمث لدى نساء الولايات المتحدة الأمريكية في سن (١٢,٥) من العمر، كما من الشائع حدوث الإباضة بعد الحيض مباشرةً، وبالتالي تعتبر الفتيات الصغيرات في يوم ما بعد الحيض إباضيات وبالتالي مخصبات، وقلة من النساء اللواتي يرضعن وليدهن سيستمرون على ذلك لأكثر من بضعة أسابيع وعلى الأكثر لعدة أشهر.

وبهذه الحالة فمعظمهنَ يختار الإرضاع الوالدي بتواتر ٨ مرات/ ٢٤ ساعة مقارنة مع ٤٨ مرة يمص فيها الثدي من قبل الوليد خلال (١٢) ساعة عند نساء الـ Kung.

شريك المرأة العصريّة التناسلي:

بالنسبة للنجاح التناسلي الأعظمي يكون الرجال غير مساهمين في نجاح الحمل، يوجد في مقذوف الرجال عدد كبير من النطاف الغير طبيعية على عكس بقية الحيوانات الثديية الأخرى. وإذا حصل القذف لأكثر من مرة كل (٤٨ ـ ٧٢ ساعة) فان المني واعداد النطف ستقل. لذلك يوجد في الرجال احتياطي صغير من النطف مقارنة مع الكائنات الأخرى كالشامبانزي مثلاً.

يملك ذكر الشامبانزي خصى كبيرة واحتياطي نطفي هائل فيكون قادراً على الجماع مع عدّة اناث بشكل متكرر. ويحتوي مقذوف الشامبانزي على (٦،٣) مليون نطفة، وتصدر الخصيّة (٢،٧٣٧) مليون نطفة كلّ يوم مما يكفي على الأقل لقذف ٤ مرات.

أمّا مقذوف الرجل فيحتوي على (٢٥٣) مليون نطفة ولكن يصدر عن الخصية (١٧٦) مليون نطفة يومياً فقط، وهو أقل من رقم المقذوف الواحد.

هذا الاحتياطي النطفي الكبير لدى الشامبانزي يخدم بإتاحة الفرصة والمجال للمنافسة الوراثية بين الذكور، فالذكر صاحب الرقم الأعظم من النطاف المقذوف في مهبل الانثى الشبقة يكون الذكر الذي تنقل مادته الوراثية عن طريق النطفة الرابحة غالباً (Harcourt وزملاؤه ١٩٨١م)[1].

تنبؤات نجاح وفشل التكاثر الجنسي:

التنبؤ بنجاح التكاثر البشري أمر مفيد ومستحب بسبب:

١ ـ هذه التنبؤات ضرورية لفهم العوامل التي تساهم في انجاح التناسل البشري، وبالتالي الوصول لإستراتيجيات وأساليب تتيح فرصة منع الحمل عندما تختار المرأة ذلك.

---

(١) الجامع في التوليد: ١٠٠٣.

٢ ـ من الضروري فهم الحدود الطبيعية لنجاح التناسل البشري، لنحصل على وسائل استراتيجية تتيح الحصول على وليد حي عند نساء راغبات بالحمل.

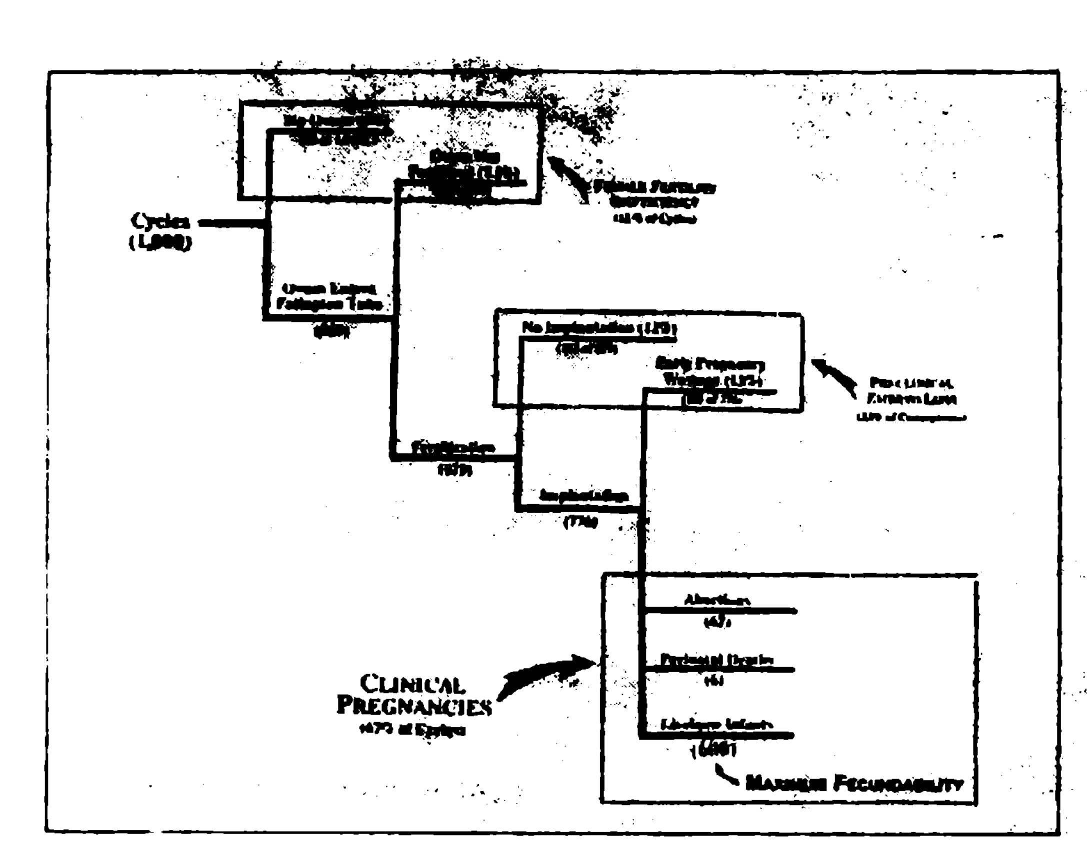
٣ ـ من الأساسي ان نفهم الفشل التناسلي الممكن حصوله بكل فصل من الحديثة التناسلية، لكن يُحدّد سبب فشل الحمل لدى غير المخصبات أو من يعانين من فقدان حمولهن (الإسقاط). ولتقييم نجاح الحمل أو فشله تحت أحسن الظروف نقدم هذا التحليل للنتاج المرجح لدورة طمثية مفروضة من قبل (١٠٠٠) امرأة مخصبة سليمة وصغيرة السن (٢٠ ـ ٢٩) سنة. بفرض وجود نطاف طبيعية وحيّة في قناة فالوب خلال وقت الإباضة.

بينما عند النساء المخصبات السليمات وصغيرات السن حيث تمر البويضة القابلة للإلقاح في قناة فالوب في أغلبية الدورات المبيضية، فان أرجحيت وجود النطاف الحيّة في نفس الوقت التي تدخل فيه البويضة قناة فالوب ضئيلة.

من الهام جداً تميز هذهِ الحدود في التناسل البشري لنكون قادرين على وضع أسس الفشل أو النجاح التناسلي. على المدى الطويل، مثلاً خلال سير عدة دورات مبيضية أو أكثر، فان هذهِ الحدود تزول عند حدوث الجماع الجنسي مع ذكر مخصب في أوقات ملائمة وعلى العكس، الإخصاب المتأخر. أي ألقاح بعد الإباضة بعدة ساعات قد يؤدي إلى نتاج بيضة ملقحة غير مرغوب بها[1].

---

(١) تنظيم الأسرة: صبيح مهايني ـ كلية الطب ـ جامعة دمشق.



(التصوير رقم ٢٢)

تبويات النجاح أو الفشل التناسلي وقد وضعت بناء على افتراضات: - أعداد صغيرات وسليمات وخصبات. - تواجد النطاف القادرة على تلقيح البويضة في أنبوب فالوب عند الإباضة.

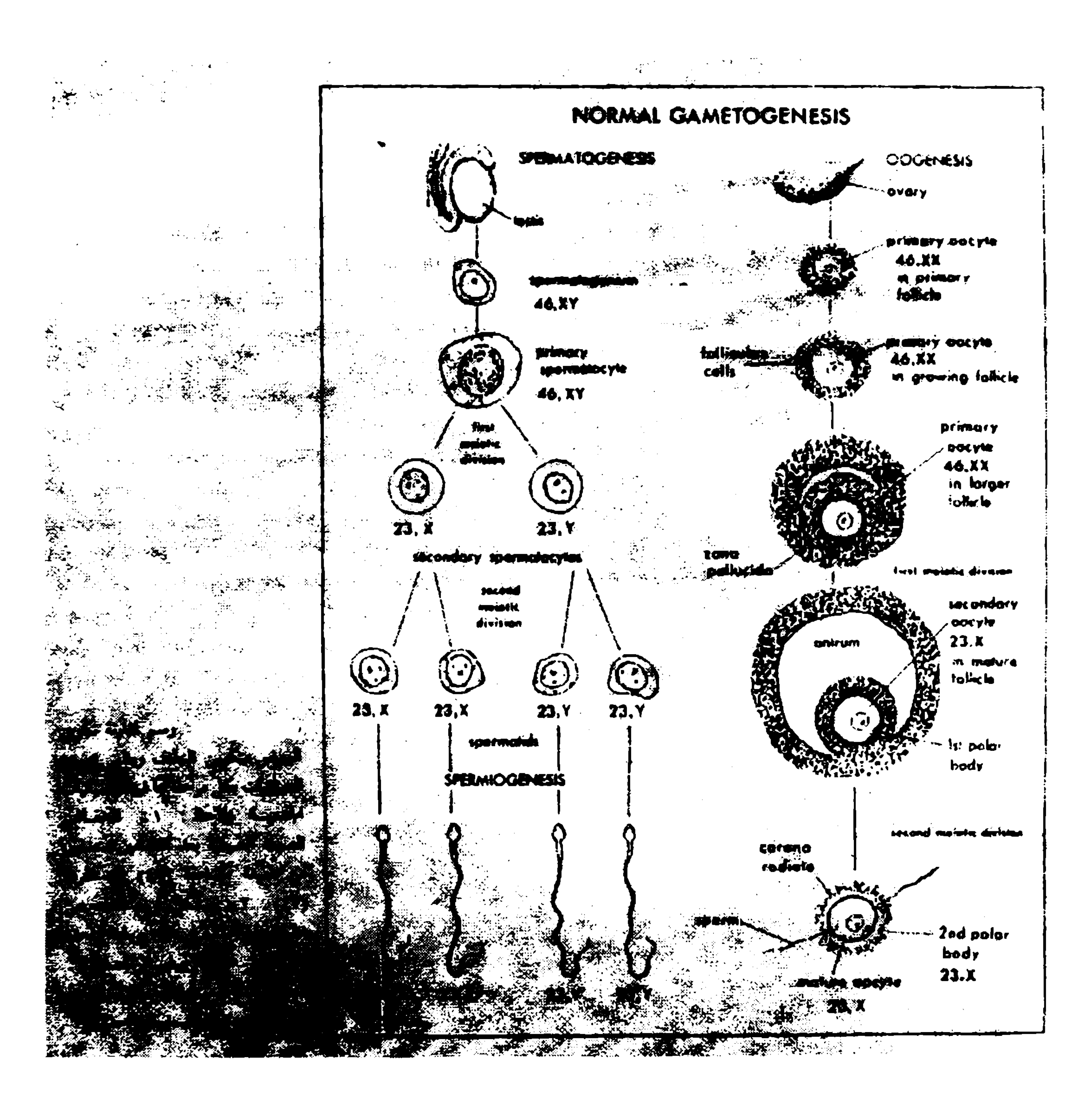
مدى حياة كل من النطفة والبويضة:

إنّ مدة حياة الخلايا المنتشة، سواء البويضة أو النطفة المتحررة قصير جداً، كما لا توجد معلومات أكيدة عن بقاء النطاف في السبيل التناسلي الانثوي ومدى حياة البويضة القابلة للإلقاح، ولكن من المحتمل ان بعض النطاف قادرة على الاخصاب حتى لفترة تتجاوز الـ ٢٤ ساعة، ويبدو ان الوقت الأفضل لإخصاب البيضة أقصر وقد لا تتجاوز ١ ـ ٢ ساعة وربما أقل، والأكثر أهمية ان عمر الخلايا المنتشة (Germ cells) المتحررة والتي ستكون بيضة ملقحة غير سوية يكون مزداداً. باعتبار التقديرات السابقة منطقية بانه لا بدّ من توفر النطاف الحيّة في قناة فاللوب في وقت الإباضة للحصول على ألقاح جيد.

لذلك يصبح توقيت الجماع أكثر حسماً في الحصول على حمل ناجح مع إباضة معطاة، ومن الهام جداً ان نميز ان حجم المني وكثافة النطف في الرجال الطبيعيين ينقص عندما يحصل الدفق بتواتر أكثر من مرّة كل ٤٨ ساعة[1].

---

(١) غياب الطمث: د.صلاح شيخة ـ كلية الطب/جامعة دمشق.



(التصوير رقم ٢٣)

القاعدة النظريّة للتنبؤات:

لتحديد كفاية خصوبة الانثى نفرض ان الاخصاب (الإلقاح) يأخذ مكانه في قناة فاللوب خلال الحياة، توفر النطاف في قناة فاللوب خلال الحياة، كما نفرض توفر النطاف في قناة فاللوب خلال وقت الإباضة، وفي الواقع فان النطاف لا تدخل ويجب ان لا تُقحم في تحديد كفاية خصوبة الانثى.

بالإعتماد على هذهِ الافتراضات هل نستطيع تقدير الاحتمال الأكثر منطقية لحصول الإلقاح؟ وللحمل ولضياع أجنة باكر، ولعدد المواليد التالي لعدة دورات طمثية وذلك في نساء صغيرات السن مخصبات وسليمات. ان هذهِ تقييمات يمكن القيام بها وتكون مفيدة في:

١ ـ التنبؤ بنجاح الحمل.

٢ ـ تحديد مساهمة الرجل والانثى في العقم المؤدي لفشل حصول الحمل.

٣ ـ التصميم على إيجاد المرحلة التناسلية الأكثر خطورة حيث يوجد الفشل.

٤ ـ تأكيد الحدود النظرية في علاج الخصوبة.

٥ ـ الوصول لوسائل منع الحمل.

وقد وضعت مقادير لنجاح وفشل التناسل بكل مرحلة من مراحل هذا التطور منذ الإباضة وحتى ولادة طفل حي. وقد تطورت لتصف الإحتمالات الناتجة عن دورة طمثية مفترضة في (١٠٠٠) امرأة صغيرة السن سليمة ومخصبة.

لتطوير تقييم كلّ خطوة في التطور التناسلي، كان من الضروري الإستفادة من أفضل المعطيات المتوفرة عن بعض الحديثات ومن ثم إشتقاق حديثات أخرى بالاعتماد على الاختلاف بينها.

مثلاً لقد بدأت التجربة بـ (١٠٠٠) دورة طمثية تحديداً اختيرت اعتباطاً (لا على التعيين) ثم انتهت بالتخمين، ان مستوى الإخصاب الأقصى نظرياً بلغ

(٦٠٪) طبقاً لإفتراضات وهي: (النساء الشابات، الخصوبات، وعدد النطاف غير محدود).

بهذه الظروف النظريّة فان ٦٠٪ من الدورات ستنتهي بولادة طفل حي.

ركّز علماء التناسل في العقود القليلة السابقة بشكل غير عادي على فقدان الحمول المنتشر، والذي يبدو انه سيحدث بأي مرحلة من التناسل البشري ولأسباب وجيهة.

تبلغ نسبة الوفيات حتى الولادة (٤٠ لكل ١٠٠٠) مع تقدم العناية الملائمة قبل الوضع وما بعد الوضع لولدان من أمهات معافيات وصغيرات السن يبلغ معدل الإجهاضات العفوية ٢٥٪ بينما لا يتجاوز ١٠٠٪ عند نساء مخصبات ومعافيات بالنسبة لحمول مميزة سريرياً خلال الـ ١/٣ الأول من الحمل.

وبعض الباحثين أقرّ بوجود نسبة عالية من خسران الأجنة قبل تحديدها سريرياً (أي ضياع حمل باكر early pregnancy wastage) والذي يحدث بعد التعشيش ولكن قبل أو خلال الطمث المتوقع التالي. ولكن لقد كانت المعطيات المحددة قليلة في بعض هذهِ التقارير أو ان هذهِ التقارير قد وضعت أساساً دون معطيات. بالإضافة إلى انّ العديد من تقارير ضياع الأجنّة بيّن على أساس دراسات لنساء يعرفن انهنّ غير مخصبات.

مثل هذهِ المعطيات لا تكون مناسبة تماماً لتقدير النجاح التناسلي لدى نساء مخصبات وسليمات وطبيعيات.

عُلِمَ انّ فشل الحمول يتأثر بعدد من العوامل منها: جغرافي، عرقي، أخلاقي، وبيئي.

فمثلاً تبلغ نسبة حدوث الرحى العدارية (hydatidiform mole) في بعض المناطق في جنوب شرق آسيا لكل (١٠٠) حمل. أمّا في الولايات المتحدة

الأمريكية فتبلغ لكل (٢٥٠٠) حمل، كما تبلغ نسبة حدوث غياب الدماغ (anencephaly) في ايرلندا أكثر بـ (٥ - ١٠) مرات من مناطق العالم الأخرى[١].

مصدر فقدان الحمول Source of Pregnancy Losses:

يبدأ تحديد الحمل بوقت حصول التعشيش (imptantation) لذلك تضيع الحمول بأي وقت بعد تعشيش الكيسة الأريمية (Blastocyst).

أوّلاً: قد يحدث ضياع الأجنّة بعد الوقت المتوقع لقابلية الحياة لوجود أسباب كالمخاض الباكر - تشوهات الأجنّة - موت الأجنّة داخل الرحم - أو بُعيد الولادة.

ثانياً: الإجهاض العفوي Spontaneous abortion في الثلث الأول من الحمل.

ثالثاً: خروج Products of Conception محصول الحمل قبل أو خلال وقت الطمث التالي المتوقع، وبمثل هذهِ الحالات لا يكون الحمل مميز سريرياً[٢].

تنظيم الأسرة:

يخضع طب التوليد في الولايات المتحدة الأمريكية حتى وقتنا الحاضر لتأثير قوى من خارج المجتمع الطبي أكثر من الإختصاصات الأخرى، ويظهر تأثير القوى السياسية والإجتماعية والدينية في موضوع تنظيم الأسرة أكثر من أي موضع طبي آخر.

---

(١) غياب الطمث: د.صلاح شيخة - كلية الطب/جامعة دمشق.

(٢) الجامع في التوليد: ١٠٠٧.

وعلى الرغم من ان معظم النساء الخصوبات الأمريكيات يفضلن عدم الحمل (في أي سنة من العمر) فان هؤلاء النساء وأطباؤهن في مواجهة مستمرة مع هذهِ القوى.

وبالرغم من سحب موانع الحمل الفعالة من السوق ومن الدعاوي التي لا حصر لها والتي تحتج من ان منع الحمل يسبب التشوهات الجنينية. وان على الطبيب ان يستمر في تقديم المشورة والوصفات في المناطق التي تشيع فيها مثل هذهِ الاضطرابات.

أمّا تنظيم الأسرة والذي يقصد به هنا هو تحديد النسل، فكثيراً ما أشارت الشريعة الإسلامية إليه واعتبرته المنهج الأساس في الحفاظ على سلامة المجتمع وأفراده، ونورد هنا ما أشار إليه السيد الشيرازي في كتابه العائلة تحت عنوان (فكرة تحديد النسل من وراءها...).

قال رسول الله ﷺ: (تناكحوا تناسلوا تكثروا)[1].

وقال أيضاً: (تناكحوا تناسلوا تكثروا، فاني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط)[2].

والحديثان يتضمنان حكماً وان كان على سبيل الإستحباب، لكن خلافه كخلاف كل مستحب ومكروه لا يكون إلاّ في حالة الضرورة، فان صلاة الليل مثلاً مستحبة ولا تسقط عن الإستحباب إلاّ لضرورة، وهكذا بقية المستحبات.

ويدخل اكثار النسل ضمن هذهِ القاعدة، لكن ما يجري اليوم خلاف هذهِ الحقيقة تماماً، فقد أصبحت فكرة (اكثار النسل) فكرة غريبة على المسلمين وأحلَو محلها فكرة (تحديد النسل) التي كانت مستهجنة عند المسلمين حتى قبل سنين. فحتى في أشدّ فترات التأريخ بؤساً من التأريخ الإسلامي لم نشاهد

---

(١) مستدرك الوسائل: ١٤/١٥٢.

(٢) سفينة البحار: ١/٥٦١.

من يدعو إلى هذهِ الأفكار المخالفة للعقل والفطرة، صحيح انه كان بعض الحكّام يقترفون المنكرات، لكن كانت قوانين الإسلام جارية ـ عادةً ـ في المجتمع، فكان الاقتصاد إسلامياً والمجتمع مسلماً، فلم تظهر في هذا المجتمع بوادر سلبية منحرفة. أما اليوم وبعد أن دخل الإستعمار الغربي بلادنا،

انقلب كلّ شيء، انقلب الحرام حلالاً.. أصبح الغناء شائعاً... أصبح القمار أمراً مألوفاً. وأضحت الضرائب والمكوس والحدود الجغرافية، ومصادرة الحريّات والكبت والإرهاب والمنع عن الحج أموراً جائزة. وفي هذا الجوّ المنقلب على الإسلام أتتنا دعوة من الغرب تدعو المسلمين إلى تحديد النسل بحجة تدنيّ المستوى الاقتصادي للأسرة، وهبوط مدخولات الدول التي لا تستطيع أن تفي بتعهداتها، من قبيل فتح المدارس وانشاء المستشفيات، وما إلى ذلك من الخدمات الإجتماعيّة.

أمّا هم فيشجعون أبناءهم علىٰ الزواج المبكر، ويشجعون التناسل والدعوة إلى الزواج والانجاب، تبدأ مع تدريس الأولاد في الإبتدائية وصاعداً، وهناك مخاوف كبيرة لدى العديد من قادة الغرب مفادها:

انّ الشعوب الأوربيّة في طريقها إلى الإنقراض إذا بقي العد العكسي في معدلات نموّ السكان، وهم يعرفون لماذا تنقرض شعوبهم؟ يعرفون السبب الكامن وراء تناقص السكان في أوربا، انّ أهم سبب يكمن وراء ذلك هو الدعوة إلى تحديد النسل التي راجت أوربا في الستينات والتي زرعت في الذهنية الأوربية فكرة:

انّ انجاب الأولاد هو عمل خاطئ، وظل الأوربيون يحملون هذه الفكرة حتى تضائل نسلهم، واليوم اكتشفوا أنّ الخطأ ليس في عملية الانجاب بل في الدعوة إلى تحديد الانجاب.

واليوم ومع الأسف الشديد صدّروا لنا هذه الدعوة بعد ان ذاقوا مساوئها جاءوا بها إلى العالم الإسلامي ليدعوا المسلمين إلى تحديد النسل. وبعيداً عن الحالة التي أحاطوا بهذه الدعوة نستطيع ان نستقصي أهداف الغربيين منها، انها من أجل دفع المسلمين إلى التضاؤل، فقد وجدوا في هذه الدعوة السلاح الفتاك القادر على إضعاف المسلمين بعد ان فشلت أسلحتهم الأخرى[1].

ثم يقول سماحته :

لماذا تحديد النسل؟ هل ان السُنن الإلهيّة تغيرت في الكون؟ أم أنّ الطبيعة ومخلوقات الله تبدّلت؟ أم انّ أحكام الله سبحانه تختص بزمان دون آخر؟ أم لقلة أراضينا ومياهنا؟ أم لقلة مواردنا وإمكاناتنا؟ فالعالم الإسلامي يمتلك أرض شاسعة صالحة للزراعة والعمارة ويمتلك مخزوناً كبيراً من المياه، ويزخر بالموارد والإمكانات التي لا تعد ولا تحصى، فمن غير الصحيح إطلاق أبواق تحديد النسل إذ ليس هناك أي موجب لهذا العمل، مثلاً: العراق الذي كان يسمى ببلد السواد كانت نفوسه أكثر من أربعين مليون انساناً في العهد العباسي حسب تقديرات بعض المؤرخين واليوم لا يزيد عدد سكانه عن نصف هذا الرقم. وبلد كالسودان ربما كان باستطاعته ان يشبع القارة الافريقية بأجمعها لما يملكه من أراضي صالحة للزراعة وموارد مائية وهكذا بقية البلاد الإسلامية التي تمتلك ثروة هائلة زراعية ومعدنية ونفطية[2].

ويضيف سماحته على ذلك:

أمّا في ظل الإسلام فالانسان هو قوّة حيوية ونشاط متوقد، فالقرآن الكريم يرى في الانسان أقوى مخلوق على سطح الكرة الأرضية ويرى فيه سر

---

(١) كتاب العائلة للسيد الشيرازي: ١١٠/١١٤.

(٢) كتاب العائلة للسيد الشيرازي: ١١٦.

التقدم في الدنيا. ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعىٰ وأنّ سعيه سوف يُرىٰ ثمّ يجزاه الجزاء الأوفىٰ﴾[١].

ويرى الإسلام في كلّ مولود جديد رقماً يضاف إلى التقدم والرقيّ، وقد نسب إلى الإمام علي ﷺ القول:

أتحسب انك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر[٢]

ويرى رسول الله ﷺ في كلّ ولادة رقماً جديداً للتفاخر أمام الأمم وحتى لو كان المولود سقطاً لم تكتب له الحياة، أليس هو القائل: (تناكحوا تناسلوا فاني أباهي بكم يوم القيامة ولو بالسقط)[٣]. فالمولود الجديد قد يكون عالماً أو مخترعاً أومهندساً أو أيّ انسان آخر يضيف إلى الحياة ساعداً جديداً للعمل، ويضيف للتأريخ قيمة وعبقرية جديدة. فالحياة لا تشيّدها الأدوات والمكائن بل السواعد الحميمة، والحياة لا تديرها الكمبيوترات المتطورة ولا الأقمار الصناعية بل يديرها العقل الكامن في الإنسان، فكل مولود جديد هو عقل جديد وهو ساعد جديد، وهو تقدم جديد، فلماذا هذا الخوف؟.

أليس الله سبحانه وعدنا ووعده حق وصدق حيث قال تعالى: ﴿نحن نرزقهم وإيّاكم﴾[٤]، وقال جلّ ذكره: ﴿وانكحوا الأيامىٰ منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾[٥].

فالزواج هو سبب لإزالة الفقر، و الأبناء هم سبب للرزق هذا في منطق الوجدان والشريعة. أمّا الذين يرون عكس ذلك يرون أنّ الزواج والأبناء

---

(١) سورة النجم: ٣٩ -٤١.

(٢) ديوان الإمام علي ﷺ .

(٣) سفينة البحار: ١/٥٦١.

(٤) سورة الإسراء: ٣١.

(٥) سورة النور: ٣٢.

سبب تقليل الرزق يبتعدون كل البعد عن الله سبحانه والقرآن وعن منطق العقل والحكمة[1].

من يحتاج إلى منع الحمل:

إنّ الزوجين الفاعلين جنسياً (كلاهما خصيب ولكن لا يريدان الانجاب) يحتاجان لاستخدام مانع حمل فعال، وفي حال عدم استخدام مانع حمل من قبل الشركاء الجنسيين، والذي يفترض كونهم خصيبين فان ٩٠٪ من النساء سوف يحملن خلال سنة.

إنّ الشابات اللواتي لا يردن أن يحملن من المفضل أن يستخدمن مانع حمل حتى أصبحن فاعلات جنسياً، ولا أهميّة لكون المرأة صغيرة العمر، وعلى الأقل بعض الفتيات (وربما الأغلبية) تحدث الإباضة عندهن قبل حدوث الطمث الأوّل.

والسؤال الصعب الإجابة هو: كم من العمر يمكن للمرأة ان تبقى محتفظة بقدرتها على الانجاب؟

أشارت نتائج إحدى الدراسات على النساء بعمر (٤٠ ـ ٥٠) سنة إلاّ ان الإباضة لها علاقة بانتظام الطمث منتظماً، فان الإباضة تحدث تقريباً في كل دورة. وفي حال وجود قلة طمث (oligomenorrhea) أو زيادة في طول الدورة، فإنّ هناك نقص في تواتر حدوث الإباضة (وليس غياباً كاملاً للإباضة). ولا يعني وجود هبات السخونة أو انقطاع الطمث أو إرتفاع مستوى الهرمون المحرّض للجريب (F.S.H) في البلازما أو البول انقطاع الإباضة بشكل مطلق.

---

(١) كتاب العائلة للسيد الشيرازي: ١٢٠ ـ ١٢٢ (بتصرّف).

وقد شوهدت جريبات بدئية ذات بويضات طبيعية المظهر في مبايض استؤصلت من نساء فوق الخمسين.

رغم ان حدوث الحمل بعد سن الخمسين نادر، ونادر جداً فوق سن (٥٢)، فمن المحتمل النصح باستخدام مانع حمل عند المسنات في حالة طمث منتظم حيث يدل على إباضة متكررة بصرف النظر عن العمر، ومع ذلك فالحمل نادر بعد سن الخمسين.

وإنّ المرأة الأصغر سناً والتي ليس لديها طمث لمدة سنتين، فمن غير المرجح ان تحدث الإباضة تلقائياً، وبالتالي الحمل. ومع ذلك فان هناك حالات مقررة حدث فيها الحمل بعد أكثر من سنتين من حدوث فرط موجهات الغدد التناسلية (Hypergonadotrphic) وانقطاع الطمث بنقص الإستروجين.

وسائل منع الحمل الشائعة التطبيق:

إنّ الوسائط الشائعة التطبيق لمنع الحمل وبفعالية متباينة تتضمن:

١ ـ موانع الحمل الستيروئيدية الفموية.

٢ ـ موانع الحمل الستيروئيدية المحقونة أو المزروعة.

٣ ـ اللوالب IUD.

٤ ـ الحجب الفيزيائية، الكيميائية، الفيزيوكيميائية.

٥ ـ العزل.

٦ ـ عدم ممارسة الجنس في الفترة حول الإباضة.

٧ ـ الإرضاع الوالدي.

ومما لا شك فيه فان التعليم أو التوجيه الفاعل لكيفية الإستخدام كما هو الدافع (الرغبة في عدم الانجاب). سوف ينقص من نسب الفشل بشكل كبير،

وقد أكدت ذلك جمعية أكسفورد لتنظيم الأسرة في دراسة أجرتها بخصوص منع الحمل في عام (١٩٨٢م) وكانت نسب الفشل في الحدود الدنيا (١٧٠٠٠) امرأة واللواتي تم مراقبتهن لمدة (تسع سنوات ونصف). وانّ نسب الفشل لمختلف وسائل منع الحمل لكل (١٠٠٠) امرأة بعد سنوات من الاستعمال هي كالآتي:

١ـ مانع حمل فموي (استروجين وبروجسترون) (٠,١٦ ـ ٠,٣٢).

٢ـ اللوالب بمختلف انواعها (IUD_s) (٠,٤ ـ ٢,٤).

٣ـ الحجب Diaphragm (١,٩).

٤ـ الواقي الذكري Condom (٣,٦).

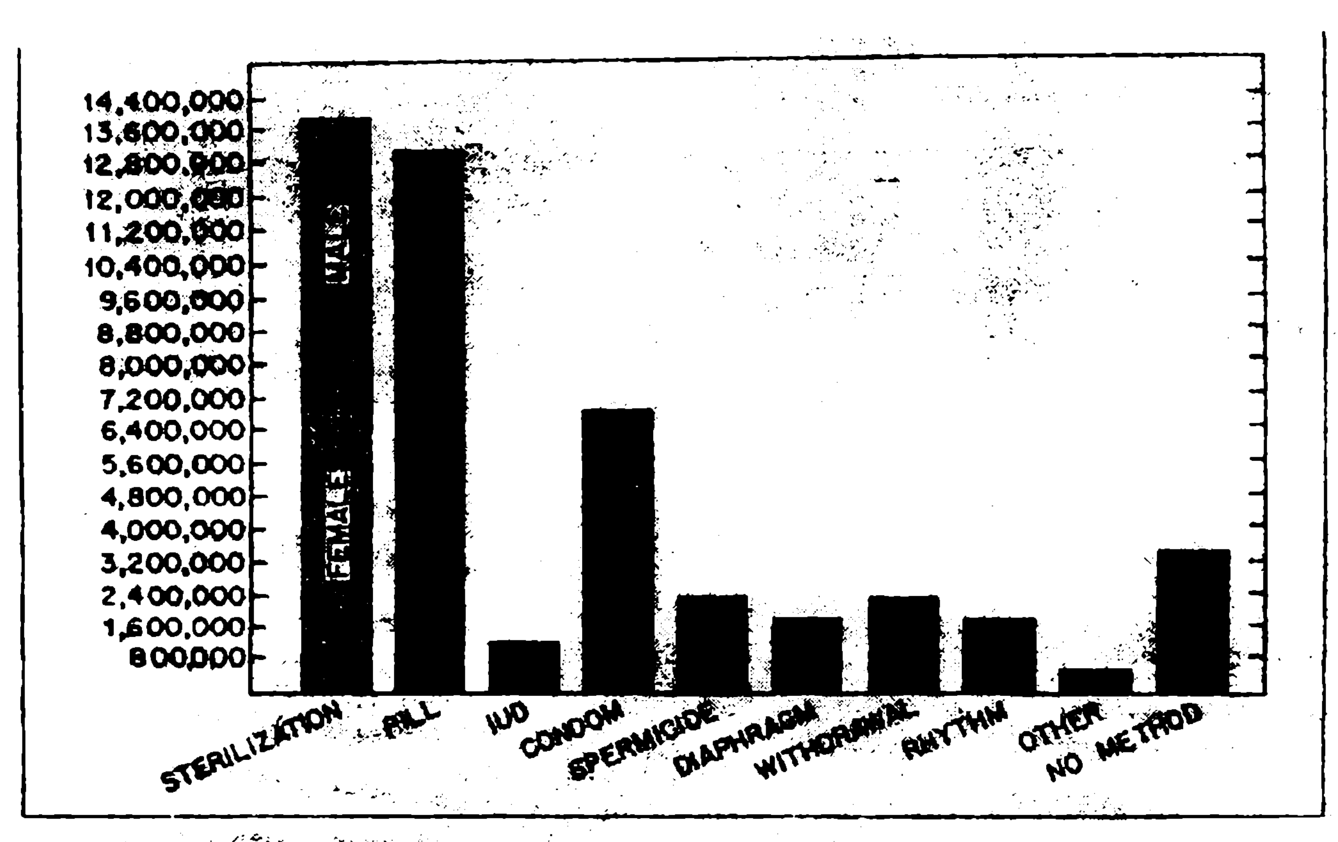
ان نسبة الفشل عند المرأة الناضجة التي تستعمل نمطاً واحداً لمنع الحمل لمدة طويلة تكون منخفضة جداً.

الإجهاض الجنائي ليس بوسيلة لمنع الحمل ومع ذلك، فانه يستخدم لمنع ولادة طفل غير مستحب القدوم.

إنّ (١٩) نورستيروئيد الصنعي المنافس للبروجسترون وصف كمجهض يعطى عن طريق الفم ومن الممكن في المستقبل ان يستخدم كبديل عن الوسائل الجراحيّة[1].

---

(١) الجامع في التوليد: ١٠٣٣.



(التصوير رقم ٢٤) وسائل منع الحمل المستخدمة عام [illegible] من النساء بعمر (١٥-٤٥ سنة).



من اليسار إلى اليمين : حبوب مانعة للحمل في عبوة ، أنبوب لكريم مهبلي مانع للحمل بالإضافة إلى مطبعة .

وفي الأسفل : لولب Lippes Loop وزارعه . وقبل الزرع مباشرة فإن القضيب Rode يسحب حتى يدخل كامل اللولب إلى داخل أنبوب الزارع .

(التصوير رقم ٢٥)

الفصل الخامس

العلاقة الجنسية بين الشريعة والطب

- خلق الزوجين.
- خلق الزوجين الذكر والانثى.
- نبذة مختصرة عن تاريخ المرأة.
- أوربا والمرأة.
- المرأة المسلمة.
- المعالجات السليمة للعلاقة بين الرجل والمرأة.
- الجنس والحب الجنسي.
- أخطار التحلل الجنسي.
- الإشباع الجنسي أم الإثارة؟.
- البغاء من أخطار التحلل الجنسي.
- تنظيم العلاقات الجنسية إجتماعياً
- الزواج والأُسرة.
- الأمراض المنتقلة بالجنس.

خَلق الزوجين:

قال تعالى: ﴿*سبحان الذي خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض ومن أنفسهم وممّا لا يعلمون*﴾[1].

لقد أثبتت آخر البحوث العلمية أنَ قضيّة الزوجية أوسع من الظواهر التي نشاهدها في حياتنا، فزيادة على الزوجية في الجنس البشري، والحيوانات الكبيرة، والأشجار التي يحيطنا الباري سبحانه وتعالى بخيرها وجمالها، فقد أوضحت الآفاق العلمية الجديدة ان الزوجية تصل حتى إلى أصغر مكونات البناء المادي، وهي الذرة والكترونها السالب وبروتونها الموجب، وحتى الجزء المتعادل من الذرّة وهي النيوترون لم يهمل في حساب الزوجية. فقد جاءت نظرية النقيض الكوني الحديثة لتثبيت وجود نظائر معاكسة لكل ما في هذا الكون، ولكن اللقاء بين النظريتين المتعاكستين واللذين يمكن تسميتهما بالزوجين المتناقضين، ليس لقاءاً ودياً وعاطفياً بل هو لقاء عنيف ينتهي إلى الفناء والدمار، فكان الشوق يبلغ درجات عالية بحيث أنَ حرارته تكفي لإبادة المادة الكونيّة نفسها، فإذا التقى الإلكترون السالب الطبيعي من عالمنا بالإلكترون الموجب الذي لا يكون طبيعياً وفقاً لمقاسات عالمنا، فإنّ الاثنين يقومان بإفناء أحدهما الآخر ويتحولان إلى طاقة وفق معادلة انشتاين المشهورة.

الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء.

وقد اكتشف العلماء في العقدين الأخيرين وجود الإلكترون النقيض الموجب، كما اكتشفوا البرتون النقيض السالب، وكذلك النيوترون النقيض المتعادل.

---

(١) سورة يس: ٣٦.

وكل هذهِ النقائض الكونيَة لا تبقى في عالمنا إلاّ للحظات تستغرقها عملية فناء هذهِ النقائض مع ما يقابلها في عالمنـا الطبيعي، وقد سرّح الخيال، المستند إلى أسس علمية، بالعلماء إلى تصوّر وجود نقيض لكلّ شيء، فإذا كانت أساسيات المادة، الإلكترون والنيوتـرون والـبروتون، قـد وجـدت أزواجـها النقيضـة، فـهل يعنـي هـذا ان المـواد الأخرى مثـل الـهيدروجين والـهيليوم والأوكسجين والحديد وباقي العناصر الكيماوية أو الماء أو الهواء وغيرها من المركّبات ستجد لها نقيضاً في الغيب كما حصل فعلاً للهيدروجين والهيليوم، أو أنّ النقيض موجود وانّما القصور في قدراتنا العلميّة؟ وهل ان هذا يعني إمكان وجود نقيض زوجي لكـل شيء يقابل ما نراه في عالمنا؟ فقلمي الذي اكتب به له قلم نقيض ولغرفتي وكل ما حولي لـه نقيض أيضاً، وهل سيكون هذا هو التفسير الشامل لقوله تعالى:

﴿*ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكرون*﴾[١].

يقول العلامة الطباطبائي ﵀ في تفسيره للآية: ﴿*ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكرون*﴾ الزوجان المتقابلان يتم أحدهما بالآخر، فاعل ومنفعل كالذكر والانثى، وقيل: المراد مطلق المتقابلات، كالذكر والانثى، والسماء والأرض، والليل والنهار، والبرّ والبحر، والانس والجن، وقيل: الذكر والانثى[٢].

خلق الزوجين الذكر والأنثىٰ:

قال تعالى: ﴿*وأنّه خلق الزوجين الذكر والأنثىٰ من نطفة إذا تُمنىٰ*﴾[٣].

إنّ الانسان الذي هو قمة الخلق الربّاني، الذي خلقه ربه في أحسن تقويم، تتجلّى فيه ظاهرة الزوجية ووجود الذكر والانثى، ومن الملاحظات

---

(١) سورة الذاريات: ٤٩.

(٢) الميزان في تفسير القران: ١٨ / ٣٨٢.

(٣) سورة النجم: ٤٥ ـ ٤٦.

البديهية وجود هذين الخلقين الذكر والانثى أي الرجل والمرأة اللذان يكمل أحدهما الآخر.

وذلك لأنّ كل واحد منهما له وظائف خاصة في الحياة الانسانية، مع اشتراكهما في الصفات الانسانسية العامة والتي هي موضع ومحل العناية الإلهيّة وبها تتعلق المسؤولية الكاملة للانسان. وليس في هذا الإختلاف تفضيل لأحد الجنسين على الآخر بصورة مطلقة، كما قد يظن البعض. وانما التفضيل بمقدار أداء أي واحد من أفراد الجنس البشري رجلاً كان أو امرأة لمسؤوليته الكاملة أمام شريعة الله ومساهمته في ترشيد وتكميل المسيرة الانسانية الخيّرة.

أما تفضيل الرجل في قضيّة القيمومة والتي ذكرها الباري سبحانه في قوله: ﴿*الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم*﴾. فإنّها ترجع إلى وجوب وجود مدير واحد أيضاً. فاختير الرجل لانه مفضل في العموم في جانب الإدارة. فالصفات المميزة للجنسين ليست تفضيلاً مطلقاً لأحدهما على الآخر، وانما هي خصائص يحتاجها البشر حسب أماكن العمل ونوعيته.

نبذة مختصرة عن تأريخ المرأة:

يحدثنا التأريخ طوال العصور القديمة الغابرة أنّ المرأة كانت لا شيء في المجتمع، وقد اعتبرت المجتمعات القديمة ـ كالهندية والفارسيّة واليونانية ـ أنّ المرأة أمُ الدّاء ورأس كل فتنة وأحقر كلّ شيء، ونظراً لذلك يجب ان لا تعدّ من المهام، وان لا يحسب لها حساب وأخذت هذه المجتمعات تعامل المرأة أقسى المعاملات، وتفرض عليها كل الأعمال، وتسخرها حتى في الأمور التافهة استهانة بها وحطاً من كرامتها، وإنكاراً لوجودها الإنساني، ويقول مجتمع روما: (إنّ المرأة كائن لا نفس له، وانّها لن ترث الحياة الأخروية،

وكذلك وانّها رجس يجب ان لا تأكل اللّحم، ولا تضحك ولا ان تأكل ولا ان تتكلم بل وجعلوا من فمها قفلاً ضخماً هائلاً[١].

ويقول الفيلسوف الصيني (كونفوشيوس): (لا يجوز للمرأة ان تأمر وتنهى، فإنّ عملها قاصر على الأشغال المنزليّة ولا بدّ من احتجابها بالبيت حتّى لا يتعدى خيرها وشرها عتبة الدار)[٢].

وبقيت هذه الحالة حتى جاءت الأديان السماوية السابقة للإسلام، فوضعت منهاجاً صالحاً يعترف بكيان المرأة، ويأمر بتحسين وضعها والرفع من شانها.

أمّا في كلّ من حضارة وادي الرافدين ووادي النيل نرى القوانين قد شرّعت وأحكمت فيها الدساتير، غير أنّ المرأة بقيت على ما كانت عليه بل زادتها سخرية وقيوداً، وقد وجد في مسلّة حمورابي نصّاً يذكر فيه المرأة وواجباتها في المجتمع، وما يترتب عليها من أعمال يومية، وأصول زوجية، إضافة إلى ذلك كانت تعامل كالماشية في بيعها وقتلها، ولماّ قامت الحضارة اليونانية نراها قد وضعت قيوداً غليظة على المرأة مع عدم الاعتراف بحقوقها كالكرامة والسيادة والانسانية، كما وأصبح زمام الأمر بيد الرجال دون النساء، كانت من نتائجها ان سقطت الحضارة اليونانية مخلّفة من ورائها الويلات والمتاعب حتى بقيت آثارها في الغرب إلى وقتنا الحاضر.

أما عند العرب الجاهليين وفي الجزيرة العربيّة بالذات كانت المرأة على أسوأ حال عما يذكر أو يوصف، فحقوقها مهدورة وكرامتها ضائعة والمجتمع لا يعترف بإنسانيّتها، وكثيراً ما كان يتألم العربي إذا بُشر بانثى بل ويقتلها وخير مصداق لقولنا ما جاء به القران الكريم: ﴿*ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاق نحن*

---

(١) كتاب المرأة المعاصرة: ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٦.

نرزقهم وإياكم، إنّ قتلهم كان خِطأً كبيرا ﴾[١]. والآية: ﴿*وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوّداً وهو كظيم ۞ يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به أيمسكه على هونٍ أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون*﴾[٢]. والآية: ﴿*وإذا بُشّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظلّ وجهه مسوّداً وهو كظيم*﴾[٣].

فالآيات المتقدمة تصوّر مدى استياء الرجل انذاك من الانثى حتى انه لا يخرج من بيته إلى النّاس كي لا يصاب عليه بها، فهي بمثابة وصمة عار على جبين والدها، وكان يتأرجح الوالد بين ان يدسها في التراب وبين ان يقيها، لكن الأولى في رأيه ان يقبرها وهي حيّة، لذلك خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿*وإذا المؤودة سُئلت بأيّ ذنب قتلت*﴾[٤].

وظلّت المرأة على هذه الحال إلى ان جاء الإسلام ورفع منزلتها وسنّ حقوقها، وجعلها تتمتع بانسانيتها وكرامتها في المجتمع، وسنأتي على تفصيل ذلك في المواضيع القادمة.

أوروبا والمرأة:

لما نهض فلاسفة أوروبا وأولوا الرأي والعلم منهم في القرن الثامن عشر، ورفعوا عقيدتهم لحماية حقوق الفرد في المجتمع، ونفخوا في أبواق الحريّة الفرديّة كان بين يديهم ذلك النظام التمدني الفاسد الذي كان تولد بتفاعل الاتحاد الثلاثي من نظم الأخلاق، وفلسفة الحياة المسيحيتين ونظام الاقطاعية، وقيدوا الرّوح البشرية بقيود مثقلة غير طبيعية، وسدّوا في وجهها جميع سبل الرقي والإزدهار.

---

(١) سورة الإسراء: ٣١.

(٢) سورة النحل: ٥٨ ـ ٥٩.

(٣) سورة الزخرف: ١٧.

(٤) سورة التكوير: ٨ ـ ٩.

فالنظريات التي قدمّها أساطين أوروبا الجديدة وأقطاب التفكير الجديد فيها للقضاء على ذلك النظام الفاسد واستبدال نظام جديد به، أسفرت عن ثورة فرنسا الشهيرة ثم تحرك عجلة الحضارة والثقافة الغربيتين وبقيت تسير على هُداها، حتى آلت بعد تقلبات الزمان إلى مرحلتها الحاضرة.

إنّ كلّ ما فعلته أوروبا الجديدة في عهدها لإنهاض المرأة من كبوتها، كان له أثر محمود في الحياة الاجتماعية، فقد خففوا شيئاً مما كان في قوانين الطلاق من شدّة وتضييق، وردُوا إلى النساء جملة صالحة من حقوقهنّ الاقتصادية المسلوبة، وتناولوا بالإصلاح والتهذيب النظريّات القائلة بذلّة المرأة ومهانتها.

وعدّلوا أيضاً قوانين العشرة والإجتماع التي كانت قد وضعت للنساء في مستوى الجواري والإماء من واقع الأمر، كما فتحوا لهنّ أبواب التعليم والتربيّة العاليين كالرجال، فمن هذهِ الطرق والتدابير الفعالة المختلفة انبعثت مواهب النساء، وبرزت كفاءتهن التي كانت مطمورة تحت أثقال فادحة من قوانين المجتمع انذاك.

فترقية الصحّة العامة وتربية الجيل الناشئ، وتنمية النظام العائلي وآدابه، كل أولئك كان من بواكير ثمار اليقظة التي حصلت بين النساء بفعل الحضارة الجديدة، ولكن النظريات التي تولدّت من بطنها هذهِ الحركة، الحركة التي كانت تتسم من أوّل يومها بالنزوع إلى الإفراط والميلان عن القصد، ثمّ نما هذا النزوع واشتدّ في القرن التاسع عشر حتى بلغ نظام الإجتماع نهاية الإفراط والتباعد عن القصد. وقد تمخض من هذا الإفراط نتائج سلبيّة كثيرة وهي قائمة ليومنا هذا، فالمساواة بين الرجل والمرأة مثلاً أخذت مكاناً وفهماً غير الذي وضع إليها بحيث فهموا أنّ من معاني المساواة أن لا يكون الرجل والمرأة متساويين في الحقول البشريّة والمنزليّة الخلقيّة فحسب، بل أنّ المرأة تؤدي في

الحياة المدنية ما يؤديه الرجل من الأعمال، وان يطلق لها من عنان القيود الخلقية مثل ما أطلق للرجل من ذي قبل.

فهذه الفكرة الخاطئة والنظريّات الماديّة أدت إلى مآسي وويلات بعيدة الفور، عميقة القعر، راحت تمزق المجتمعات، وتهدم الأساس الإجتماعي والسياسي والتربوي.

وهذا الجهل هو السبب في تجاهل هذه الظريات لطبيعة الانسان القائمة على قاعدة مزدوجة من المادية الروحية بمستوى واحد، بينما تستمد كل قوتها من النفس المتعطشة إلى إشباع الهوى و الجنس والعاطفة الثائرة. لقد أضحت المرأة اليوم في عالم الغرب كدمية يتمتع بها الرجل عندما يشاء وكيفما يشاء بل وحسبما يشاء، متخذة من جمالها الطبيعي ذريعة إلى تحقيق هذا الهدف، فأعطتها الحريّة المطلقة في أن تبيع جسدها رخيصاً إلى أي انسان يمدّ يده ليقطف منها ساعة لذيذة، حلوة تترك خلفها بصمات بائسة ملطخة جبين المجتمع الانساني بالعار والشنار المخزيين. ولقد فقدت المرأة في عالم الغرب اليوم كرامتها ودورها الرسالي في المجتمع، وصبّ العذاب والشقاء عليها في المجتمعات التي ابتذلت كاملاً، فسقطت في مهابط الجنس السحيقة بسبب الرواغ والخداع الماديين.

المرأة المسلمة:

تعيش المرأة المسلمة في ظل الإسلام، ولها من الحقوق والواجبات مثل ما للرجل من الحقوق والواجبات، فهي شق له في كلّ شيء فقد جعلها الإسلام تتمتع بانسانيتها وكرامتها في المجتمع وعدّها كالرجل في بعض الأمور، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحج والبيع والشراء ورخصها في مزاولة أموالها انى شاءت وكيفما رغبت.

ومما لا شك فيه من أنّ الإسلام جاء لقلب النظم الفاسدة، وقلعها من جذورها واحلال القران المجيد (الدستور الإسلامي) مكانها، وهذهِ عملية شاقة ومهمة صعبة تبناها الإسلام للقضاء على الظلم والجور والطغيان والعبودية والخضوع، والذل والإهانة وكلّ مبادئ التهكم والازدراء. والحقيقة أنّ الإسلام جاء مكملاً لتلك الأديان السماوية وما تلك الأديان السابقة له إلاّ تمهيد للدين الإسلامي، والإسلام اعتبر المرأة من إحدى مقومات الدين، وركن من أركان الحضارة الإسلامية، ونقطة انطلاق للتمدن والعمران في حياة الأمة والبشرية جمعاء، وقد فتح الإسلام أمام المرأة كل المجالات للخوض فيها بل ويطالبها بالخوض في كلّ المجالات، حيث يقول النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: (طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة)[1].

كما أنّ الثواب الأخروي الذي يشمل الرجل يشمل المرأة كذلك حيث ان بلوغ القرب الإلهي لا ينحصر بجنس خاص وانما هو رهن الإيمان والعمل سواءً كان ذلك بالنسبة للرجل أم المرأة، فهناك في تاريخ الإسلام الكثير من النساء الشامخات اللواتي توفرن على قدرٍ كبير من القدسيّة، فقليل من الرجال يبلغ شموخ خديجة، وليس هناك رجل سوى النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام يبلغ شموخ وعظمة فاطمة الزهراء عليها السلام. فلم يجد الإسلام فرقاً بين الرجل والمرأة في حركتيهما نحو الله.

ودينننا الإسلامي يحثّ على احترام المرأة وإكرامها، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (من إتخذ امرأة فليكرمها، فانما امرأة أحدكم لعبة، فمن اتخذها فلا يضيعها)[2].

---

(١) راجع كتاب المرأة المعاصرة: ١٧٧.

(٢) بحار الانوار: ١٠٠ /٢٢٤.

ولا يخفى أنّ قوله ﷺ ـ لعبة ـ أي لعبة انس ومداعبة، واللعوب يطلق على الجارية حسنة الدل (الدلال) والجمع لعاب، ومنه حديث جابر: مالك وللعذارى ولعابها[١].

ولا يخفى أنّ ما في الحديث من لطف الإشارة إلى حسن المرأة ودلالها الذي ينبغي ان يراعيه الرجل ويعطيه ما يستحقه من المحبّة والكرامة والانس.

ولعلّ قوله تعالى: ﴿*ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة*﴾[٢] فيه اشارة إلى هذا المعنى؛ لأنّ السكن أعمّ من كونه مادياً، ومعنوياً وهو ما تحققه المرأة للرجل في الغالب.

وعن الإمام الصادق عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إتّقوا الله إتقوا الله في الضعيفين: اليتيم والمرأة، فان خياركم خياركم لأهله)[٣].

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: (من صدق لسانه زكا عمله، ومن حسنت نيته زاد الله في رزقه، ومن حسن برّه بأهله زاد الله في عمره)[٤].

وعن النبيّ الأكرم ﷺ قال: (إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم)[٥].

وقال أبو عبد الله ﷺ: (من أخلاق الانبياء حبُ النساء)[٦].

وعن النبيّ ﷺ قال: ما زال جبرئيل يوصيني بالمرأة حتى ظننت انه لا ينبغي طلاقها إلاّ من فاحشة مبيّنة) [٧].

---

(١) لسان العرب: ١ / ٧٤٠ ، مادّة (لَعِب)

(٢) سورة الروم: ٢١.

(٣) بحار الأنوار: ١٠٠/٢٢٤.

(٤) بحار الأنوار: ١٠٠/٢٢٥.

(٥) بحار الأنوار: ١٠٠/٢٢٦.

(٦) بحار الأنوار: ١٠٠/٢٣٦.

(٧) بحار الأنوار: ١٠٠/٢٥٣.

من هذه الأحاديث والروايات المقدّسة للنبيّ الأكرم وأهل بيته تتضح لنا مكانة المرأة في الإسلام، ولدينا شواهد تأريخية للكثير من النساء اللواتي برزن وظهرن إبداعاتهن في مختلف المجالات، وشتّى صنوف العلم والمعرفة في ظل الإسلام، وبقيت آثارهنّ خالدة أبد الدهر، وأبرز مثال على ذلك السيدة الطاهرة عقيلة بني هاشم زينب الكبرى التي حملت مبادئ ثورة سيد الشهداء ونقلت رسالتها إلى العالم بأسره.

المعالجات السليمة للعلاقة بين الرجل والمرأة:

مما لا شك فيه أنّ الإنسان بطبيعة الحال مندفع اندفاعاً فطرياً نحو الملذات والشهوات البدنية والنفسية واشباع الغريزة الجنسيَة من الحاجات الضرورية في حياة الانسان، وذلك لإقتضاء العناصر الماديّة التي تركب منها الانسان كساير الحيوانات المركبة من نفس العناصر، فلا فرق بين الانسان وغيره من الحيوانات في جميع ما تقتضيه النفس الحيوانية والعناصر المادية التي من شانها الميل والإندفاع إلى الأكل والشرب والمشي والنوم والحركة والإستراحة واشباع الغريزة الجنسية وغيره.

ومن المعلوم أنّ الإنسان لكونه مزوداً بالعقل ومجهزاً بالعلم والمعرفة واليقين والفكر والتدبير أيضاً وقادر على معالجة القضايا التي تقف في وجهه وتحجزه في الوصول إلى أمانيه ومآربه يفوق سائر الحيوانات في إشباع غرائزه ونيل أمانيه النفسية الحيوانية، فخطر الانسان على المجتمع وعلى أبناء جنسه يكون أعظم وأشدّ خطراً من الحيوانات على صنفها، لأنّ شهواته النفسية لا تقف عند حد خلافاً لسائر الحيوانات إذ أنّ شهوتها محدودة فلا بدّ للانسان من رادع يردعه وزاجر يزجره عن إتباع الشهوات الحيوانية المنافية للإنسانيّة إذاً فلا بدّ له من منهاج ونظام رصين معقول يكفل له الإستمتاع من شهواته

الحيوانية التي تقتضيه نفسه، وذلك النظام والمنهاج، وذلك الرادع والزاجر هو الدين، وديننا الإسلامي الذي جاء لإسعاد البشر ولتربيته وتزكيته قد سنَ نظاماً عادلاً متيناً موافقاً للفتاة العاقلة المسلمة كافلاً لهاحقوقها، وحافظاً فيه كرامتها وعفتَها وناموسها، ومتضمناً لها سعادتها ومصلحتها، ومراعياً فيه ما تقتضيه نفسها وعنصرها، لذلك أمرها بانتهاج ذلك النظام هو التحجب وهو ستر جميع بدنها وجسمها عن كلَ من ليس لها بمحرم من الرجال.

فالمسلمون ليسوا من دعاة كبت طاقات المرأة ولا من دعاة تحويل المرأة إلى قنوات للجنس واللذة، فهل من المفروض على المرأة ان تتعرى لكي تظهر طاقاتها وابداعاتها في العلم، أو في الإنتاج أو في الإختراعات؟.

ومما لا شك فيه أنَ السفور أول نتائجه هو (الشذوذ الجنسي) الذي يحدثه في الرجال والنساء. إنَ الرجل بهيمي الطبيعة الجنسية، فهو يثور بالفكرة والنظرة فلا تحدد أماكن في بدنه للإثارة والفطرة الانسانية مجبولة على تقارب الجنسين، واستمتاع كلَ منهما بالآخر، والجاذبية الجنسية التي تتمتع بها المرأة هي أكثر بكثير من الجاذبية الجنسية الموجودة في الرجل، فإذا تبرَجت المرأة السافرة بمظاهر جمالها ومراكز جاذبيتها فتكشف عن جسدها، كان الشذوذ الجنسي، وكان الفساد الخلقي اللذان هما مصدر سلسلة من الأوباء الإجتماعية والفردية الفتاكة، ورأس الخيوط القائمة من المفاسد والأضرار التي تردي بالمرأة وتردي بالرجل حيث السفالة واللاانسانية والوحشية التي تولد الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

أمَا المرأة المحجبة فيصونها الحجاب هي والرجل معاً عن افتتان أحدهما بالآخر، فلا يُردي بهم الشذوذ الجنسي في متاهات الفساد.

إنَ الشريعة المقدسة أمرت بصورة مؤكَدة بضبط نظرات الانسان في كلَ مكان يعيش فيه وأمرت المرأة بالحجاب صيانةً لها ولكرامتها، يقول تعالى في

كتابه العزيز: ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضُضنَ من ابصارهنّ ويحفظنَ فروجهنّ ولا يبدينَ زينتهنّ إلاّ ما ظهر منها وليضربنَ بخمرهنّ على جيوبهنّ ولا يُبدين زينتهن إلاّ لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني أخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يُخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلّكم تفلحون﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسئلوهنّ من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ولا جناح عليهنّ في آبائهنّ ولا أبنائهنّ ولا إخوانهنّ ولا ابناء اخواتهنّ ولا نسائهنّ ولا ما ملكت أيمانهنّ واتقينَ الله إنّ الله على كلّ شيء شهيد﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يا أيّها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنينَ عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك ادنى أن يعرفنَ فلا يؤذينَ وكان الله غفوراً رحيماً﴾[٣].

ونهى النبيﷺ ان ينظر الرجل إلى عورة أخيه المسلم وقال: (من تأمّل عورة أخيه المسلم لعنه سبعون ألف ملك)[٤].

ونهى النبيﷺ كذلك المرأة ان تنظر إلى عورة المرأة، ونهىﷺ ان يطلع الرجل في بيت جاره، وقالﷺ: من نظر إلى عورة أخيه المسلم أو عورة غير أهله متعمداً أدخله الله مع المنافقين الذين كانوا يبحثون عن عورات المسلمين، ولم يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله إلاّ ان يتوب)[٥].

وقالﷺ: (من ملأ عينه من حرام ملأ الله عينه يوم القيامة من النّار إلاّ ان يتوب ويرجع)[٦].

---

(١) سورة النور: ٣٠ - ٣١.
(٢) سورة الأحزاب: ٥٣ و ٥٥.
(٣) سورة الأحزاب: ٥٩.
(٤) بحار الأنوار: ٣٢/١٠١.
(٥) بحار الانولر: ٣٢/١٠١.
(٦) بحار الانوار: ٣٢/١٠١ الرواية ٣.

وقال: (من صافح امرأة تحرم عليه فقد باء بسخط من الله، ومن التزم امرأة حراماً قرن في سلسلة من نار مع الشياطين، فيقذفان في النار)[1].

وسئل الإمام أبي عبد الله: (ما للرجل ان يرى من المرأة إذا لم يكن لها بمحرم؟ قال: الوجه والكفين والقدمين)[2].

وعن الإمام الصادق عن أبيه قال: قال رسول الله: (كل عين باكية يوم القيامة إلاّ ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين غضّت عن محارم الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله)[3].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (ليس في البدن شيء أقل شكراً من العين، فلا تعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله عزّ وجلّ)، وقال: (لكم أول نظرة إلى المرأة، فلا تتبعوها بنظرة أخرى، واحذروا الفتنة)[4].

وقال الإمام الصادق: (من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غض بصره لم يرتد إليه بصره حتى يزوجه الله عزّ وجلّ من الحور العين)[5].

وقال: (أول النظرة لك، والثانية عليك ولا لك، والثالثة فيها الهلاك)[6].

وقال: (من اطلع في بيت جاره فنظر إلى عورة رجل أو شعر امرأة أو شيء من جسدها كان حقيقاً على الله ان يدخله النار مع المنافقين الذين كانوا

---

(١) بحار الانوار: ١٠١/٣٢ الرواية ٤.
(٢) بحار الانوار: ١٠١/٣٥ الرواية ١٥.
(٣) بحار الانوار: ١٠١/٣٥ الرواية ١٨.
(٤) بحار الانوار: ١٠١/٣٦ الرواية ١٠.
(٥) بحار الانوار: ١٠١/٣٧ الرواية .
(٦) بحار الانوار: ١٠١/٣٧ الرواية ٢٩.

يتبحثون عورات المسلمين في الدنيا ولم يخرج حتى ينضجه الله ويبدي عوراته للنظارين في الآخرة)[١].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لعنَ الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال)[٢].

وهكذا من خلال هذا البحث نرى ان كيف ديننا الإسلامي أمر الانسان بهذهِ الأخلاق السامية حفاظاً على المرأة والرجل وصيانةً للمجتمع من الانحراف الذي يؤدي إلى الهلاك والتمزق الاجتماعي، وهو كما نراه اليوم في عالم الغرب فلا نجاة إلاّ باتباع منهج رسالة السماء وسيرة النبيّ المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام.

الجنس والحب الجنسي:

إنّ الجنس كشيء قائم بحدّ ذاته وكقيمة فريدة تبرر ذاتها بشكل مطلق، ومن المستحيل مقارنتها بالإهتمامات والفعاليات البشرية الأخرى، وهو يبدو كمحرك رئيسي ومصدر قوة كامن خلف المظاهر الأخرى للوجود ومهما كان عددها؟ والدافع الجنسي هو ابن الطبيعة المفضل، ومهما تكن طاقة الانسان مثقل بالمشاكل والمشاغل، فإنّ الدافع الجنسي لابدّ من ان ينال نصيبه، ومن الطريف أن يلاحظ أنّ كثيراً من الجرائم الجنسية التي رافقتها حالات من الغيبوبة أو النزعات الجامحة العنيفة قد صدرت من رجال كانوا يعانون من حالات إعياء وانقباض.

والجنس عند الانسان يمكن ان تطلق حوله التعميمات التالية:

---

(١) بحار الانوار: ١٠١/٣٧ ـ ٣٨ الرواية ٣٢.

(٢) بحار الانوار: ١٠٠/٢٥٨.

١ - إنّه عند الإنسان كما هو عند الحيوان له مظهر فيزيولوجي واضح ألاّ وهو توق الأعضاء التناسلية إلى الوصول إلى النشوة الجنسية، ومن ثم القذف الذي يشبه رعشة ناتجة عن تيار كهربائي جنسي يريد أن ينقذف إلى الخارج.

٢ - إنّ رائحة الأُنثى ليست هي العامل الذي يوجد الحوافز الجنسية عند الرجل مع أنها قادرة طبعاً على التأثير عليه، والعامل الذي يوجد ويوجه الحوافز الجنسية الانسانية هو عامل عقلي أو تصوّري محض، مع انه مرتبط ارتباطاً قوياً عادة بانفعالات شهوانية جسدية.

٣ - إنّ الغريزة الجنسية من دون كل الغرائز والرغبات الانسانية كلها هي التي تتخطى أكثر من غيرها إدراك الانسان الواعي لنفسه ولأهدافه ومطاليبه، وهي أشبه ما يكون بكيان منفصل معه ولا يعيه ولا يفهمه في الغالب.

وقد قرر علماء التحليل النفسي أنّ الغريزة الجنسية توجد منذ أول الطفولة الباكرة وتشترك بنشاط في التجليات الأولى لنشاط الولد، كما تشارك في القدرات الأولى تماماً التي يملكها الطفل للتفاعل مع محيطه المباشر وضبط جسده، وتحقيق التكوينات المسبقة لما سوف يسمى فيما بعد الوعي بالانا وتجلياته واكتساباته، وهذا المبدأ أثبت صحته تجريبياً، وان لم يجر حتى الان بصورة كلية تعميق المسألة على الصعيد العيادي والنفساني.

والغريزة الجنسية لدى الطفل وجود مستقل عن الطفل نفس استقلال مظاهر نشاطاته الجسديّة أو الإنفعالية الأخرى.

إنّ قضية الجنس كغيرها من القضايا في تكوين الانسان ووجوده قد أسبغ عليها من خياله وأساطيره الكثير، وفي محاولته لتعليلها وتفسيرها مع ظاهرة الحبّ المتولد عنها بالدرجة الأولى.

إنّ علماء الفسيولوجيا الذين يرجعون هذهِ الوظيفة السيكولوجية إلى مجموعة من الغدد والافرازات يصرون على دراسة الحب باعتباره مجرد

وظيفة بيولوجيّة، وحجّتهم أنّ الظواهر الفسيولوجية تتكفل بتفسير شتى المظاهر النفسية للوجود البشري بما فيها الحب والكراهة والغيرة... الخ، وهذا ما ذهب إليه فرويد حينما اعتبر الحب مجرد ظاهرة جنسية محضة، وكانما هو نتيجة لتوتر كمياوي يحدث في الجسم، فيتطلب نوعاً من التفريغ أو إطلاق الطاقة لإزالة الألم الناجم عن هذا التوتر، فهو إذن ليس سوى رغبة جنسية ناجمة عن حاجة عضوية لا بدّ من العمل على إشباعها كالجوع والعطش.

ولكن هذا الرأي قد جوبه بمعارضة كبيرة من عدد من المفكرين، ومن جملة ما ردّ عليه به أنّه لو صح هذا الرأي لكانت العادة السريّة (masturation) هي المثل الأعلى لكل اشباع جنسي، بينما أنّ التجربة البشرية تشهد بوجود حب بدون جنس، وكذلك وجود جنس بدون حب، وان الحب ليس مجرد وظيفة بيولوجيّة تتكفل بتفسيرها الغريزة الجنسية بل انه ظاهرة انسانية معقدة تتداخل فيها اعتبارات القيمة والحاجة إلى التغلب على الإنعزال النفسي والنزوح إلى الخروج من مرحلة الأنانيّة.

أمّا في ديننا الإسلامي فهناك استحباب في حب النساء المحللات، حيث جاء في الرواية عن الإمام أبي عبد الله ﷺ قال: (ما أظن رجلاً يزداد في الإيمان خيراً إلاّ ازداد حبّاً للنساء)[١].

وقال أبو عبد الله ﷺ: ما تلذذ الناس في الدنيا بلذة أكثر لهم من لذة النساء، وهو قول الله عزّ وجلّ: (زُيّن للناس حبُّ الشهوات من النساء والبنين) إلى آخر الآية ثم قال: وإنّ أهل الجنّة ما يتلذذون بشيء من الجنّة أشهى عندهم من النكاح لا طعام ولا شراب[٢].

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٢/٢٠.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٣/٢٠.

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (قول الرجل للمرأة اني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً)[١].

وعن أبي العباس قال سمعت الصادق ﷺ يقول: العبد كلما إزداد للنساء حباً إزداد في الإيمان فضلاً[٢].

وأختم هذا بما ذكره السيد الشيرازي في تعليقه على رواية الإمام أبي عبد الله ﷺ: (أكثر الخير في النساء)[٣] : "النساء نصف الحياة، فإذا انضم إليه النصف الثاني صارت القيمة أكثر من النصفين كحصول الهيئة الاجتماعية المؤثرة في مختلف أبعاد الحياة، كمصراع الباب، حيث ينضم إليه مصراع آخر، فانه يمنع عن البرد والحيوان اللص وما أشبه، ولذا كل مصراع مثلاً بدينار بينما المجتمع بثلاثة دنانير مثلاً[٤].

أخطار التحلل الجنسي:

إنّ الله تعالى حينما خلق الانسان أودع فيه الغريزة الجنسية من أجل تحقيق الحكمة البالغة لبقاء الجنس البشري وإدامته، فقد أوجد الباري عزَ وجلَ هذهِ الغريزة عند الطرفين الذكر والانثى كعامل مساعد ومؤثر لكي تتم المقدمات الضرورية التي جعلها سبحانه وتعالى سبباً لإيجاد كائن بشري جديد. ورغم وجود الدوافع الشرعية والحث الشديد على الزواج إلاَ أنَ الأغلبية الساحقة من الناس لم تكن لتستجيب للحثّ الإستحبابي رغم قوته بسبب وجود المشاكل والأعباء الناتجة من الزواج وبناء العائلة وادامة الحياة

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٠/٢٣.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٠/٢٤.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٠/٢٤

(٤) في ظل الإسلام: ١٠٨.

الانسانية، فالغريزة أو اللذة الجنسيّة ليست رغبات عابثة لا قيمة لها سوى التلذذ، بل هي حكمة ربانيَة ساميّة ولذا لابدّ من ضبطها والإهتمام بها وتصريفها في المواضع المناسبة الطبيعية المأمونة، أما الإختلاط اللامحدود والإباحية الجنسية فانها تؤدي إلى القضاء على هذهِ الغرائز والدوافع واضعافها، مع إنّها قد وجدت لحكمة ساميّة، فاعتياد النظر إلى شيء يفقده الإثارة والإهتمام الناتجين ولو من باب البحث عن الأمر واكتشافه، وهكذا بالنسبة إلى اختلاط الرجال بالنساء بلا ضوابط ولا حدود، فانه يفقد المرأة قابليتها على الإثارة وهو أمر له دوره في سنن الخلق والوجود، وتكون المرأة بضاعة رخيصة في نظر الرجال، وهذا أمر خطير لانه يقضي على القوى الجنسية التي لها دور مهم في ادامة وجود الانسان على هذهِ الأرض.

ولعل الإباحيّة والاختلاط غير المحدود هو سبب شيوع أمراض البرود الجنسي وفتور العلاقات بين الأزواج في المجتمعات الصناعية المتقدمة وهي مجتمعات إباحية متحللة، وهذهِ الحالة هي أكثر الحالات المقلقة شيوعاً ولا تقدر الأدويّة الحديثة والنصائح الطبية المجردة على معالجة مرض تساعد على تثبيته واشاعته الممارسة اليومية من سلوك إباحي واختلاط بهيمي، ثمّ من الممكن أن تؤدي هذهِ الحالة إلى محاولة اكتشاف طرق جديدة للإثارة. وهي طرق شاذة في الغالب مما يؤدي إلى شيوع الشذوذ الجنسي في المجتمع وهو عمل تدميري للطبيعة البشرية والحضارة الإنسانية لأنّه يمسخ الغريزة الطبيعية الموجودة لحكمة جليلة ويحيلها إلى عمل حيواني لا قيمة له إلاّ التهييج الاني، والشذوذ يؤدي إلى أزمات نفسية واضحة كما يؤدي إلى أمراض بدنية خطيرة - سنبحث هذا في موضوع الأمراض المتنقلة بالجنس - وهنا نستطيع ان نستكشف مقدار الإنحراف الذي أصاب العقول القائلة: إنّ الإباحية هي الوسيلة الوحيدة للتخفيف من غلواء القدرات الجنسيّة عند البشر، وذلك لان

تخفيف هذهِ القدرات يؤدي إلى إضعافها أو مسخها، وهو أمر مخالف لطبيعة الخلق البشري، والعلاج الوحيد هو تصريف هـذهِ الطاقات وفق ضوابط واستخدامها في خدمة الانسان في أوقات محددة وظروف سليمة.

إنّ انتشار الشذوذ الجنسي بصورة وبائية فظيعة في بلدان يختلط فيها الجنسان اختلاط الحيوانات ببعضها، مثل: السويد والدنمارك وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وأمريكا، أثبت أنّ العلاج ليس في الإختلاط أو الحرية المطلقة وبدون ضوابط، بل في التربية والخلق ووضع الفواصل المعتدلة والنافعة بين الجنسين وهي أمور لا تنتج إلاّ عن طريق الإيمان بالخالق جلّ وعلا وشريعته.

الإشباع الجنسي أم الإثارة؟

المطلعون على أجهزة الإعلام في العالم الغربي وتسرباتها في العالم العربي والإسلامي يصابون بالدهشة والوجوم لما يشاهدون من تكرار ممل ومقزز لمشاهد الجنس الفاضح الذي يشغل أكثر ساعات البيت التلفزيوني وأكثر مساحات الاعلام المرئي والمقروء. وإذا عاد الانسان إلى عقله قليلاً فانه لابدّ ويتساءل عن الدوافع الكامنة خلف هذا التكرار لقضية طبيعية عاشتها البشرية منذ وجدت وإلى اليوم، فمن البديهي أنّ الأجيال السابقة قد عرفت الجنس ومارسته، فأوجدت الأجيال الثانية ومنها جيلنا المعاصر، دون ان تتعلم ذلك عبر شبكات التلفزيون وأدوات الاعلام الأخرى، إذن ما هي الأهداف المرجوة من هذا السبيل المتكاثر بربط كل جوانب الاعلام والدعاية باغراءات جنسية وصور فاضحة لفتيات الغلاف اللواتي يمارسن عملهن بنفس طريقة اعلانات العبيد في دور النخاسة في التاريخ السحيق ؟ هل ان المقصود الذي يقبله الإنسان العاقل إشباع الغريزة الجنسية وتوجيهها نحو الأهداف الحكيمة المرجوة منها؟ أم أنّ المقصود مجرّد الإثارة والتهييج الجنسي واثارة الخلاعة والفساد، ونشر الدعارة في المجتمع مما يسبب دمار الأسرة وتفككها وتحللها؟

إنَ عمل الإعلام الغربي لا يؤدي إلى النتيجة الثانية، وهذا يدلّ على وجود أهداف بعيدة المدى يؤمل من خلالها تفكيك المجتمعات لسيطرة قوى محددة هي التي تسيّر الاعلام اليوم. وإلاّ فإنّ التعليم الجنسي كما يدعون لا يحتاج إلى هذا السيل من الصور الفاضحة للاعلانات المغرية والأفلام التي تكاثرت إلى حد الغثيان. ولو كنا بحاجة إلى تعلم آداب الجنس إلى هذه الوسائل الساقطة، لما أمكن أن يوجد اليوم إنسان واحد، لأنّ الأجيال السابقة لم تشاهد كل هذه الأفلام والصور، وكان ينبغي ألاّ يتعلموا الجنس وآدابه حسب إدعاء أصحاب تلك الوسائل الإعلامية.

والنتيجة ألاّ يكون أحد من السابقين قادراً على الزواج والإنجاب وإدامة الجنس البشري. ان هذا التوجه الخطير هو واحد من المآزق التي وقع فيها الانسان المعاصر نتيجة الفراغ الفكري والإيماني، لأنه يحاول سدّ الفراغ بكل ما يلهيه ويشغله ولو أدّى إلى الكفر بنعم الله سبحانه، ومسخ الخلق الطبيعي الجميل للحياة، هذا إضافة إلى ما أدى إليه الأمر من مخاطر مرضية، أقلقت الغربيين بعنف ولكنها لم تقدر على إعادتهم إلى رشدهم وصوابهم.

ولا ننسى دور التمثيل والسينما الان حيث نرى سماء هوليود وغيرها من المدن الأوربية والأمريكية تعجّ بالممثلات السينمائيات والراقصات الفاحشات وهن عاريات حسب مفهوم الحريّة الذي اقتضى ذلك ويحسبن انفسهن سعيدات كما يقلن أمام هذا الجمهور الغفير وإمام الألوف بل الملايين من الناس المتفرجين عليهن، وأمام هذه الحرية أنّ هؤلاء المتفرجين لم يأتوا لمشاهدة التمثيل والسينما والمسرح الهادف، ولم يأتوا لأداء الإحترام الشخصي لتلك الممثلات إنّما يأتون لأجل التمتع مع أنوثة تلك الفتيات حيث يستغلوا جنسها الناعم ليحدقوا النظر، كي يتمتعوا بعينيها البراقتين وساقيها العاريتين وهكذا فان هذه الممثلات يأتين في عالم الفن الحسي لإثارة الجنس

البشري فتظهر على خشبة المسرح لتؤدي أجمل دور تلعبه طالما هي حسناء ومهما تأتي به من نجاح يكون بفضل جمالها وما تملك من حسن وافتنان وإثارة المتفرجين بحركاتها وترغيباتها وإيقاعها المغري، وما شان الديكور والمخرج وصاحب المسرح، إلاّ باقتناء أجمل بنت لا لأجل التمثيل وانما من أجل الاغراء والإثارة فحسب حتى تجلب الزبائن بجمالها لصاحب الملهى أو المسرح وحتى تحوز باعجاب المتفرجين لها لا غير لان احترامها قائم على ما تأتي به من ابراز مفاتنها والحركات الالتوائية التي تتفنن بإبدائها، والهزات الجسميّة التي تسحرهم بها بل الجسم هو الأول والآخر في نظر الجمهور وصاحب المسرح والمخرج السينمائي، وهذا ما نشهده اليوم وبشكل واضح وملموس في الأفلام المصريّة بالذات التي طغت حتى على الأفلام الغربية. إنّ ما يقارب (٩٥٪) من الأفلام المصرية هي جنسية وربما ادعى بعض هواة السينما بأنها أفلام اجتماعية، لكن غير صحيح لما يصحب هذه الأفلام من إثارة الجالسين، وهيجان غريزتهم الجنسية في بعض المشاهد واللقطات من الفلم.

هكذا استغلت السينما والمسرح ومهمة التمثيل لغرض المتاجرة لا العلم والفائدة العلمية، ولا لتثقيف الناس بعرض أفلام ثقافية في التصنيع والتعليم والحرب، والطب أو لعلاج المشاكل الاجتماعية.

وأمّا الغناء الذي أصبح فخراً للنساء اليوم يتباهين به ويتولعن لحسنه والغناء اللهوي بكل أشكاله هو محرم في شريعة السماء، وهناك العديد من الآيات القرانية التي تنهى عن الغناء والإستماع له، فقال تعالى: ﴿*ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين*﴾[1].

يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره للآية:

---

(١) سورة لقمان: ٦.

اللهو ما يشغلك عما يهمّك، ولهو الحديث الذي يلهي عن الحق بنفسه، كالحكايات الخرافية والقصص الداعية إلى الفساد والفجور، أو بما يقارنه كالتغني بالشر أو بالملاهي والمزامير والمعازف فكل ذلك يشمله لهو الحديث[1].

عن يحيى بن عبادة عن أبي عبد الله قلت: قوله عزّ وجلّ: ﴿*ومن الناس من يشتري لهو الحديث*﴾ قال: منه الغناء.

وعن أبي جعفر قال سمعته يقول: الغناء مما أوعد الله عليه النار وتلا هذه الآية: ﴿*ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين*﴾[2].

عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عن كسب المغنيات، فقال: التي يدخل عليها الرجال حرام، والتي تدعى إلى الأعراس ليس به بأس، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿*ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله*﴾[3].

وروى أبو إمامة عن النبي قال: لا يحلّ تعليم المغنيات ولا بيعهن، وأثمانهن حرام، وقد نزل تصديق ذلك في كتاب الله ﴿*ومن الناس من يشتري لهو الحديث*﴾[4].

هكذا يحرم الإسلام الغناء، وكما لاحظنا في تفسير الآية الشريفة والأحاديث المروية عن النبيّ الأكرم وأهل بيته.

ومن المعلوم أنّ صوت المرأة أرق من صوت الرجل، لان أوتارها ناعمة كخيط العنكبوت أو أدق، ولإلتواء لسانها تغنج وميول مما يثير العاطفة

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠٩/١٦.

(٢) الميزان في تفسير القرآن:٢١٢/١٦.

(٣) الميزان في تفسير القرآن:٢١٢/١٦ - ٢١٣.

(٤) الميزان في تفسير القران: ٢١٣/١٦.

والشهوة، ومما يجذب الانسان فتهيج الغريزة الجنسية، وقد قال الشاعر بشار بن برد بهذا الصدد:

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

وهذا يدلل على ان الصوت الرقيق ـ الغناء ـ هو الآخر سبب في ابتذال المجتمع وانحطاطه، والغناء ليس عملاً جيداً وذلك لما يصحبه من تذلل وتخنت وابتذال، لذا فهو محذور على المرأة والرجل. لأنّ مسألة الإبتذال تعني إبتعاد الفرد عن أصوله الفطرية التي طبع عليها الانسان، فإذاما خرج هذا عن فطرته أصبح عضواً خاملاً لا فائدة منه.

البغاء من أخطار التحلّل الجنسي:

لأجل الحرية المطلقة اختلطت المرأة الغربية بالرجال في كل الأماكن وهي متبرجة عارية ولا شك لهذا السلوك السيء أن يترتب عليه مساوئ كثيرة، ومن هذا الإختلاط احترفت المرأة الغربية البغاء والدعارة ودخلت في سلك الفاحشة، فطاوعت الحرية أولاً ثم المادة ـ النقود ـ ثانياً فباعت عرضها وشرفها مقابل ثمن بخس ودراهم معدودة، باعت بكارتها وانوثتها لأراذل البشرية ولسفاكي الانسانية وملوثي الكرامة، هذا بسبب معاشرتها الفتيان في المكتب والمصنع والجامعة والشارع، واضعة يدها بأيديهم جاعلة نفسها منقادة لهم كما تقاد البهائم، غير مبالية بما يلحقها من عار وازدراء، وكثيراً ما أثار هذا الإبتذال رجال السياسة والمفكرين للعمل على إنقاذ المرأة عندهم من تعاستها وذلّها وهوانها.

مساوئ البغاء:

إنَّ للبغاء المنتشر نتيجة الإفراط في الحرية والإختلاط الغير المشروع نتائج منها:

١ـ كثرة أولاد الزنا بين الناس وهذا ما يقضي على شرف الانسان وكرامتها، وقد وجدنا أرقاماً تثير الدهشة والاعجاب، حيث ذكرت مجلة الاطلاعات الأسبوعية أنَّ في أمريكا عام (١٩٦١م) أربعمائة ألف بنت ارتمت في احضان البغاء وكانت النتيجة (٤٠٠,٠٠٠) طفل لقيط.

ويخمن القاضي الأمريكي (لندسي) أنَّ ٤٥٪ من فتيات المدارس يدنسنَ أعراضهنَّ قبل تخرجهن وترتفع هذهِ النسبة كثيراً في مراحل التعليم العالية[١].

ولا ننسى أنَّ البغاء واللقطاء يوجد في جميع البلدان الأوربية والأمريكية وفي تزايد مستمر في كلِّ سنة.

وقد بلغت نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في (دنقر) عاصمة ولاية (كولورادو) عن طريق البغاء بنسبة ٤٨٪[٢].

وفي السويد يولد من بين عشرة أطفال طفل غير شرعي، ويولد أيضاً في الدنمارك طفل من بين كل ثلاثة عشر، وفي أمريكا ولد (٢٢١,٠٠٠) طفل غير شرعي خلال عام ١٩٥٩م[٣].

هكذا يتضح لنا من هذهِ الأرقام المرعبة كيف قادت الحرية المطلقة المرأة الأوربية إلى ذلك الميدان المبتذل.

٢ـ ومن مساوئ البغاء أيضاً والذي تفاقم خطره على المجتمع هي الأمراض السارية، والتي سنبحثها في موضوع الأمراض المنتقلة بالجنس، كالايدز والسيلان وغيره.

---

(١) المرأة المعاصرة: ١٣٤.

(٢) المرأة المعاصرة: ١٣٥.

(٣) المرأة المعاصرة: ١٣٥.

٣ ـ ومن خطر البغاء أيضاً تناقص النسل لما تستعمله البغايا من حبوب لمنع الحمل أو لعملية الإجهاض المتفشية بين الفتيات غير المتزوجات، يقول الدكتور (موريس فيشباين): إنّ نسبة الإرتفاع في حالات الإجهاض أثناء الحرب يتراوح بين (٢٠ ـ ٤٠)[١].

٤ ـ إنّ من مساوئ البغاء تقوض الانسانية، وتفشي الخراب والدمار في الأوساط، وتكاثر الجرائيم، وتصلب القلوب وقسوتها حتى لاتجد ذرة من الرحمة في قلب المرأة التي تقتل طفلها عمداً.

ومما يلفت النظر هنا، أنّ أكثر الجرائم التي تحدث في الغرب تجد روادها أكثرهم من اللقطاء والأولاد الذين ولدوا بطرق غير مشروعة ـ الزنا ـ وهذا ليس بغريب، التركيب الفسيولوجي لهذا الإبن مزوّد بحب البحث عن الذات فيولد الإحساس بالنقص معه، لذا عند عجزه في الإجابة عما تواجهه من الأسئلة وما تنتابه من معضلة معرفة أبويه، وكان من البديهي أن يسأم من الحياة ويرتكب الجرائم، لأنّ الضمير والرّوح العاطفية تنعدمان إلى حدّ ما، عند ذلك لا يردعه أي رادع في اعلان سخطه على المجتمع والوطن.

ولقد حرّم ديننا الإسلامي البغاء تحريماً شديداً، حيث يقول عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿***ولا تُكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردنَ تحصُّناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا***﴾[٢].

يقول السيد الطباطبائي ﵀ في تفسيره للآية المباركة: الفتيات: الإماء والولائد، والبغاء: الزنا وهو مفاعلة من البغي، والتحصن والتعفف والزواج، وابتغاء عرض الحياة الدنيا طلب المال، والمعنى ظاهر[٣].

---

(١) المرأة المعاصرة : ١٣٦.

(٢) سورة النور: ٣٣.

(٣) الميزان في تفسير القران: ١١٣/١٥.

ويقول جلّ وعلا: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ذلكم وصّاكم به لعلّكم تعقلون﴾[١].

ويقول السيد الطباطبائي تتمُّن: الفواحش: جمع فاحشة، وهي الأمر الشنيع المستقبح، وقد عدّ الله تعالى منها في كلامه الزنا واللوط، وقذف المحصنات، والظاهر أنّ المراد مما ظهر ومما بطن العلانية والسّر، كالزنا العلني، واتخاذ الأخدان، والأخلاّء سراً.

وفي استباحة الفاحشة إبطال فحشها وشناعتها، وفي ذلك شيوعها لانها من أعظم ما تتوق إليه النفس الكارهة، لأنه يضرب عليها بالحرمان من اللذائذ وتحجب عن أعجب ما تتعلق به وتعزم به شهوتها، وفي شيوعها انقطاع النسل وبطلان المجتمع البيتي، وفي بطلانه بطلان المجتمع الكبير الانساني[٢].

ليس هناك أفضل من شريعة السماء علاجاً للبشرية، فالإلتزام بتعاليم السماء والنهج الذي وصفه لنا النبيّ الكريم ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ في التعفف والإنضباط النفسي والتوجه إلى الله تعالى في العبادات وغيرها من خلال تقوية الجانب الروحي للإنسان، هو الكفيل لبناء أسرة صالحة، ومجتمع صالح بعيداً عن الانحراف، الذي يؤدي في النهاية إلى الهلاك والدمار.

---

(١) سورة الانعام: ١٥١.

(٢) الميزان في تفسير القران: ٧/٣٧٥.

تنظيم العلاقة الجنسيّة اجتماعياً:

ليست الحياة الجنسية بالطليقة من كلّ قيد حتى في عالم الحيوان، فرفض الانثى للذكر إلاّ في فترات التهيج بحصر الحياة الجنسية عند الحيوان في دائرة أضيق جداً من مثيلتها عند الانسان ذي الشهوة العارمة، ومع ذلك تجد بين الشعوب البدائية ما يشبه قيود الحيوان أو ما يضادها في تحريم الإتصال بالنساء في أيام حيضهنّ ومع استثناء القيد العام يبدو الإتصال الجنسي قبل الزواج طليقاً إلى حدّ كبير في الجماعات البدائية الأولى[١].

يقول "موزيس جيزنبرغ" أحد علماء الإجتماع: إنّ القواعد التي تنظم العلاقات الجنسية وهي القواعد التي نصادفها في كلّ المجتمعات ذات تأثير هام على تركيب الجماعات الصغيرة، وهذهِ القواعد تتباين في تفاصيلها تبايناً هائلاً غير أنّ تأثيرها بوجه عام يتجه إلى منع اعضاء مجموعة معينة من التزويج بأيّ عضو آخر فيها، فعلى الرجل أن يبحث عن شريكته في مجموعة أو فئة أخرى، ولا جدال في أنّ هذا يؤدي إلى قمع أي ميل إلى العزلة العائلية يكون قد طاف بأذهانهم، ولمّا كانت المجموعة التي تربط بينها صلة القرابة تتفق غالباً مع المعشر المحلي، فلا بدّ للقواعد التي تمنع الزواج داخل مجموعة معيَنة من الأقرباء، أي لابد ان يكون للقاعد التي تنظم ما يسمى بالزواج الخارجي أثرها في ربط المعاشر المحلية بأواصر التزاوج، وبالتالي في توسيع تركيب المجتمع[٢].

ويقول موزيس جيزنبرغ:

---

(١) قصة الحضارة: ١ / ٧٩.

(٢) المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وانظمتها: ١/١٢٥ ـ ١٢٦.

إنّ السلوك الجنسي يتم تعلمه كما يتم تعلم الانماط السلوكية كلها، وقد تمّ ذلك من خلال تداخل معقد للعوامل النفسية والثقافية، وفكرة الزواج القائمة على أساس التمتع بالجنس هي فكرة موغلة في القدم، والبحوث فيها مبنية على استدلالات واستنتاجات متنوعة. وإذا كانت المجتمعات تقوم على الزواج الخارجي، فإنّ الآراء قد اختلفت حول أصول قواعد هذا الزواج ودلالتها، وقد تكون أهم النظريات نظرية هبهوس (Hobhonse) القائلة: بأنّ ذلك كان امتداد لفزع نظري من مضاجعة المحارم. وإنّ هذا الشعور يرجع في نهاية الأمر إلى تعارض أو تصادم بين إحساسين متميزين: الإحساس بالقرابة والإحساس بالجنس.

وإذا كان الكثير من الباحثين يؤكدون على حقيقة أساسيّة، وهي أنّ الرغبة الجنسية في أبسط صورها هي أحد مطالب العضو التناسلي، وهي ملازمة له تماماً، كما انّ الجاذبية المغناطيسية ملازمة لحجر المغناطيس، وأنّه عن الجنس والممارسة الجنسية تتولّد نتائج كثيرة في مقدمتها عملية التناسل وانجاب الأطفال، فانه لم يكن ثمة مفر أمام الانسان وهو يتطور باتجاه التنظيم والارتقاء ان ينظم هذه العلاقة[1].

إنّ أفضل الطرق وأسلمها لصيانة المجتمع والأُسرة هو الزواج والذي يتم من خلال تنظيم العلاقة الجنسية بأفضل صورها، وفي ديننا الإسلامي هناك العديد من الروايات والأحاديث الشريفة التي توضح لنا آداب الجماع وأحكامه والفوائد المترتبة على هذه الآداب سوف نتطرق إلى جزء منها، ومن يريد المزيد يمكن مراجعة الكتب الفقهية والأخلاقية في ذلك.

---

(١) المرأة والأُسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها: ١/١٢٦.

الزواج والأسرة:

لقد حثّ القرآن الكريم وكذلك السنّة النبوية الشريفة على الزواج، فقد جاء في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿والله جعل لكم من انفسكم ازواجاً﴾[1]. وقال جلّ وعلا: ﴿وانكحوا الأيامىٰ منكم و الصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يُغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنهم الله من فضله﴾[2].

وقال جلّ وعلا: لآ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربّك قديراً﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[4].

وقال تعالى: ﴿جعل لكم من انفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه﴾[5].

وورد في الأحاديث والروايات في الحث على الزواج، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام جاء رجل إلى أبي، فقال له: هل لك زوجة؟ قال: لا، قال لا أحب ان لي الدنيا وما فيها واني أبيت ليلة ليس لي زوجة، قال ثم قال: إنّ ركعتين يصليهما رجل متزوج أفضل من رجل يقوم ليله ويصوم نهاره أعزب، ثم أعطاه أبي سبعة دنانير، قال: تتزوج بهذه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (اتخذوا الأهل، فإنّه أرزق لكم)[6].

---

(١) سورة النحل: ٧٢.

(٢) سورة النور: ٣٢.

(٣) سورة الفرقان: ٥٤.

(٤) سورة الروم: ٢١.

(٥) سورة الشورى: ١١.

(٦) بحار الانوار: ٢١٧/١٠٠

وعن الإمام الصادق ﷺ قال: ثلاثة أشياء لا يحاسب الله عليها المؤمن: طعام يأكله وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه وتحصن فرجه[١].

وقال ﷺ: (أربعة ينظر الله عزّ وجلّ إليهم يوم القيامة: من أقال نادماً، أو أغاث لهفان، أو اعتق نسمة، أو زوج عزباً)[٢].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: (تزوجوا فإنّ رسول الله ﷺ كثيراً ما كان يقول: من كان يحب ان يتبع سنتي، فليتزوج، فإنّ من سنتي التزويج، واطلبوا الولد، فاني أكاثر بكم الأمم غداً)[٣].

وعن الإمام الصادق ﷺ عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الباقي)[٤].

وقال رسول الله ﷺ: (من أحبّ ان يلقى الله طاهراً مطهراً، فليلقه بزوجة)[٥].

وقال ﷺ: (من سنتي التزويج، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[٦].

وقال ﷺ: (شرار أمتي عزّابها)[٧].

من هنا نلاحظ كيف أنّ ديننا حث على الزواج وتشكيل الأسرة، لانه هو الطريقة الشرعية للعلاقة الطبيعية السليمة بين الرجل والمرأة. كما أنّ الأسرة تمثل للإنسان المأوى الدافئ، والملجأ الآمن، والمدرسة الأول،ى ومركز الحب والسكينة، وساحة الهدوء والطمانينة، ولهذا لا يمكن ان يحلّ محلها أي ملجأ

---

(١) بحار الأنوار: ٢١٧/١٠٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢١٨/١٠٠.

(٣) بحار الأنوار: ٢١٨/١٠٠.

(٤) بحار الأنوار: ٢١٩/١٠٠.

(٥) بحار الأنوار: ٢٢١/١٠٠ـ٢٢٢.

(٦) بحار الأنوار: ٢٢٢/١٠٠.

(٧) بحار الأنوار: ٢٢٢/١٠٠.

اجتماعي أو مركز انساني يوجده بعض دعاة التجديد وهواة التغيير، وعلى هذا جاءت أحكام الإسلام لتحافظ على هذهِ اللبنة الأساسية، والخلية الخلقية التي فطر الانسان على التعامل معها والنشوء في ظلّها بشكل كامل وقوي من القدسيّة، وحارب كل محاولة لإضعافها، وتفكيك روابطها.

وقد أدى الإهتمام بأمر الأسرة ان تبنت الشريعة الاهتمام بمقدمات بنائها قبل قيامها، فهناك مقدمات مهمة لإختيار الزوجة الشريكة حتى يكون البناء الأسري سالماً ودائما، فقد ورد في الروايات والأحاديث الشريفة في كيفية اختيار الزوجة الصالحة. قال رسول الله ﷺ: (إياكم وخضراء الدمن، قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء)[١].

وقال ﷺ: (شرار نسائكم المقفرة الدنسة، اللجوجة العاصية، الذليلة في قومها، العزيزة في نفسها، الحصان على زوجها، الهلوك على غيره)[٢].

وعن زيد بن ثابت قال: قال لي رسول الله ﷺ يا زيد تزوجت؟ قلت: لا، قال: تزوّج تستعف مع عفتك. ولا تزوجنّ خمساً، قال زيد ومن هن؟ قال: لا تزوجنّ شهبرة، ولا لهبرة، ولا نهبرة، ولا هيدرة، ولا لفوتا، قال زيد: ما عرفت مما قلت شيئاً يا رسول الله، قال: ألستم عرباً، أمّا الشهبرة فالزرقاء البذية، وأمّا اللهبرة فالطويلة المهزولة، وأمّا النهبرة فالقصيرة الدميمة، وأمّا الهيدرة فالعجوز المدبرة، وأمّا اللفوت فذات الولد من غيرك[٣].

وقال ﷺ في استحباب اختيار نساء قريش، فعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (خير نساء ركبن الرحال نساء قريش، أحناهنّ على ولد، وخيرهنّ لزوج)[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ١٠٠/٢٣٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٠/٣٤.

(٣) بحار الأنوار: ١٠٠/٢٣٠ - ٢٣١.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٠/٣٦.

وعن الإمام الرضا عن آبائه ﷺ عن النبي ﷺ قال: (كلّ نسب وصهر منقطع يوم القيامة، إلاّ سببي ونسبي)[١].

وقال أبي عبد الله ﷺ: (ما أعطي أحد شيئاً خيراً من امرأة صالحة إذا رآها سرته، وإذا أقسم عليها أبرته، وإذا غاب عنها حفظته)[٢].

وعنه ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: (من سعادة المرء الزوجة الصّالحة)[٣].

هذا بالإضافة إلى أنّ الإسلام وضع آداباً للجماع من أجل الحفاظ على إحترام هذا العمل الذي سنّه الله للبشر، وعليه كذلك تترتب أمور صحيّة لم يكشفها الطبّ لحد الآن فقد ورد عن النبي ﷺ قال: (إنّ الله تبارك وتعالى كره لكم أيتها الأمّة أربعاً وعشرين خصلة ونهاكم عنها، كره النظر إلى فروج النساء وقال يورث العمى، وكره الكلام عند الجماع وقال يورث الخرس، وكره المجامعة تحت السماء، وكره للرجل ان يغشى امرأته وهي حائض، فإنّ غشيها وخرج الولد مجذوماً أو أبرص فلا يلومنّ إلاّ نفسه، وكره أن يغشى الرجل المرأة وقد احتلم حتى يغتسل من احتلامه الذي رأى، فإن فعل وخرج الولد مجنوناً فلا يلومنّ إلاّ نفسه)[٤].

وعن جعفر بن محمّد عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أتى أحدكم امرأته فلا يعجلها)[٥].

وقال ﷺ: (إيّاكم وان يجامع الرجل امرأته والصبي في المهد ينظر إليهما)[٦].

---

(١) وسائل الشيعة: ٣٨/٢٠.

(٢) وسائل الشيعة: ٤١/٢٠.

(٣) وسائل الشيعة: ٣٦/٢٠.

(٤) بحار الأنوار: ٢٨٣/١٠٠_٢٨٤.

(٥) بحار الأنوار: ٢٩٥/١٠٠.

(٦) بحار الأنوار: ٢٩٥/١٠٠.

هذا إضافة إلى الإهتمام البالغ بالأسرة بعد قيامها ودوام ذلك إلى ما بعد قيامها وخصوصاً حول تحديد العلاقات بين الزوجين وبين ثمار العائلة وهم الأطفال.

فلا عجب بعد ذكل تشاهد الأسرة المسلمة لا تنتهي حياتها إلاّ بانتهاء رحلة العمر كلها، بينما تنتهي الأسرة في الأجواء المادية، ومنها الأقسام الملوثة في مجتمعاتنا، في بداية تكونها، وبمجرد انتهاء الرغبة الجنسية بين الطرفين، وهي الرغبة التي تشكل لوحدها سبب الزواج في تلك الأجواء، بينما تكون علاقات الحب والأجواء الروحيَة والعلاقات الانسانية سابقة على هذه الرغبة أو ملازمة ومقوّمة لها عند بناء الأسرة السليمة، وهذا يعطي التفسير المناسب لبقاء العلاقة الزوجية وانفساخها السريع في المجتمع المادي.

الأمراض المنتقلة بالجنس:

أسهمت التبدلات التي طرأت على السلوك الجنسي وممارسته بانتعاش جميع الأخماج الزهرية (Verneral infections) فقد ازداد وقوع السيلان البني مثلاً في الولايات المتحدة بمقدار ثلاث مرات منذ عام (١٩٦٣م) عما كان عليه قبل ذلك، وتقدر الإصابات بهذا الداء اليوم بثلاثة ملايين حالة سنوياً.

يمكن دراسة الأمراض المنتقلة جنسياً في مجموعات كبيرة وبحسب التظاهرات الأساسية البدئية التي قد تكون:

١ ـ قرحات تناسلية.

٢ ـ أو التهاب الإحليل والتهاب عنق الرحم، أو إصابة التهابية في الحوض.

٣ ـ أو التهاب المهبل.

١ـ القرحات التناسلية: Genital Sores:

تسبب ستة عوامل خمجية معظم الآفات التناسلية.

ويسمح منظر الآفات وتاريخها الطبيعي وموجوداتها المخبرية بالتميز القاطع بين الأسباب المحتملة في معظم الأحيان. والخمجان الأكثر شيوعاً والهامان هما الخمج بفيروس الحلأ البسيط والإفرنجي.

آ ـ الخمج بفيروس الحلأ البسيط

Herpes Simplex Virus Infection(HSV):

لقد وصل الخمج بالحلأ التناسلي إلى نسب وبائية دفعت إلى ازدياد الوعي العام والقلق ازدياداً مماثلاً. ويختلف الحلأ التناسلي عن غيره من الأمراض المنتقلة جنسياً بميله للنكس تلقائياً، وتعود أهميته الإمراضيّه في جانبيها البدني والنفسي، وإلى آفاته التناسلية الراجعة، وخطورة انتقاله على شكل مرض خاطف ومميت غالباً للولدان، وإلى ما لوحظ بعلاقته بسرطانة (كارسينوما) عنق الرّحم.

الوبائيات:

ينتشر فيروس الحلأ البسيط (HSV) في جميع انحاء العالم، والبشر هم المستودع الوحيد المعروف لهذا الخمج الذي ينتقل بالملامسة المباشرة للمفرزات المخموجة، ويعتبر النمط الثاني (HSV-2) من بين نمطي فيروس الحلأ البسيط (HSV)، هو الأكثر إحداثاً للخمج التناسلي، ويظهر الخطر الأكبر للإصابة بالخمج في مجموعة الأعمار التي تقع بين ١٤ و٢٩ سنة ويختلف باختلاف نشاطهم الجنسي. وتبلغ نسبة انتشار الضد الخاص بفيروس الحلأ البسيط الثاني (HSV-2) في الراهبات (٣٪) بينما تصل هذهِ النسبة إلى ٧٠٪ في المومسات.

يتفسخ فيروس الحلأ البسيط بعد الإصابة به في الخلايا الظهارية ثم يحلها ويسفر ذلك عن تكون حويصل رقيق الجدار. وتتشكل خلايا متعددة النوى ذات أجسام اندخالية وصفية.

وتصبح العقد اللَمفية في الناحية ضخمة وممضة، كما ينتقل فيروس الحلأ البسيط على امتداد العصبونات (النورونات) الحسية للعقد الحسية حيث يدخل في حالته الكامنة.

وتظهر الآفات التناسلية البدئية بعد يومين إلى سبعة ايام من التماس مع المفرزات المخموجة، فتظهر رحويصلات مؤلمة على الحشفة أو جسم القضيب في الذكر، بينما تظهر هذهِ الحويصلات في المرأة على الفرج أو العجان (Perineum) أو الأليتين أو عنق الرحم أو المهبل، وغالباً ما تصاب المرأة بضائعات مهبلية تترافق عادة مع ضخامة عقدية أربية وحمى ودعث. ويمكن ان تظهر مضاعفات عن الخمج البدئي بحدوث التهاب جذور النخاع في العجز (Sacroadiculomylitis) أو التهاب السحايا العقيم. وتكثر أخماج فيروس الحلأ البسيط حول الشرج، والشرج في الجنسين الذكور خاصة، ويغلب ان تكون شكواهم الأساسية إصابتهم بزحير وضائعات من المستقيم.

ب ـ الافرنجي: Syphillis

يتصف بأهمية خاصة بين الأمراض الزهرية نظراً لأنّ آفاته البدئية تندمل بدون معالجة نوعيّة، ومع هذا فإنّ قابليّه المجموعة الشديدة تشكل خطراً كبيراً على المريض كما تشكل أخماجه المتنقلة بالمشيمة خطراً على التناسل.

الوبائيات:

أكثر ما يحدث الإفرنجي البدئي في سن النشاط الجنسي في من تمتد أعمارهم بين ١٥ ـ ٣٠ عاماً وتشاهد ثلث الحالات الجديدة على الأقل في الولايات المتحدة الأمريكية في الجنوسيين الذكور.

ويصاب بالخمج قرابة (٥٠٪) من مخالطي المريض المصاب بالافرنجي البدئي مخالطة جنسية، وتعد فترة الحضانة الطويلة للإفرنجي عاملاً أساسياً في وضع الخطة المخصَصة لإقتفاء أثر المخالط وتدبيره.

وتخترق اللولبيات الشاحبة (Treponemapellisdum) الأغشية المخاطية السليمة أو الجلد المصاب بالسحجات ثم تدخل الدوران الدموي عن طريق الجهاز اللمفي، وتنتشر وتعتمد مدة حضانة الآفة البدئية على حجم اللقحة من اللولبيات فتمتد من ٣ أيَام إلى ٩٠ يوماً.

أمّا الإفرنجي الثانوي فيظهر بعد ٦ ـ ٨ أسابيع من ظهور القرح (Choncre) ويصاب فيه الجلد والأغشية المخاطية والعقد اللمفية.

٢ ـ التهاب الإحليل والتهاب عنق الرّحم وداء التهاب الحوض:

ومنها:

السيلان: Gonorrhen:

يعد السيلان أكثر الأمراض الزهرية شيوعاً. وتزيد مراضة الأخماج بالنيسيريات البنية على مراضة الإفرنجي، ويأتي هذا الجرثوم بالترتيب مباشرة بعد المندثرات الحثرية (Chlamydia Trachomatis) بوصفه أحد اسباب الأمراض المنتقلة جنسياً في الولايات المتحدة الأمريكية.

الوبائيات:

ظلت نسبة وقوع السيلان مستقرة في الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي ١٩٧٥ و١٩٨٠م وربما كانت ذلك انعكاساً لنقص حجم الجماعات المعرضة لهذا الخطر.

إنّ الإصابة بخمج جديد هو القاعدة في السيلان. فليس من النادر لمريض شره جنسياً ان يصاب بعشرين خمج متفرق أو أكثر.

أما عوامل الخطر الخاصّة، فهي بيئة المدن، وانخفاض المنزلة الاجتماعية والاقتصادية، أو العزوبية، وعدد المخالطات الجنسية المختلفة، والجنوسية الذكرية (Male Homosexualty).

يصاب بالخمج العرضي ٥٠٪ من الاناث اللواتي يمارسن الإتّصال الجنسي مع رجل مصاب بالتهاب الإحليل البني. أمّا نسبة هذا الخطر في الذكور فتبلغ ٢٠٪ بعد مقاربة جنسية واحدة مع انثى مصابة، كما أنّ الملامسة الفمية التناسلية والمقاربة الشرجية تنقلان الداء أيضاً.

ويعد الخمج اللاعرضي في الذكور عاملاً هاماً في نقل المرض. إذ يصاب ٤٠٪ من الذكور بالتهاب الإحليل اللاعرضي حينما يتصلون بنسوة تظهر عليهن أعراض الداء. ثم تظهر أعراض الخمج على ربع هؤلاء الرجال اللاعرضيين خلال سبعة أيّام.

التهاب الإحليل وعنق الرحم وداء التهاب الحوض بغير المكوّرات البنيّة:

هناك حالات من التهاب الإحليل بغير المكوّرات البنيّة تساوي على الأقل في عددها حالات التهاب بالإحليل البني، ويغلب حدوث التهاب الإحليل بغير المكوّرات البنيّة نموذجاً في المجتمعات الراقية إقتصادياً واجتماعياً، وتسبب المتدثرات الحثرية (٣٠ ـ ٥٠٪) من حالاته، ويمكن استفرادها من المرضى اللاعرضيين الذكور النشطين جنسياً بنسبة تمتد من صفر إلى (١١٪)، كما يمكن عزلها من (٢٠٪) من الذكور المصابين بالسيلان ومن المحتمل أنّها تمثل خمجاً مرافقاً.

إنّ التهاب الإحليل بغير المكوّرات البنيّة أقل عدوى من التهاب الاحليل بالمكوّرات البنيّة وتقدر مدة حضانته بـ (٧ ـ ١٤) يوماً، ويشكو المصابون في الحالة الوصفية من مفرزات إحليلية وحكّة وعسرة التبول. ومن الصفات

الهامة التي يتسم بها أنّ المفرزات الإحليلية لا تظهر تلقائياً بل بعد تمسيد الإحليل عند الصباح.

وتتألف المفرزات المخاطية القيحية من سائل رقيق عكر فيه بقع قيحية.

والمتدثرات الحثرية Chlamydia trachomatis سبب شايع أيضاً لإلتهاب البربخ Epididymitis في الذكور الذين تقل أعمارهم عن (٣٥) عاماً، ويمكنها ان تسبب التهاب المستقيم في الذكور الجنوسيين إضافة إلى الإناث.

إنّ الأخماج بالمتدثرات أكثر شيوعاً من الاخماج بالمكوّرات البنيّة في الإناث، بيد أنّه لا يمكن كشفها في كثير من الأحيان، كما أنّ عدد كبير من اللواتي يشتكينَ من عسرة التبول ذات بداية حادّة، وتعدد بيلات، وبيلة قيحية مع بول مثانة عقيم هنّ مصابات بخمج بالمتدثرات الحثرية، وهذهِ المتدثرات لا تقل في شيوع إحداثها التهاب النفرين عن المكوّرات البنيّة.

متلازمة عوز المناعة المكتسب (الايدز):

إنّ متلازمة العوز المناعي المكتسب (AIDS)[1] هي أشد المظاهر خطراً لسلسلة إضطرابات مترابطة، يرجع سببها إلى خمج بفيروس المناعي البشري الأول HIV-1.

وقد أدت معرفة وباء العوز المناعي إلى تعريف حالة الأمر المصمم في أساسه لخدمة أغراض المراقبة، وهي تعرف عوز المناعة المكتسب، بأنّه يحدث في أفراد كانوا سليمين سابقاً دون سبب مستبطن أو علاجي المنشأ لكبت المناعة.

---

(١) (AIDS) هي حروف اختصار لمرض الإيدز الذي هو عوز المناعة المكتسب.

الوبائيات:

تم وصف الحالات الأولى لمتلازمة العوز المناعي المكتسب سنة ١٩٨١م بين رجال جنوسيين يقيمون في نيويورك ولوس انجلوس وسان فرانسيسكو، ولكن الدراسات اللاحقة أظهرت بأنّ أمراضاً تشبه العوز المناعي المكتسب حدثت في أفريقيا الوسطى قبل عام ١٩٨١ بعدة سنوات، وانتشر العوز المناعي المكتسب منذ ذلك الحين بين سكان الولايات المتحدة عن وجود أكثر من (١٠٠,٠٠٠) حالة تفي بالمعايير التشخيصية الدقيقة للإصابة بهذه الحالة. وقد مات أكثر من نصف هؤلاء المصابين. كما سجلت منظمة الصحة العالمية أكثر من (٢٠٠,٠٠٠) حالة لمتلازمة عوز المناعة المكتسب في (١٤٤) بلداً بحلول أواسط (١٩٨٩م).

وتفيد التقديرات الأخيرة بأنّ ما يقارب على (٥٠) مليون حالة اصابة بمرض الايدوز في العالم حسب ما أفادت به وكالات الانباء العالمية نقلاً عن منظمة الصحة الدوليّة.

وتشمل طرق انتشار فيروس العوز المناعي البشري الأول (HIV-1) التعرض للدم المخموج بالفيروس عن طريق المشاركة باستعمال إبر الزرق أو نقل الدّم الملوث ومنتجاته الملوثة وانتشاره مباشرة من الأم إلى الطفل. كما أنّه ينتقل بالمقاربات الجنسية الغيرية Hetrosexual أو الجنوسيين، وقد حدثت قرابة ثلاثة أرباع الحالات في الولايات المتحدة بين الذكور الجنوسيين والذكور الذين يمارسون الجنس مع الجنسين. ويؤلف مدمنوا المخدرات زرقاً بالوريد المجموعة الكبيرة الثانية للمصابين بالعوز المناعي المكتسب في أمريكا الشمالية[1].

---

(١) أساسيات الطب الباطني: ٢/١٥٣٤ ـ ١٥٣٦.

ينتقل الخمج بفيروس (HIV-1) انتقالاً جنسياً غيرياً بالإتصال المهبلي من الرجل إلى المرأة وبالعكس. ففي أفريقية يعد النشاط الجنسي الغيري هو الطريق الأساسي للعدوى.

أما فيروس العوز المناعي البشري الثاني والذي يرمز إليه بـ HIV-2، فقد تمت معرفته في أفريقية الغربية في منتصف الثمانينات.

الحالة السريرية لمرض الإيدز:

تظهر في الغالبية العظمى من الافراد المخموجين بفيروس الإيدز في غضون ثلاثة أشهر من تعرضهم البدئي، وتظهر عند بعض المصابين بوادر تتألف من ضخامة العقد اللّمفية المتعممة، ونوب من الحمى، وتعرّق ليلي، ونقص وزن، وإسهال، تستمر هذهِ الأعراض مدة أسابيع أو أشهر قبل أن تظهر الأخماج الإنتهازية أو الأورام، بينما يكون البدء عند آخرين هو الظهور المفاجئ لخمج انتهازي كذات الرئة بالمتكيس الكاريني، الذي يشكل عندهم التظاهرة السريرية الأولى.

غالباً ما يعد التهاب الفم بالمبيضات (السلاق) والحلأ النطاقي (وهو يصيب قطاعات جلدية عددية عادة) والتهاب المهبل المعند بالمبيضات إصابات تنذر بعوز المناعة المكتسب. كما ان التظاهرات العصبية لعوز المناعة المكتسب شائعة وربما كانت مميتة[1].

من خلال ما تقدّم استطعنا فهم طبيعة العلاقات الجنسية، وما يترتب عليها من آثار في العلاقات الإجتماعية، وكيف نظَمت هذهِ العلاقة حسب تعاليم مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) أساسيات الطب الباطني: ٢/١٥٤٠ ـ ١٥٤٣.

ومن المعلوم وكما أشرنا أنَّ الغريزة الجنسية قد أودعها الباري عزَّ وجلَّ في الخلق لحكمة ربَّانية سامية، وليست لأهداف دنيئة أو عابثة، فلا يصح صرف هذهِ الطاقة، وتسخير هذهِ الغريزة، إلاّ في الزمان والمكان المناسبين، والتي حددهما لنا الشارع المقدس، وبهذا نضمن سلامة المجتمع من عوامل الانجراف نحو هاوية السقوط الأخلاقي، والإجتماعي، والإصابة بالأمراض والأوبئة، والتي تعطِّل مسيرة الحياة نحو التكامل والرقي والبناء، وتبعد الإنسان عن هدف الشريعة السمحاء التي جاء بها الرسول محمدﷺ وأبقت عليها مسيرة أهل البيت‌عليهم السلام.

الباب الثاني

ما به قوام بدن الإنسان وتشريح أعضاءه

الفصل الأوّل

أعضاء الإنسان

- الهيكل العظمي
- العضلات
- الدم
- الأقراص الدموية (الصفائح الدموية)
- البلغم
- المصل
- الجهاز التناسلي الذكري
- الجهاز التناسلي الأنثوي
- المظاهر الخارجية ووظائفها
  - الثدي
  - التغذية الدموية
  - الصرف اللمفي
- حماية المخ بحصن الجمجمة
- الشعر والأظافر
  - التركيب
  - الوظيفة

﴿ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين..﴾[1].

بعد أن بينّا سابقاً وفي الباب الأول من هذا الكتاب مراحل التطور الخلقي للإنسان وعظمة التدبير الإلهي والحكمة المتسامية في أسرار كل مرحلة من هذه المراحل والتي حاول العلم الحديث كشفها - أو لم يحاول - فكوّن نظريات متعددة في طبيعة الخلقة لهذا الإنسان العجيب، عمدنا في هذا الفصل أو الفصول المقبلة وحسب ما تمليه علينا التجارب المخبرية ونتائج تطور العلم الحديث من التوغل قليلاً في متاهات المرحلة الأخيرة للتطور الخلقي، والتي وصفها الله تعالى بالخلق الآخر حيث قال تعالى: ﴿ثم انشأناه خلقاً آخر﴾ وبيان أسس قوامه وبقاؤه وطبائعه، علّها تكون تذكرة وباباً يفتح آفاق العلم والمعرفة والبرهان على قدرة الخالق البارئ المصوّر، بعيداً عن المهاترات العلمية التي لا توصل أصحابها إلاّ إلى الكفر والإلحاد، تجرؤاً وعصياناً على الله تعالى ونكراناً لأبسط بديهيات العلوم الإلهية فيما يسمونه بنظريات التطور، التي أثبتت فشلها أمام ما نقله روّادنا في هذا المجال عن أنبياء الله تعالى ورسله وأئمة الهدى وسادة العلم والمعرفة الإلهية.

وسنتطرّق إلى ذكر ذلك في فصول عدة من هذا الباب تشتمل على ما نقل عن السنّة الشريفة وتطبيقاتها العمليّة في مجالات العلم الحديث.

ومما ذكره العلامة المجلسي‌ﷺ في كتابه (بحار الأنوار) عمّا به قوام بدن الإنسان وتشريح أعضاءه في حديثٍ عن أبي عبد الله‌عليه السلام وهو يجيب المفضّل عن سؤاله: « صف نشوء الأبدان ونموها حالاً بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال؟ فقال‌عليه السلام: أوّل ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد، ويدبره حتى يخرج سوياً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل إلى ما في تركيب أعضاءه من العظام واللحم

---

(١) سورة المؤمنون: ١٤.

والشحم والمخ والعصب والعروق والغضاريف، فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمى بجميع أعضاءه وهو ثابت على شكله وهيئته لا تتزايد ولا تنقص إلى أن يبلغ أشده إن مدّ في عمره، أو يستوفي مدته قبل ذلك. هل هذا إلاّ من لطيف التدبير والحكمة؟

يا مفضّل انظر إلى ما خصّ به الإنسان في خلقه تشريفاً وتفضيلاً على البهائم فإنه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما، فلو كان مكبوباً على وجهه كذات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال»[١] .

وعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «الطبائع أربع: فمنهنّ البلغم، وهو خصم جدل. ومنهنّ الدم، وهو عبد وربما قتل العبد سيده. ومنهنّ الريح، وهو ملك يدارى. ومنهنّ المرّة، وهيهات هيهات هي الأرض إذا ارتجّت ارتجّت بما عليها»[٢].

وبعد ما نقل في الأحاديث الشريفة، نعرّج على تطبيقاتها العملية وما أثبتت صحته تطورات العلم الحديث فيما توصلت إليه في الوقت الحاضر.

فقد ذكر العلامة المجلسي في معرض بيانه للأحاديث الشريفة: «إن الله سبحانه قد خلق الإنسان على أربع قوائم أساسية وهي المرّة السوداء، والمرّة الصفراء، والدم، والبلغم.

وتبين أن المراد بالريح يحتمل المرّة الصفراء لحدّتها ولطافتها وسرعة تأثيرها أو أن المراد بها الروح الحيوانيّة، وأما المرّة فهي الصفراء والسوداء معاً فإنه تطلق عليهما المرّة. وأما الدم فلعل المعني به خادم للبدن نافع له، لكن ربما كانت غلبته سبباً للهلاك، فينبغي أن يصلح ويكون الإنسان على حذر منه.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٨ /٣٢١و٣٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ٥٨ /٢٩٥ .

وأما البلغم وما وصف بأنه خصم جدل فهي كناية عن بطئ علاجه وعدم اندفاعه بسهولة»[1].

ما به قوام بدن الإنسان وأجزائه وتشريحه:

ومن هنا يمكن القول بأن قوام التركيب الجسمي البدني للإنسان قياساً بالقواعد الطبية العلمية المتخصصة هو من الهيكل العظمي والهيكل العضلي والدم والإفرازات الأخرى، مضافاً لها نوعية العضو الفارز.

الهيكل العظمي: يعتبر جهاز الإسناد القوي الذي يهب الجسم شكله وقوامه من الخارج، ويعتبر بمثابة الأساس الذي يقوم عليه بنيان الجسم، كما هو عليه بناء البيوت وما تحتاجه من مواد البناء التي تسندها من الانهيار، وكذلك تظهر الهيكل الخارجي لها وتحافظ عليه مستقبلاً.

العضلات: فتعتبر الكساء الذي يغطي الجسم، كما تعتبر العتلات المحركة له ولأطرافه وأجزائه، وكذلك هي الجزء الحافظ أو الواقي لبعض الأعضاء المهمة بالجسم.

وهناك ثلاثة أنواع من العضلات:

١- العضلات الهيكلية أو المخططة.

٢- العضلات الأحشائية الملساء المغزلية.

٣- العضلة القلبية المخططة.

وتختلف هذه العضلات من ناحية الشكل والتركيب تبعاً للمكان والوظيفة التي تتمتع بها.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٨ / ٢٩٤ بتصرّف.

فالعضلات الهيكلية نلاحظها موزعة على الهيكل العظمي بشكل متساوٍ، ووظيفتها حركية أكثر مما هي وقائية لحماية أعضاء مهمة من الجسم.

أما العضلات الأحشائية الملساء المغزليّة فهي موزعة في الأعضاء الداخلية للجسم، مثل الأمعاء والمعدة والشرايين والأوردة، وأبسط مكان وأدق مكان تتواجد فيه هو بؤبؤ العين، حيث تتوسع فتحة البؤبؤ عند الظلام باسترخاء هذه العضلات، وتتقلص عند زيادة الضوء في الأماكن المظلمة.

وأما العضلة القلبية فكما يدل عليها اسمها فهي موجودة في القلب Heart فقط، وتساعد في عمليتي التقلص والانبساط القلبيين.

الدم: (BLOOD)

بعد تطور العلوم الحديثة، ونتيجة للأبحاث والتجارب المكثفة، اكتشف العلماء ما يسمى بالدم (Blood) ذلك التركيب العجيب والغريب الذي يغزو الجسم ويحافظ عليه ويغذيه، فهو سائل بسيط لونه أحمر ينتشر في كل أنحاء الجسم عبر قنوات متعددة، وضمن نظام محسوب لا يعتريه الخطأ.

وسنتعرّف على تركيب الدم الخلوي ووظيفته العملية من خلال هذه الدراسة المقتضبة.

التركيب الخلوي للدم (Cellular form): يتكون الدم من خلايا عديدة متنوعة تختلف فيما بينها من ناحية العدد والشكل والوظيفة العملية التي يقوم بها كل نوع من هذه الأنواع، وسنتطرق لها تباعاً.

١ـ الخلايا الدموية الحمراء - RBCs - (Red Blood Cells): وهي عبارة عن خلايا مقعّرة مضغوطة الجانبين، لا تحتوي على نواة في وسطها كي تَسهُل عليها وظيفتها العملية في نقل الأوكسجين (O_2) واختزال أكبر كمية من ثاني أوكسيد الكربون (CO_2).

تحتوي هذه الخلايا على الهيموكلوبين (Hemoglobin) الذي يتكون من الحديد (Hem) وبروتين (Globin) والذي يعتبر العامل المهم الذي يرتبط بالأوكسجين من جهة النقل، وعند تسليمه يرتبط باختزاله بثاني أوكسيد الكربون (CO_2) عند عودته إلى الرئة.

تحتوي هذه الخلايا على منمرات شخصية (Code Number) ثابتة وخاصة للمجموعة الواحدة، لذلك نلاحظ وجود أربعة أصناف للدم وهي (A,B ,AB , O) ويطلق على هذه المنمرات لفظ «انتجين (Antigine)» وهي موجودة على سطح هذه الخلايا الحمراء.

يبلغ عمر الخلية الحمراء أربعة أشهر تموت بعدها وتذهب إلى مقابرها الجماعية في الطحال (Spleen) حيث يتم تفسخها هناك وتحويل الحديد فيها إلى الكبد ليعاود نشاطه في خلية جديدة، ويلفظ الباقي خارج الجسم مع الفضلات.

٢ ـ خلايا الدم البيضاء - (White Blood Cells) - WBCs): وهي عبارة عن خلايا التهابية متنوعة، تختلف فيما بينها من حيث الشكل والعدد، وظيفتها العملية هي الدفاع عن الجسم ضد الفيروسات والجراثيم التي تهاجمه. وهي على عدة أنواع؛ منها:

١ ـ الخلايا العديلة (Nutrophil cells): وهي خلايا التهابية نواتها متعددة الفصوص، تعتبر الخط الدفاعي الأول ضد الحالات المرضية الحادة.

زيادة عددها أو نقصانه عن المعدل الطبيعي إنما يدل على أن الحالة المرضية متحولة من حالة حادة إلى مزمنة.

٢ ـ الخلايا الحمضية (Eosinophil cells): وهي خلايا التهابية لها شكل خاص، معدلها الطبيعي ٣٪، زيادتها عن المعدل الطبيعي ينبئ عن إصابة الجسم بنوع من أمراض الحساسية أو التحسس.

٣ ـ الخلايا القاعدية (Basophil cells): وهي خلايا التهابية معدلها الطبيعي ١٪، ففي حالة زيادتها وارتفاع نسبتها إلى ٤٪ فهذا يعني أن هناك إصابة طفيلية (Paracite warrm).

الخلايا الالتهابية

هناك خلايا التهابية إضافية وهي:

١- الخلايا العملاقة Ginate cell.

٢- الخلايا الملتهمة Macrophage cell.

٣- الخلايا اللمفاوية Lymphocyte cell.

٤- الخلايا الأحادية: Monocyte[1].

الأقراص الدموية أو الصفائح الدموية:

وهي المسؤولة عن عملية تخثر الدم عند حصول النزيف نتيجة قطع داخلي أو خارجي، وتعتبر كسدادات للمنافذ المقطوعة، وتزداد عندما يرتفع فيتامين K_3 في الجسم، ونقصها يسبب حالة «الهيموفيليا» أي عدم تخثر الدم عند الجرح[2].

المصل: (Searm)

يدعى السائل الذي تسبح فيه الخلايا الدموية بالمصل (Searm) والذي يعتبر المغذي للخلايا الدموية والالتهابية بشكل عام لما يحتويه هذا السائل من مواد مغذية، كأملاح معدنية مسؤولة عن التوازن الأيوني، وكذلك مواد بروتينية مغذية وفيبرينوجية (Fibrinogine) ذات أهمية في عملية التخثر.

---

(١) الوراثة وأمراض الإنسان: ٣٢٢ .

(٢) الوراثة وأمراض الإنسان: ٣٢٢ .

وبالإضافة إلى ذلك احتواؤه على الأجسام المناعية (Anti body) والتي تعتبر مصدر ثان للدفاع عن الجسم ضد الأجسام الغريبة (Forigen body) التي تدخل أو تتركب مع الجسم.

والأجسام المناعية مهمة لإجراء الحصن المناعي للجسم، ومنها مثلاً IGG و EGG و MGG وغيرها من الأجسام المناعية الأخرى، والتي يعتمد عليها التفاعل الدموي الخطير الذي يحدث في الجسم نتيجة تغير الصنف الدموي أو الفصيلة الدموية، ولهذا يجري اختبار صنف الدم قبل أن تتم حالة النقل الدموي؛ لخطورة الحالة وخطورة التفاعل المناعي المميت[1].

البلغم أو الإفرازات المخاطية: (Mucos Discharge)

وهو عبارة عن إفرازات مخاطية التهابية تحتوي على الخلايا والإفرازات الميتة المتكسرة وكذلك القيح، بالإضافة إلى المواد المخاطية التي تُفرز.

الأجهزة التناسليّة:

نتطرق هنا لبيان قدرة الله سبحانه وتعالى في خلقه، وحكمته في تصويره للأعضاء التناسلية الذكرية والأنثوية وطبيعتها ووظيفتها العملية والسر الكامن فيها، معتمدين في ذلك على ما نقله العلامة المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في حديثه للمفضّل حيث قال عليه السلام: «فكر يا مفضّل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعاً على ما يشاكل ذلك، فجعل للذكر آلة ناشرة تمتد حتى تصل النطفة إلى الرحم، إذ كان محتاجاً إلى أن يقذف ماءه في غيره. وخلق للأنثى وعاء قعر ليشتمل على المائين جميعاً،

---

(١) الوراثة وأمراض الإنسان: ٣٢٥ .

ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم. أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف؟! سبحانه وتعالى عمّا يشركون.. لو كان فرج الرجل مسترخياً كيف يصل إلى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه، ولو كان منعظاً أبداً كيف كان الرجل يتقلب في الفراش ويمشي بين الناس وشيء شاخص أمامه؟! ثم يكون في ذلك مع قبحِ المنظر تحريك الشهوة في كلِّ وقت من الرجال والنساء جميعاً. فقدّر الله ـ جلّ اسمه ـ أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت، ولا يكون على الرجال منه مؤنة، بل جعل فيه القوة على الإنتصاب وقت الحاجة إلى ذلك لما قدّر أن يكون فيه من دوام النسل وبقاءه»[1].

وطبقاً للعلوم الحديثة وما أوضحته تجارب العلماء والمفكرين قمنا بشرح إجمالي وعرض مصورات لكلا الجنسين بغية التوضيح كما يلي:

الجهاز التناسلي الذكري:

إن الله سبحانه وتعالى خصص الأعضاء حسب وظائفها، وكان الجهاز الذكري مخصصاً لطرح النطف، وصمم وفقاً للوظائف الحيوية المنوطة به، وهو يتكون مما يلي:

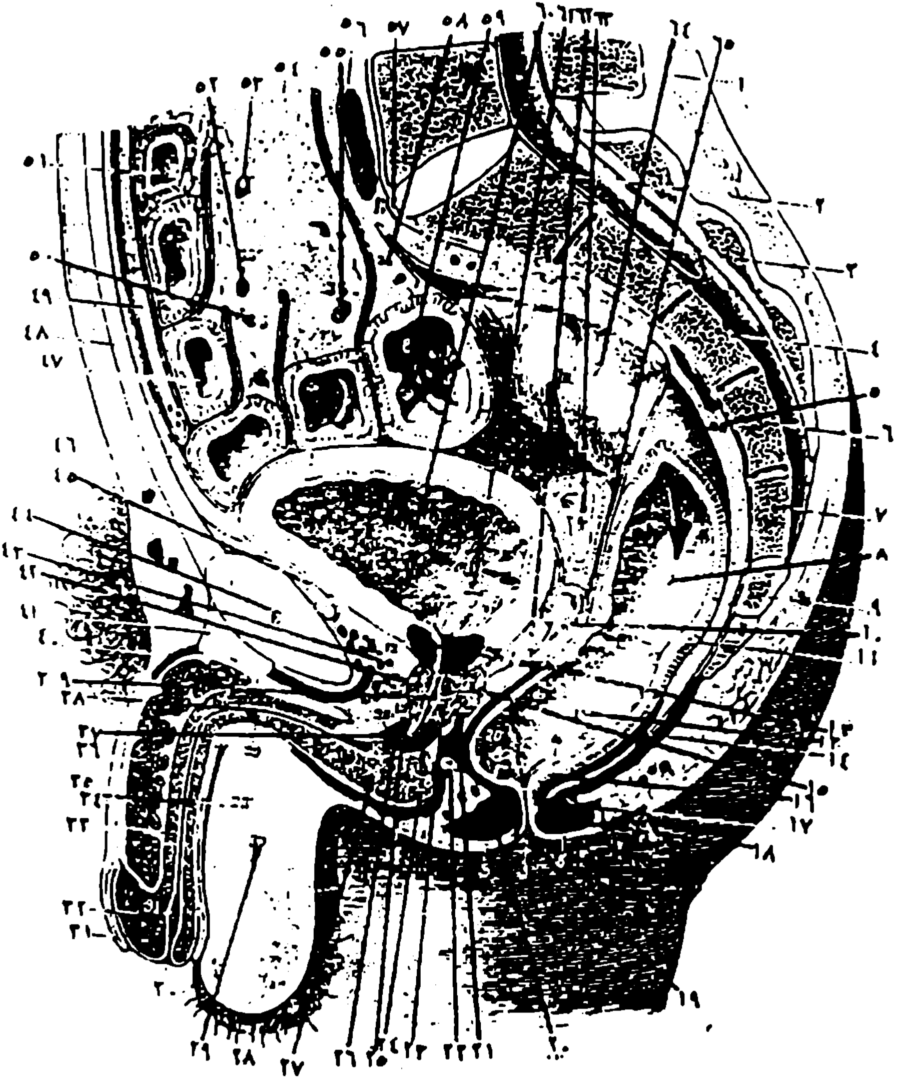
١ ـ الخصيتان (Testes):

وهما أهم عضوان في الجهاز التناسلي الذكري، والخصية هي المسؤولة عن إنتاج النطف التي تخصب البيضة، وكذلك عن إنتاج الهرمونات المسؤولة عن إظهار الصفات الذكرية، مثل هرمون التستسترون (Testestron) وهو الهرمون المسؤول عن ظهور الشعر في الوجه وعلى صيوان الأذن، وكذلك عن خشونة الصوت لما يحدثه من تغيير في نسبة توتر الحبال الصوتية، كما وأن صفة الصلع ذات علاقة بهذا الهرمون أيضاً.

---

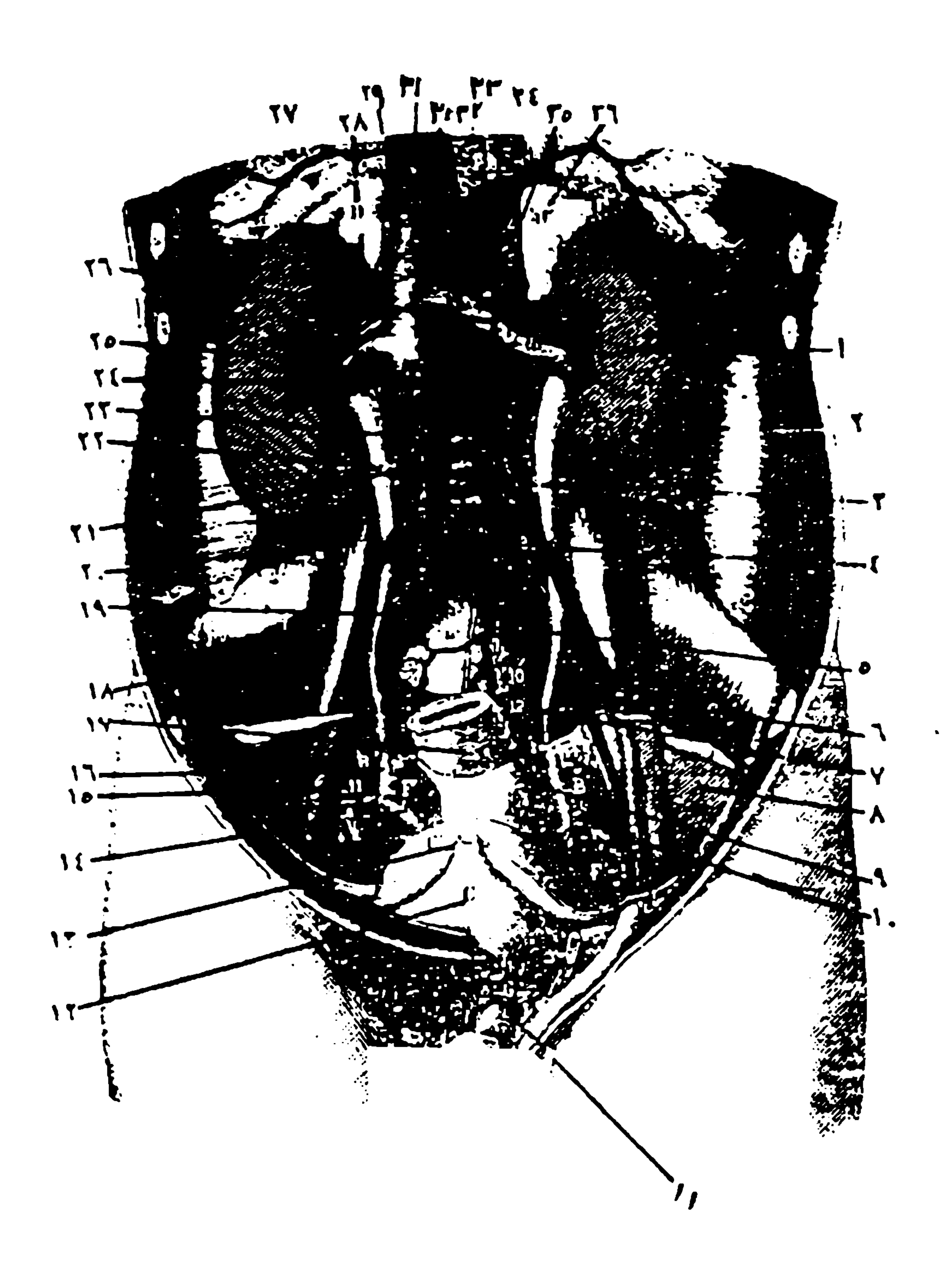
(١) بحار الأنوار: ٥٨ /٣٢٠و ٣٢٢.

ومن حكمة الله تعالى أن موقع الخصية هو خارج التجويف البطني؛ وذلك لأنها لو كانت داخل التجويف البطني فإن درجة حرارة الجسم سوف تؤدي إلى قتل النطف عند مراحل تكوينها، وعلى العكس من ذلك بالنسبة للطيور.



(التصوير رقم ٢٦) **مقطع حوضة الرجل**

١ ـ الفقرة القطنية الخامسة، ٢ و٣ و٤ و٦ و٧ ـ العجز٨و٦٤ ـ الكولون الحرقفي الحوضي، ٩ ـ عجب الذنب، ١٠ ـ الحويصل المنوي، ١١ ـ مصراع هوستون (في السرم)، ١٢ ـ عاصرة المثانة، ١٣ ـ السرم، ١٤ ـ رافعة الشرج، ١٥و٢٣ و٤٣ ـ الموثة، ١٦ ـ عاصرة الشرج الباطنة، ١٧ ـ السرم (القطعة الشرجية)، ١٨و٢٠ ـ عاصرة الشرج الظاهرة، ١٩ ـ الشرج، ٢١ ـ العضلة المعترضة العجانية العميقة، ٢٢ ـ خياطة العجان، ٢٤ ـ غدة كوبر، ٢٥ و٣٧ ـ عاصرة الأحليل، ٢٦ ـ الرتج البصلي، ٢٧ ـ البصلة الأحليلية، ٢٨ ـ الصفن، ٢٩ ـ حجاب الصفن المتوسط، ٥٠ ـ الصماخ البولي، ٣١ ـ القلفة، ٣٢ ـ الحشفة، ٣٣ و٣٤ ـ الجسم الاسفنجي، ٣٥ ـ القضيب، ٣٦ ـ الجسم الكهفي، ٣٨و٣٩ ـ الأحليل، ٤١ ـ الرباط معلق القضيب، ٤٣ ـ ضفيرة سانتوريني، ٤٤ ـ ارتفاق العانة، ٤٥ ـ المسافة أمام المثانة، ٤٦ ـ العصب، ٤٧ و٥١ و٦٣ ـ العرى المعوية، ٤٨ ـ جدار البطن الأمامي، ٤٩ ـ الثرب الكبير، ٥٠ و٥٢ و٥٣ و٥٤ و٥٥ ـ المساريقي وعقدها البلغمية، ٥٦ ـ الوريد الحرقفي الأصلي الأيسر، ٥٧ ـ الخرشوم، ٥٨ ـ الرباط معلق الكولون الحوضي، ٥٩ ـ الكولون الحوضي، ٦٠ و٦١ ـ المثانة، ٦٥ ـ الرتج المثاني السرمي.

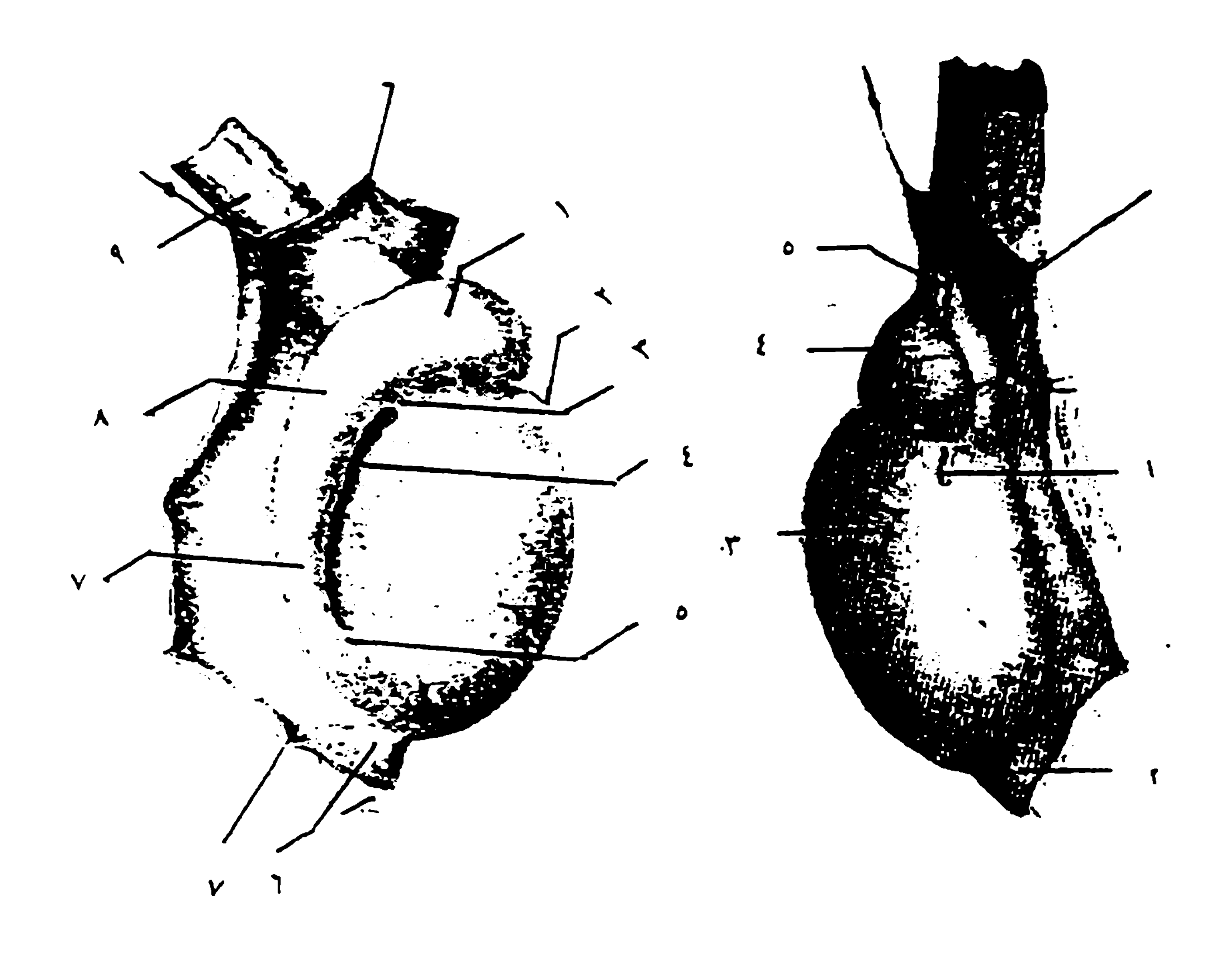


(التصوير رقم ٢٧) **الكليتان وطرقها المفرغة (من الأمام)**

١ ـ الكليه اليسرى ، ٢ ـ عضلة البطن المعترضة، ٣و١٦و٢٢ ـ الحالبان، ٤ و٢٤ ـ العروق المنوية، ٥و١٩ ـ العروق الحرقفية الأصلية، ٦ و١٨ ـ البواس الحرقفية، ٧ ـ العروق الحرقفية الباطنة، ٨ ـ الباريطون الحوضي، ١٠و١٤ ـ الأسهران، ١١ ـ الجسم الكهفي الأيسر، ١٢ ـ المثانة، ١٣ ـ انثناء السره المتوسط، ١٥ ـ مرتسم العروق الحرقفية الظاهرة، ١٧ ـ الكولون الحوضي، ٢٠ ـ المربعة القطنية، ٢١ ـ الشريان المساريقي السفلي، ٢٠و٢٦ ـ عروق الكليتين، ٢٥ ـ الكلية اليمنى، ٢٧ و٢٩ ـ الحجاب الحاجز وشريانه السفلي، ٢٨و٣٦ـ الكظران، ٣٠ ـ الأجوف السفلي، ٣١ ـ المساريقي العلوي، ٣٢ ـ الجذع الزلاقي، ٣٣ ـ الأبهر.

٢ ـ البربخ:

وهو جسم ملحق بالخصية ويحتوي على نبيات منوية.



(التصوير رقم ٢٨) : **الخصية والبربخ.**
صورة أمامية أنسية

١ ـ حويصل موركاني، ٢ ـ الرباط الصفني، ٣ ـ وجه الخصية الأنسي، ٤ ـ البربخ، ٥ ـ الحبل المنوي (الأسهر).

(التصوير رقم ٢٩)

الخصيه والبربخ من الوحشي

١١ ـ رأس البربخ، ٢ ـ حويصل موركاني، ٣ ـ انثناء البربخ الخصوي الأمامي، ٤ ـ حفرة البربخ الخصوية الأمامية، ٥ ـ انثناء البربخ الخصوي الخلفي، ٦ ـ الرباط الصفني، ٧ ـ ذنب البربخ، ٨ ـ جسم البربخ، ٩ ـ الأسهر.

٣ ـ الغدد الإضافية:

مثل الكوبر والحويصلة البصلية والأمبولة والبروستات، وهذه الغدد مسؤولة عن عملية إفراز سوائل تساعد النطف على السباحة، وكذلك تحتوي مواد مغذية للنطف أثناء خزنها في الأمبولة.

٤ ـ الوعاء المنوي الناقل:

وهو الذي يقوم بنقل النطف من الخصيتين حتى خروجها أثناء عملية الجماع.

٥ ـ العضو الذكري الخارجي (القضيب):

وهو عبارة عن تركيب عضلي يتكون من عضلات إسفنجية تنتعض عند عملية الانتصاب بعد أن تمتلئ بالدم وذلك بعد سد الوريد الدموي وزيادة دخول الدم عن طريق الشريان.

ويتكون من الحشفة والقلفة من الخارج، ويختلف طوله حسب الشخص والبيئة التي يعيش فيها، وهو يساعد على إيصال النطف إلى الرحم ليتم تخصيب البويضة هناك[1].

الجهاز التناسلي الأنثوي

يتكون هذا الجهاز مما يلي:

١ ـ المبايض Ovary:

وهي عبارة عن مراكز إنتاج البيوض التي تحمل نصف العدد من الكروموسومات، شكلها بيضوي وتحتوي سطوحها على جريبات ناضجة أو أجسام صفراء حسب مرحلة المبيض.

---

(١) الوراثة وأمراض الإنسان: ٣٥ .

٢ ـ قناة فالوب Falupp channel:

وهي عبارة عن قناة تقوم بتلقف البيضة عند نضوجها ونزولها من المبيض.

مقدمتها القريبة من المبيض عبارة عن تركيب هدبي إصبعي، ويكون وسط هذه القناة حامضي كي لا تسمح بوصول إلاّ نطفة واحدة لتلقيح البيضة داخل القناة.

٣ ـ الرحم Uterus:

وهو عبارة عن تركيب عضلي صغير، حجمه بقدر الكف في حالات عدم الحمل، ويتكون من نسيج انتقالي لذلك نلاحظ زيادة حجمه بنسبة ٢٠ مرّة ضعف حجمه السابق عند الحمل، وتكون خلاياه من نوع الخلايا الانتقالية التي ينزلق بعضها على بعض ويتمدد مثل المثانة.

كما ويفرز هذا العضو هرمونات مهمة مثل PGF_2x والبروستوكلاندين Prostoglandine الذي يسبب التقلصات الرحمية (الطلقات) عند الولادة.

٤ ـ عنق الرحم Palvic:

وهو عبارة عن تركيب عضلي يحتوي على عضلات تقوم بالتقلص وسد فتحة الرحم عند الحمل، ويبني طبقة مخاطية على الفتحة لتمنع دخول الجراثيم داخل الرحم أثناء الحمل حمايةً للجنين الموجود من الموت.

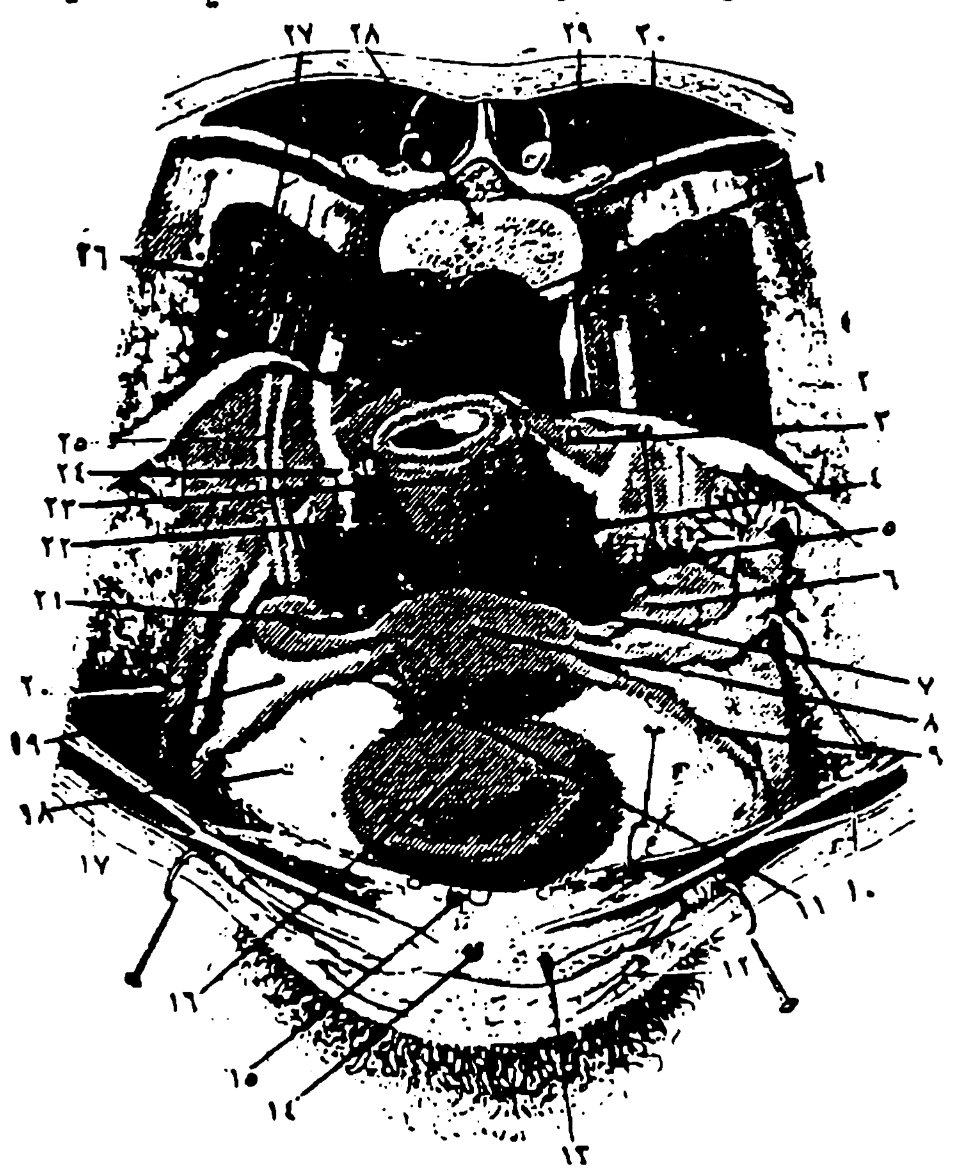
٥ ـ الدهليز المهبلي:

وهو الجزء الذي يربط بين عنق الرحم وفتحة الفرج الخارجية، ويحتوي على غدد تفرز مواد مخاطية دهنية تساعد على دخول القضيب، وتسهّل عملية الجماع، كما وتساعد على خروج الجنين أثناء الولادة.

٦ ـ المهبل (الفرج) Valve:

وهو الفتحة الخارجية التي من خلالـها تتـم عمليـة الجمـاع، وتحتوي على تركيب عضلي يشبه النسيج العضلي الانتعاضي للذكر، ويعـرف هـذا التركيب باسم البظر (Glotrus) وهو ينتعض عند ذروة الشهوة أثناء عملية الجماع[1].

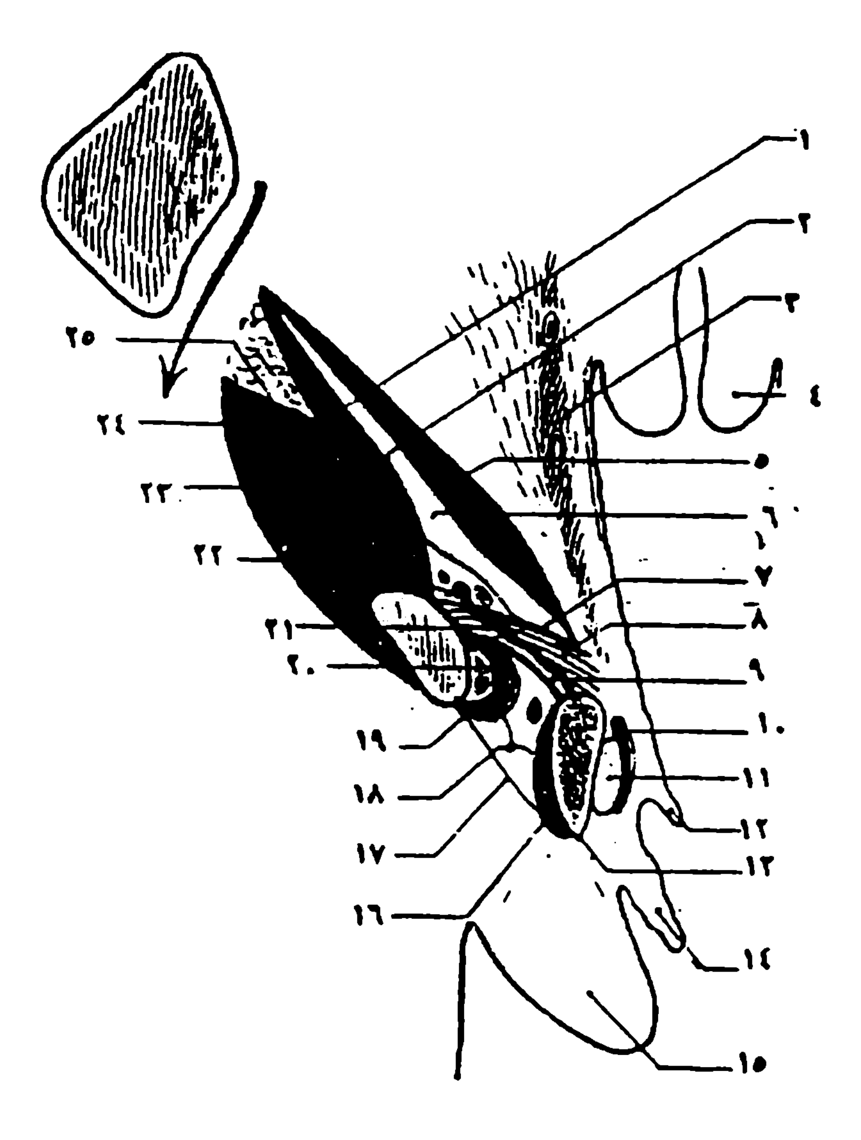
والشكلان التاليان يوضحان تركيب الجهاز التناسلي الأنثوي.



(التصوير رقم ٣٠) **المبيضان والنفيران والرحم ضمن الحوض (ومجاوراتها)**

١ ـ الأبهر، ٢ ـ نسيج خلوي تحت الباريطون، ٣ ـ العروق الحرقفية الأصلية، ٤و٢٤ ـ الحالبان، ٥ـ الربـاط الرحمي العجـزي، ٦ ـ المبيض الأيسر، ٧ ـ الرتج الرحمي السرمي (دوكلاس)، ٨ ـ الرحم (قاعه)،

(١) الجامع في امراض النساء: ٥٤٠ .



(التصوير رقم ٣١) عجان المرأة . مقطع جبهي

١ ـ العضلة السادة الباطنة، ٢ ـ صفاقها، ٣ـ الصفاق العجزي العاني التناسلي، ٤ ـ عنق البظر، ٥ ـ رافعة الشرج، ٦ ـ امتداد المسافة الوركية الشرجية الأمامي، ٧ ـ صفاق العجان المتوسط (وريقته السطحية)٨ ـ معترضة العجان العميقة، ٩ ـ صفاق العجان المتوسط (وريقته العميقة)، ١٠ ـ العضلة مقبضة الفرج، ١١ ـ غدة بارتولان، ١٢ ـ غشاء البكارة، ١٣ ـ البصلة، ١٤ ـ الشفر الصغير، ١٥ ـ الشفر الكبير، ١٦ ـ العضلة البصلية الكهفية، ١٧ ـ صفاق العجان السطحي، ١٨ ـ عصب الأحليل البصلي، ١٩ ـ الجسم الكهفي، ٢٠ ـ العضلة الوركية الكهفية، ٢١ ـ الشريان البصلي، ٢٢ ـ الحزمة الاستحيائية الباطنة، ٢٣ ـ الغشاء الساد، ٢٤ ـ العضلة السادة الظاهرة، ٢٥ ـ الشريط تحت العانة.

المظاهر الخارجيّة ووظائفها

الثدي Breast:

يعتبر الثدي أحد ملحقات الجهاز التناسلي الأنثوي، ويتكون من فصيصات من أنسجة غدية، وشبكة من القنوات تحيط بها الدهون من كل جانب، وتقع جميعها في طبقة اللفافة السطحية الدهنية. وتوجد إلى الأعمق من الثدي لفافة عميقة، تغطي العضلة الصدرية الكبرى، والعضلة المسننة (المنشارية) الأمامية.

تتألف الأنسجة الغدية من ١٥ - ٢٠ فصاً، ولكل فصل قناة رضاعية تتجه إلى الأمام لتفتح في الحلمة، وتتسع كل قناة موضعياً، قبيل فتحتها؛ لتكون ما يسمى الحوض الرضاعي، ويمتد بين الجلد واللفافة العميقة عدد من النطاقات الليفية تسمى «أربطة كوبر» تعمل على شد الجلد والمحافظة على تدوير الثدي وبروزه إلى الأمام. وتترهل هذه الأربطة مع تقدم العمر، مما يؤدي إلى تدلدل الثدي ونزوله إلى أسفل، وقد تتأثر هذه الأربطة بالأورام السرطانية، فتقصر وتضمحل فتجذب الجلد إلى الداخل مسببة رصعة الجلد، وهي إحدى العلامات السريرية لسرطان الثدي.

وتبرز الحلمة عادة إلى الأمام أكثر من الهالة، وتحتوي على أنسجة ناعظة، وعضلات ناعمة، تسمح بزيادة حجمها وانتعاظها. وقد تكون الحلمة صغيرة أو منزوية داخل الهالة، مما يؤثر على فاعلية الرضاعة، وينبغي الاهتمام بهذه الحالة خلال فترة الحمل وقبيل الوضع باتخاذ التدابير وإجراء التدريبات اللازمة.

يعتمد لون الهالة على لون الجلد فيكون وردياً في الجلد الأبيض، ويتحول إلى لون داكن بعد الحمل الأول، ولا يستعيد لونه «العذري» أبداً.

التغذية الدموية:

تنشأ الشرايين التي تغذي الثدي من الشريان الصدري الوحشي، ومن الشرايين الوربية الثاني إلى الخامس، ومن الشريان الصدري الداخلي والأخرمي الصدري، ينبع الدم الوريدي الشرايين ويتجمع دم الثدي مع صرف عظام الصدر والعمود الفقري، وربما يفسر ذلك سرعة انتشار سرطان الثدي في الفقرات.

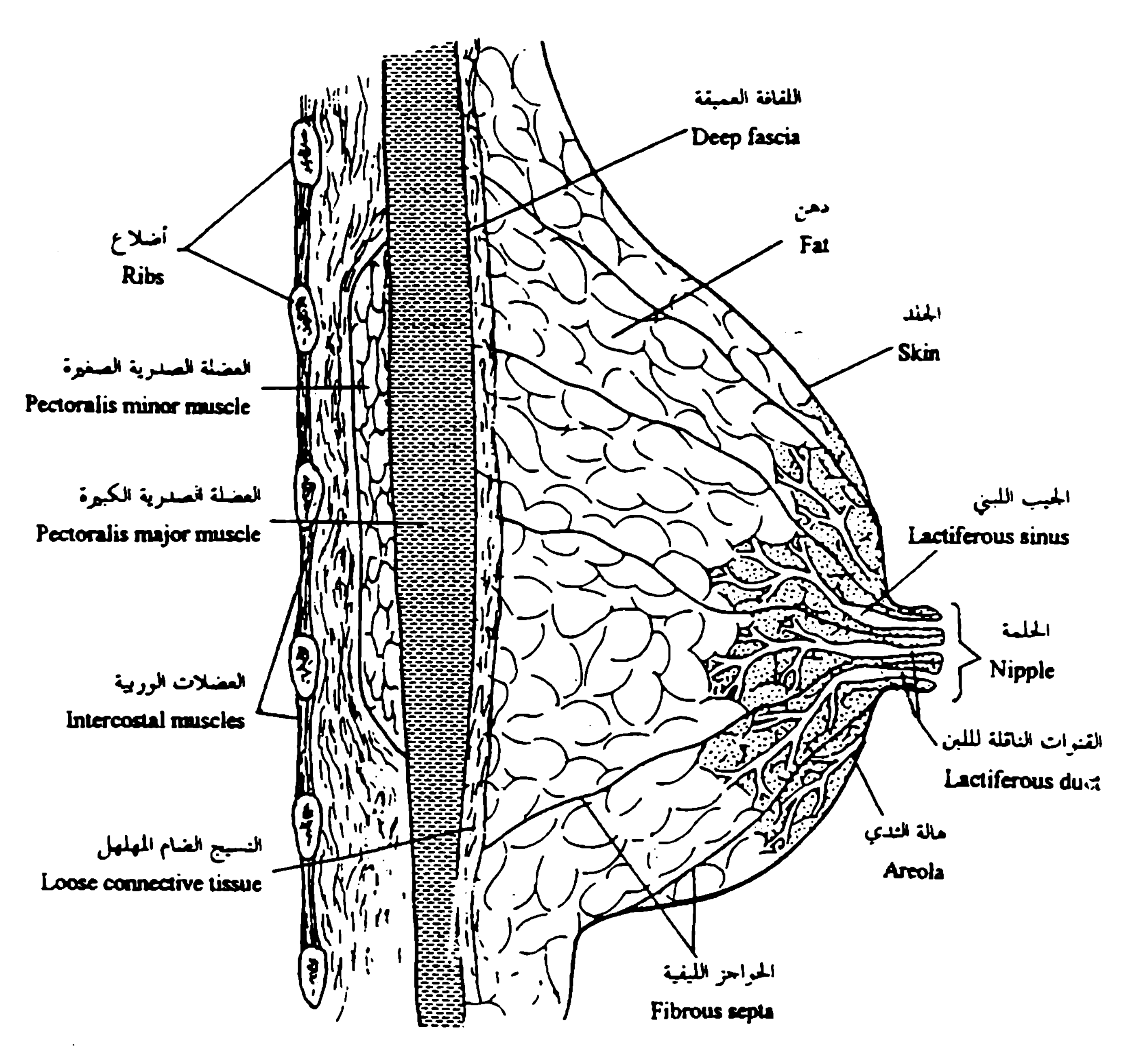
الصرف اللمفي:

تتشابك الأوعية اللمفية للصدر مع ما يجاورها من أوعية جدار الصدر، والبطن والثدي الآخر.

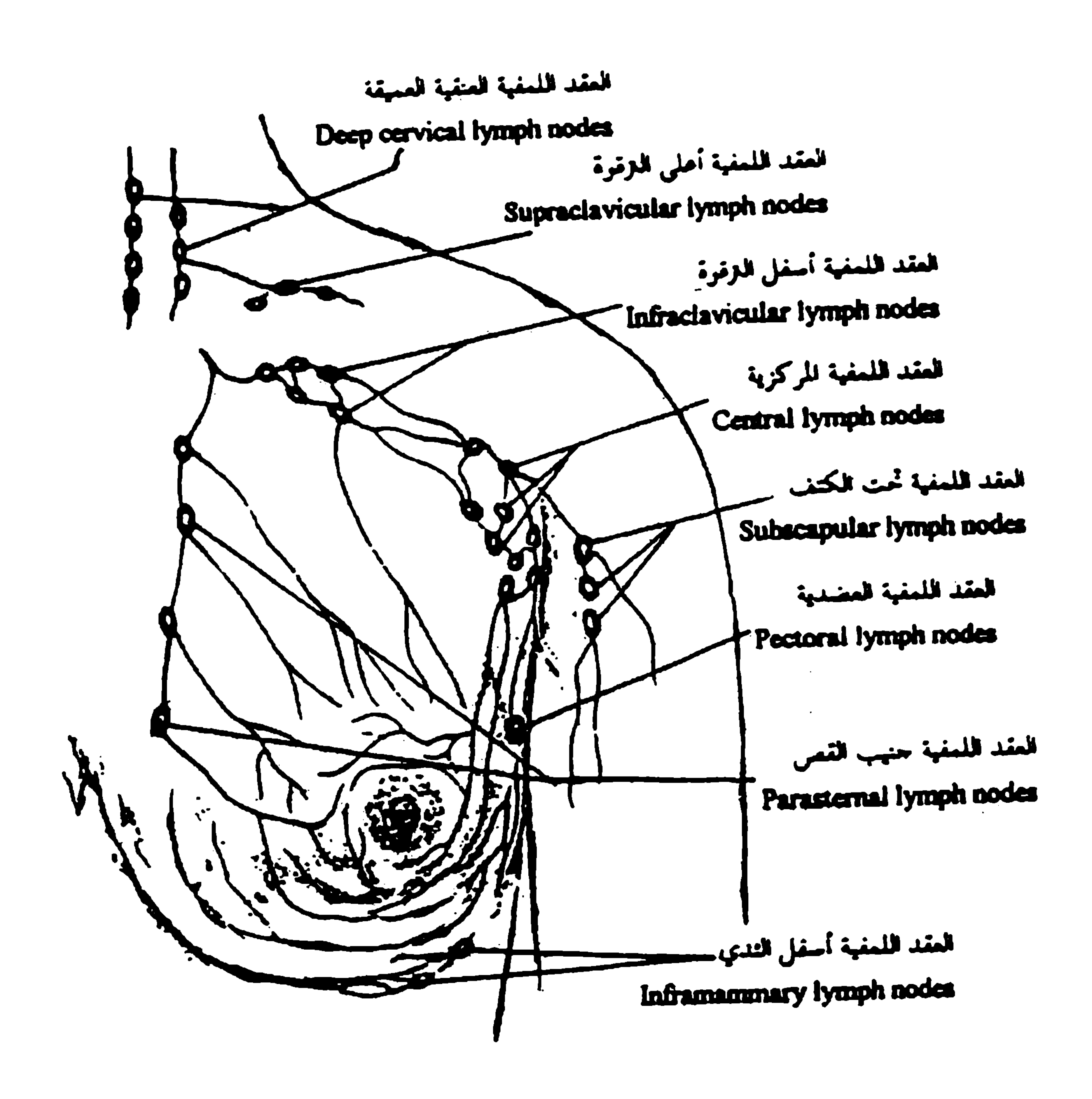
ينصرف اللمف من الأنسجة تحت الهالة عبر ضفيرة من الأوعية السطحية ومن الأنسجة العميقة عبر ضفيرة تحت الثدي تستند على اللفافة العميقة[1].

---

(١) الجامع في أمراض النساء: ٥٤٢ .



(التصوير رقم ٣٢) أنسجة الثدي
Breast tissues



(التصوير رقم ٣٣) الصرف اللمفي للثدي

حماية المخ بحصن الجمجمة:

ما نقله العلامة المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) وبخصوص هذا الموضوع، ما قاله الإمام أبو عبد الله ﷺ للمفضل: «.. لو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيته قد لفَّ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب، ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما يفتّه هدّ الصدمة والصكّة التي ربما وقعت في الرأس، ثم قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صار بمنزلة الفرو للرأس تستره من شدة الحر والبرد، فمن حصّن الدماغ هذا التحصين إلاّ الذي خلقه وجعله ينبوع الحس والمستحق للحيطة والصيانة لعلوّ منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطر مرتبته؟!»[1].

لقد بين الإمام الصادق ﷺ في وصفه هذا وبشكل إجمالي الأبعاد العلمية لطبيعة ووظيفة الجمجمة والدماغ ومنزلتهما الحقيقية بالنسبة لجسد الإنسان في تلك الهيئة التي أكبّها الخالق البارئ المصوّر، حيث أثبتت ذلك التجارب العلمية وبما يؤكد قول الإمام ﷺ وقدرة الخالق جل شأنه.

عند الولادة تكون هذه العظام ذات أطراف غضروفية Cartillage؛ لأجل تسهيل ضغط الرأس وتصغير حجمه أثناء الولادة، ولا سيما المولود ذو الرأس الكبير، فيتم ضغط الرأس لسهولة خروجه من المكان المخصص للولادة.

والقحف مبطن من الداخل بأغشية سحائية تحيط به حفاظاً على الدماغ من خشونة القحف وتعتبر وسادة له، وتتكون هذه الأغشية من أغشية الأم الحنون والعنكبوتية، وهناك سائل يطفو به الدماغ يسمى: سائل النخاع

---

(١) بحار الأنوار: ٥٨ /٣٢٥.

الشوكي Cerebrall spinal fluid يساعد في تخفيف ثقل الدماغ ونقل المواد الأيضية الخارجة من خلايا الدماغ.

ومن خلال ذلك يمكن تفسير عدم الإحساس بثقل الدماغ فيزيائياً - والذي يبلغ نصف كيلو غرام تقريباً - ووفق قاعدة أرخميدس القائلة: بأن الجسم الطافي يفقد من وزنه بقدر السائل المزاح(١).

الشعروالأظافر

ومما ذكره الإمام الصادق(عليه السلام) في خطابه للمفضّل بشأن خلق الله تعالى للشعر والأظافر ومدى فائدتهما للإنسان وطبيعة عملهما بما تقدمه من فائدة عظيمة في حياته العملية، وما تسببه من آلام وأوجاع وكيفية الخلاص منها بوسائل أثبت العلم صحتها وضرورة الالتزام بها وهذا ما نقله العلامة المجلسي(قدس سره) في كتابه (بحار الأنوار)، حيث قال(عليه السلام):

«تأمل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار، فإنهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج إلى تخفيفه أولاً فأوّلاً جعلا عديمي الحس لئلاً يؤلم الإنسان الأخذ منهما. ولو كان قص الشعر وتقليم الأظفار مما يوجد له مس ذلك لكان الإنسان من ذلك بين مكروهين: إما أن يدع كلّ واحد منهما حتى يطول فيثقّل عليه، وإما أن يخفّفه بوجع وألم يتألم منه.

قال المفضل: فقلت: فلم لم يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج الإنسان إلى النقصان منه؟ فقال(عليه السلام): إن لله تبارك وتعالى في ذلك على العبد نعماً لا يعرفها فيحمد عليها. اعلم أن آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامّه وبخروج الأظفار من أناملها. ولذلك أمر الإنسان بالنورة وحلق الرأس

---

(١) الحمول الولادات عالية الخطورة: ٣٧٩ .

وقص الأظفار في كل أسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات فتخرج الآلام والأدواء بخروجهما. وإذا طالا تحيّزا وقلّ خروجهما فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت عللاً وأوجاعاً، ومنع مع ذلك الشعر من المواضع التي يضرّ بالإنسان ويحدث عليه الفساد والضرر، لو نبت الشعر في العين ألم يكن سيعمى البصر؟ ولو نبت في الفم ألم يكن سينغّص على الإنسان طعامه وشرابه؟ ولو نبت في باطن الكف ألم يكن سيعوّقه عن صحة اللمس وبعض الأعمال؟ ولو نبت في فرج المرأة وعلى ذكر الرجل ألم يكن سيفسد عليهما لذّة الجماع؟ فانظر كيف تنكّب الشعر هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة»[1].

وفيما يلي نتناول طبيعة الشعر والأظافر من ناحية التركيب والوظيفة بالطرق العلمية:

التركيب:

يعتبر التركيب الكيماوي للشعر والأظافر واحد، والمكوّن لهما هو نوع من أنواع البروتينات يعرف ببروتين الكاروتين Karotine وهو بروتين غير قابل للهضم من قبل الجسم أي في حالة استغلال هذا البروتين للتغذية، ويتميز بقوة الأواصر الموجودة بين جزيئاته.

الوظيفة:

إن الوظيفة الأساسية للشعر والأظافر هي وظيفة موحدة، ألا وهي وقاية وحماية الأطراف من التلف.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٨ /٣٢٨.

أما الأظافر فتعطي دعامة ساندة للأطراف لا سيما عند استعمال هذه الأطراف لقضاء حاجة معينة للجسم.

أما الشعر فهو يفيد لحماية الرأس من الظروف المناخية كعازل حراري من ارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها، باعتبار أن الرأس يحمل أهم عضو في الجسم ألا وهو الدماغ المسؤول عن تنظيم العمليات كافة، ومن ناحية المظهر الخارجي فهو يضفي جمالا وحسن منظر للإنسان.

ومن الأمور التي يشار إليها بشكل مهم هو أن الأظافر والشعر ينموان بصورة مستمرة وبدون أي انقطاع مما يدل على أن استمرار وجودهما ضروري، وأن الخلايا المولدة لهما حيوية جداً وذات فاعلية مستمرة دون أي انقطاع.

ويعتبر الشعر والأظافر والكبد من الأعضاء التي تنمو خلاياها في حالة حدوث قطع أو إزالة جزء معين منه.

الفصل الثاني

الحواس الخمس

- حاسة السمع
- حاسة الرؤيا
- حاسة الشم
- حاسة الذوق
- حاسة اللّمس

ذكر الإمام الصادقﷺ في حديثه مع المفضل الكثير من الخصائص التي منحها الله تعالى للإنسان لم يمنحها لغيره من المخلوقات، وأوضح تلك الخصائص في بيان لم يكن لأحد أن يسمعه أو يعرفه من قبل، وهو يصف الحواس الخمس بمواقعها ووظائفها وأسرارها ليؤكد عظمة الخالق في خلقه حيث يقولﷺ:

«أنظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خُصّ بها الإنسان في خلقه وشُرِّف بها على غيره، كيف جعلت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكّن من مطالعة الأشياء، ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهنّ كاليدين والرجلين، فتعرضها الآفات وتصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعلّلها ويؤثّر فيها وينقص منها. ولا في الأعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلّبها واطّلاعها نحو الأشياء. فلمّا لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواس، وهو بمنزلة الصومعة لها. فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً لكيلا يفوتها شيء من المحسوسات: فخلق البصر ليدرك الألوان، فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة؛ وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها إرب؛ وكذلك سائر الحواس، ثم هذا يرجع متكافئاً: فلو كان بصراً ولمي كن ألواناً لما كان للبصر معنى، ولو كان سمع ولم يكن أصوات لم يكن للسمع موضع. فانظر كيف قدّر بعضها يلقى بعضاً، فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه، ولكل محسوس حاسة ندركه، ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسّطة بين الحواس والمحسوسات لا يتمّ الحواس إلاّ بها كمثل الضياء والهواء، فإنه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن

البصر يدرك اللون. ولو لم يكن هواء يؤدّي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت. فهل يخفى على من صحّ نظره وأعمل فكره أن مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقى بعضاً وتهيئة أشياء أخر بها تتمّ الحواس لا يكون إلاّ بعمد وتقدير من لطيف خبير؟»[١].

ووفقاً لما بينته المصادر العلمية نحاول ذكر هذه الحواس الخمس كلٌّ على حدة مع مصورات لفائدة القارئ الكريم ليرى بها عظمة الخالق وتقنيّة المخلوق.

١ ـ حاسة السمع:

قال الحكماء: «ـ هي ـ قوّة مودعة في العصب المفروش في مقعّر الصماخ، ويتوقف على وصول الهواء المنضغط بين القارع والمقروع والقالع والمقلوع مع مقاومة المتكيّف بكيفية الصوت المعلول لتموّج ذلك الهواء إلى الصماخ»[٢].

لقد ميّز الله تعالى المخلوقات وفقاً للقواعد البيئية والظروف التي تحيط بها وتبعاً لحاجة المخلوقات.

فبعض المخلوقات تحتاج إلى هذه الحاسة في الدفاع عن نفسها، وكذلك للقيام بالأعمال اليومية لها وخاصة التغذية ومتابعة بقية الحاجات الضرورية للحياة.

ونلاحظ أن الله قد قوّى هذه الحاسة عند بعض المخلوقات وأعطاها البعض الآخر بصورة متوسطة، وبعضها أقل من ذلك، كما أن هنالك أحياء أخرى لا تمتلكها أبداً مثل الأفعى.

---

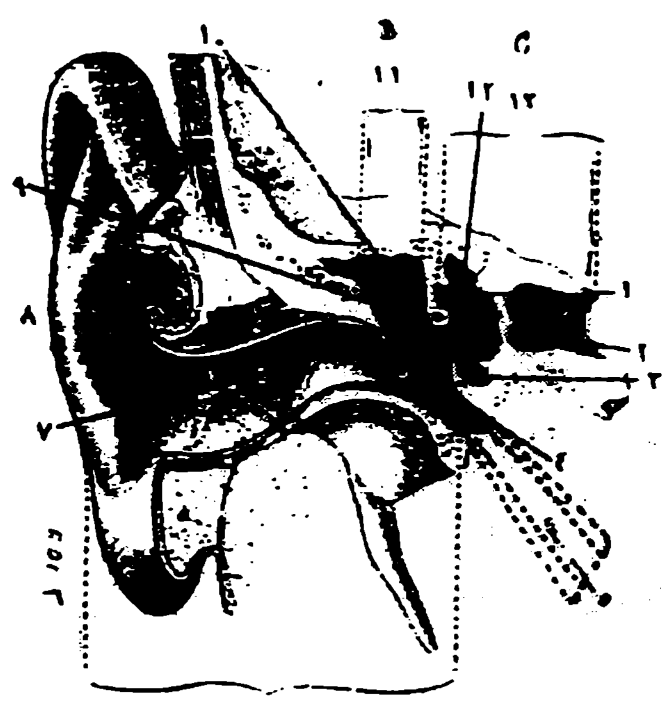
(١) بحار الأنوار: ٥٨ /٣٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ٥٨ /٢٦١.

ومنح بعض مخلوقاته صفاتاً عوضها بها عن تلك الحاسة، مثل سرعة إحساسها بالأمور الخطرة، كالإحساس بالذبذبات الناتجة من الأجسام الأخرى.

وسنتطرق هنا إلى طبيعة تركيب الجهاز السمعي البشري من الخارج إلى الداخل:

١ـ صيوان الأذن الخارجية: وهو عبارة عن تركيب لحمي يحتوي على تراكيب وتعاريج تدلّ على اختلاف البشر المفرد عن الآخر، حيث تختلف كما تختلف بصمات الأصابع، فهي لا تتشابه فيما بينها أبداً وكبرها يعتبر مهماً لاستلام أكبر عدد من الاهتزازات الصوتية. كما في الشكل التالي:



(التصوير رقم ٣٤) جهاز السمع (مقطع جبهي يبين أقسامه الثلاثة)

١ ـ الأذن الباطنة، ٢ ـ مجرى السمع الباطن، ٣ ـ النافذة المدورة، ٤ ـ غشاء النفير، ٥ ـ نفير أوستاش، ٦ ـ الأذن الظاهرة، ٧ ـ مجرى السمع الظاهر، ٨ ـ صيوان الأذن، ٩ ـ صندوق الطبل (وفيه عظيمات السمع)، ١٠ ـ مدخل الغار، ١١ ـ الأذن الوسطى، ١٢ ـ النافذة البيضية، ١٣ ـ الأذن الباطنة.



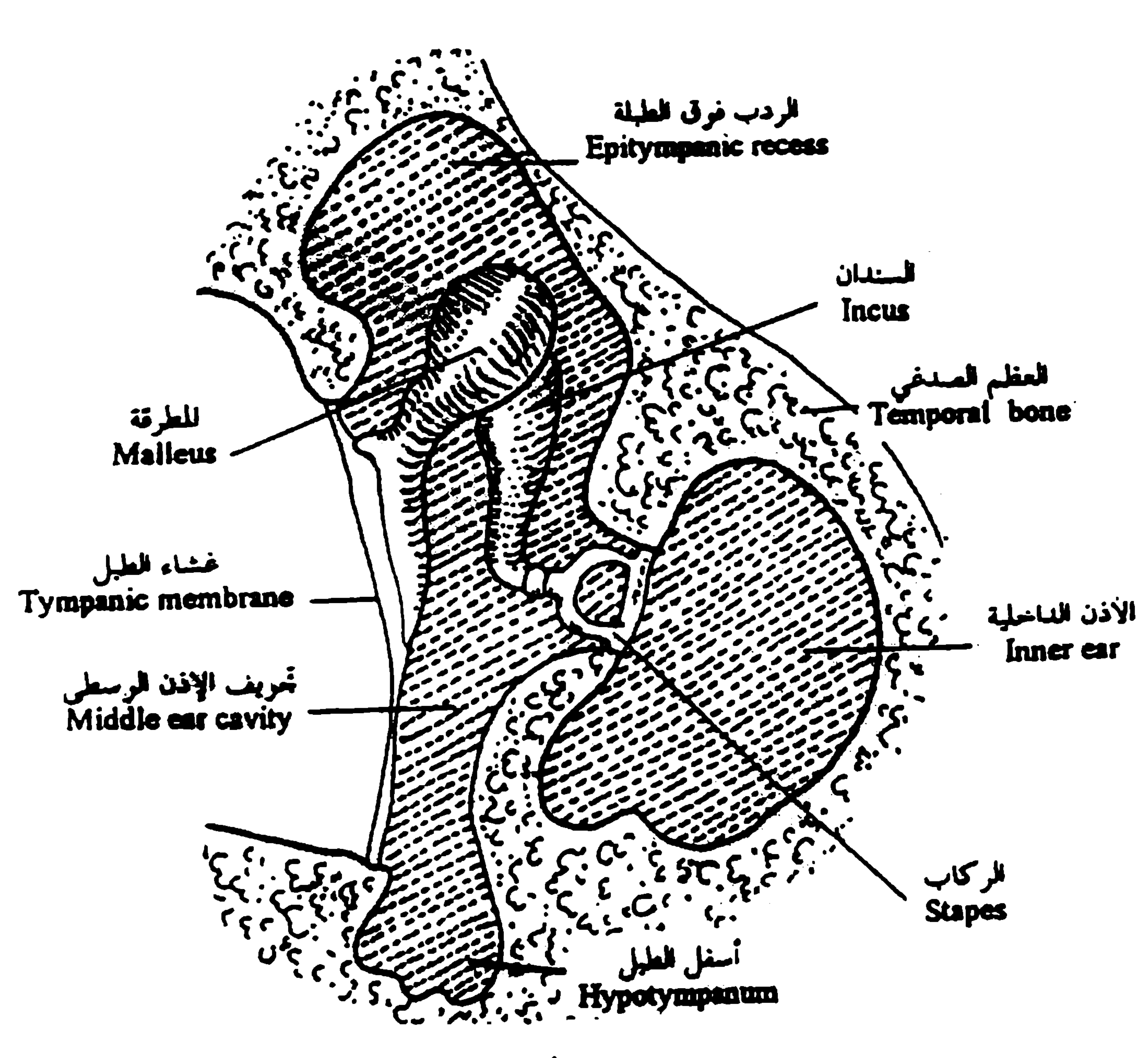
(التصوير رقم ٣٥)

صيوان الأذن

١ ـ الحفيرة الزورقيه، ٢ ـ جذر الحلزون، ٣ ـ فوهة السمع الظاهرة، ٤ ـ الوتدة، ٥ ـ ثلمة المخروط، ٦ ـ مقابل الوتدة، ٧ ـ فصيص الأذن، ٨ ـ القوقعة، ٩ ـ مقابل الحلزون، ١٠ ـ شق القوقعة، ١١ ـ الحلزون.

٢ ـ الأذن الوسطى: تقع الأذن الوسطى في العظم الصدغي مفصولة من الصماخ السمعي الخارجي بواسطة الغشاء الطبلي، ومحددة أنسياً بالجدار الوحشي للأذن الداخلية.

يتكون هيكل الأذن من الجزء الصخري للعظم الصدغي إنسياً والجزء الصدغي، والطبلي للعظم الصدغي.



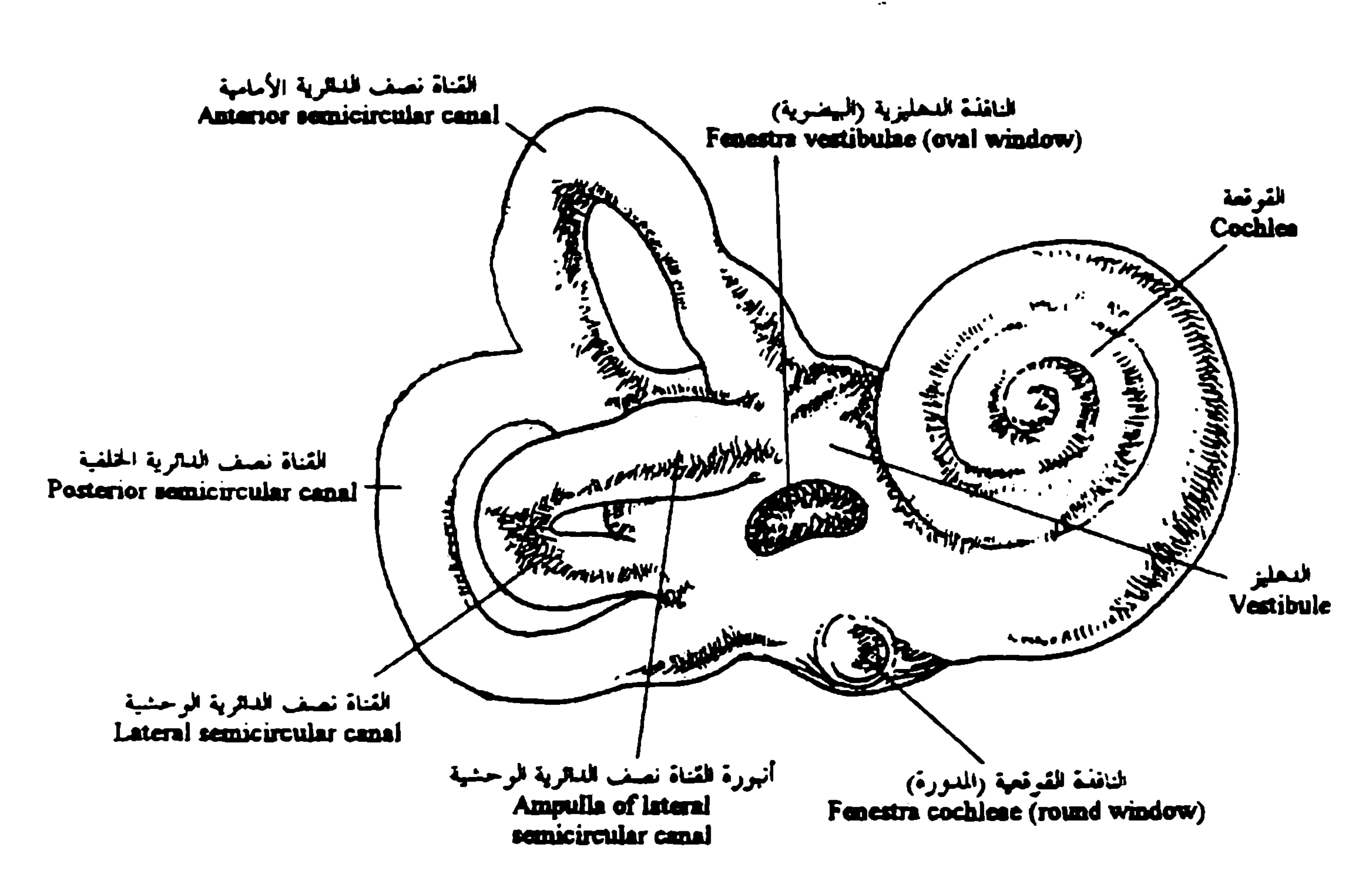
(التصوير رقم ٣٦) الأذن الوسطى

Middle ear

٣ ـ الأذن الداخلية: وهي مثلثة بين السقالة الدهليزية والسقالة الطبلية، وتتمفصل عند السقالة الدهليزية بواسطة الغشاء الدهليزي الرقيق، وتسمى قناة القوقعة أحياناً بالسقالة الوسطى، وتمتد القناة حتى ثقب القوقعة، وتكون مملوءة باللمف الداخلي، وتحتوي على العضو اللولبي (عضو كورتي) ويكون العضو معلقاً في اللمف الداخلي، ويتأثر بحركة ورنين هذا اللمف.

تحول الخلايا الحسية للعضو "كورتي" رنين الذبذبات إلى دفعات كهربائية يرسلها في الأعصاب خلال عمود "القوقعة" مكونة للجزء السمعي من العصب الدهليزي القوقعي.

يكون عرض العضو اللولبي أكبر عند قمة القوقعة مقارنة بعرضه عند قاعدتها، لذا نجد أن التواترات (الترددات) المنخفضة تتذبذب بالقرب من ثقب القوقعة، فيما تتذبذب التواترات المرتفعة بالقرب من النافذة المستديرة، ويمكن تحديد الأصوات المجسمة من نوعيتها ومداها وطور الصوت المسموع.



(التصوير رقم ٣٧) الأذن الداخلية
Inner ear

٢ ـ حاسة الرؤيا (البصر):

قال الحكماء: «ـ هي ـ قوّة مودعة في ملتقى العصبتين المجوفتين النابتتين من غور البطنين المقدمين من الدماغ، يتيامن النابت منهما يساراً، ويتياسر النابت منهما يميناً، فيلتقيان ويصير تجويفهما واحداً، ثم ينعطف النابت منهما يميناً إلى الحدقة اليمنى، والنابت منهما يساراً إلى الحدقة اليسرى، ويسمى الملتقى بمجمع النور»[1].

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ألم نجعل له عينين * ولساناً وشفتين﴾[2].

إنها من حكمته تعالى أن يخلق في الإنسان أعضاءً بعضها فرد والبعض الآخر زوج أو أكثر، كأن يجعل للسمع أذنان وللبصر عينان لا واحدة، بينما يخلق لساناً واحداً وأنفاً واحداً. ذلك هو ميزان الخالق في مخلوقاته، فهو أعلم بما يحتاجه الإنسان وما يكفيه لأجل مواصلة مسيرة حياته بكل استقرار وأمان، فلو حاول العلم الحديث إضافة عضو آخر زائداً على خلقة الإنسان - بل حتى الحيوان - أو تبديل موقع عضوٍ بمكان آخر فسوف يختلّ ميزان القوى حتماً مما يؤدي إلى الخلل الذي لا تستقيم معه أمور الحياة وحاجة الإنسان، وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال: «في ابن آدم ثلاثمائة وستون عرقاً منها مائة وثمانون متحركة، ومائة وثمانون ساكنة، فلو سكن المتحرك لم يبق الإنسان ولو تحرك الساكن لهلك الإنسان»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ٥٨ /٢٦١.

(٢) سورة البلد: ٨ ـ ٩ .

(٣) بحار الأنوار: ٥٨ / ٣١٦ .

لقد أعطى الله تعالى للإنسان عينين لا واحدة، فهل أن الرؤيا بعين واحدة قد لا تكون كاملة أو لا تفي بالغرض المراد أم ماذا؟! وللإجابة على هذا السؤال نعمد إلى ذكر نقاط مهمة في تشريح العين وأجزاءها وما وصلت إليه العلوم الحديثة في هذا المجال.

١ ـ القرنية: وهي تركيب يعتبر من العين الخارجي وهو الجزء الشفاف فوق قزحية العين.

٢ ـ القزحية: وهي المنطقة المسؤولة عن إعطاء اللون للعين، كما أن اختلاف ألوان العيون راجع لصبغة القزحية.

٣ ـ البؤبؤ: هو الجزء الذي من خلاله تمر الصورة، ويحتوي على عضلات ملساء تحيط به وتتحكم بقابليته على الانغلاق والانفتاح.

٤ ـ العدسة: وهي التي تنكسر بها الصورة.

٥ ـ الغشاء الزجاجي.

٦ ـ الشبكية.

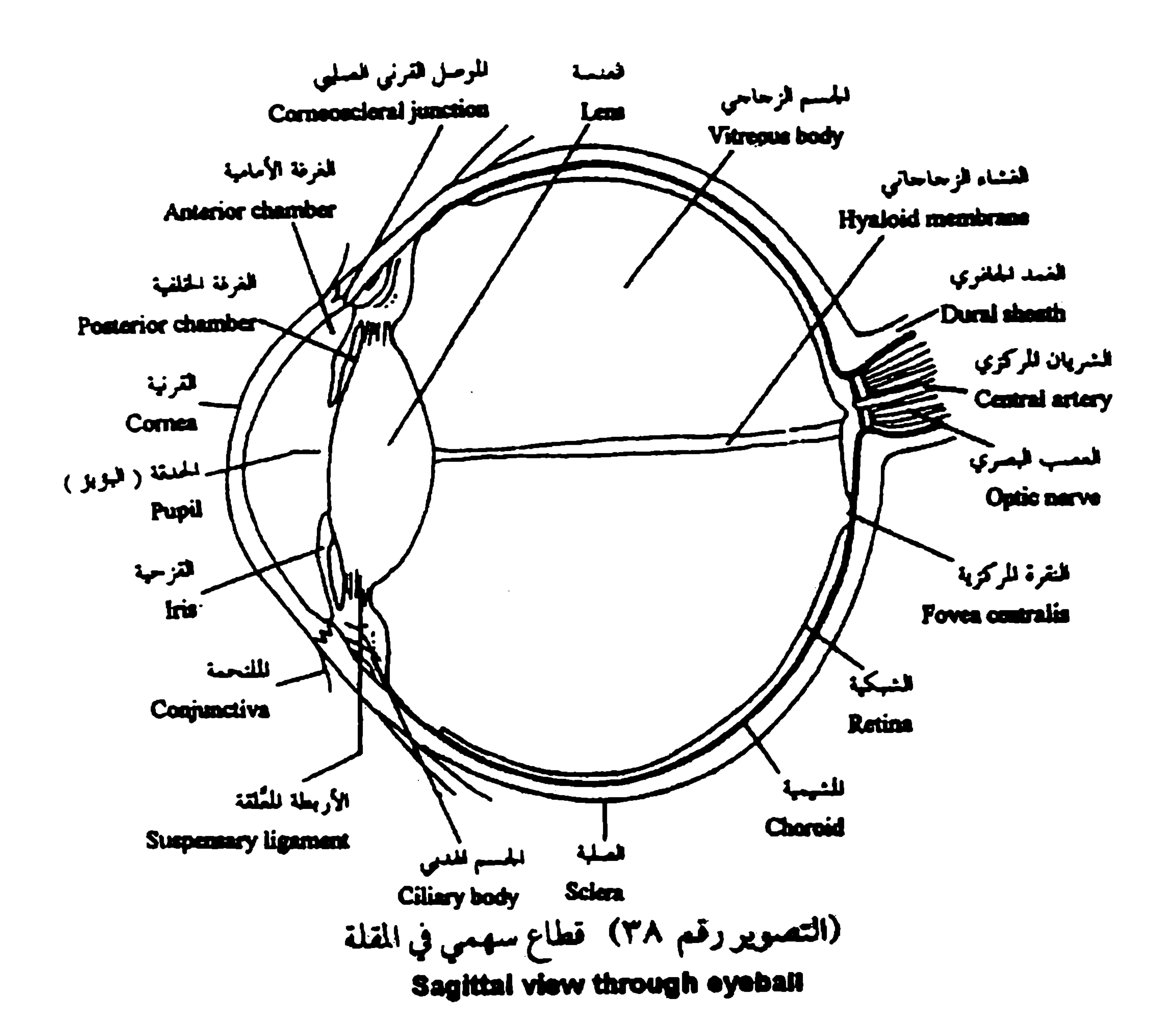
٧ ـ النقطة المركزية (أو اللطخة الصفراء).

٨ ـ الصلبة: هو الجزء الذي يعطي اللون الأبيض للعين.

٩ ـ الجسم الهدبي: وهو المسؤول عن انحناء العدسة وحركتها.

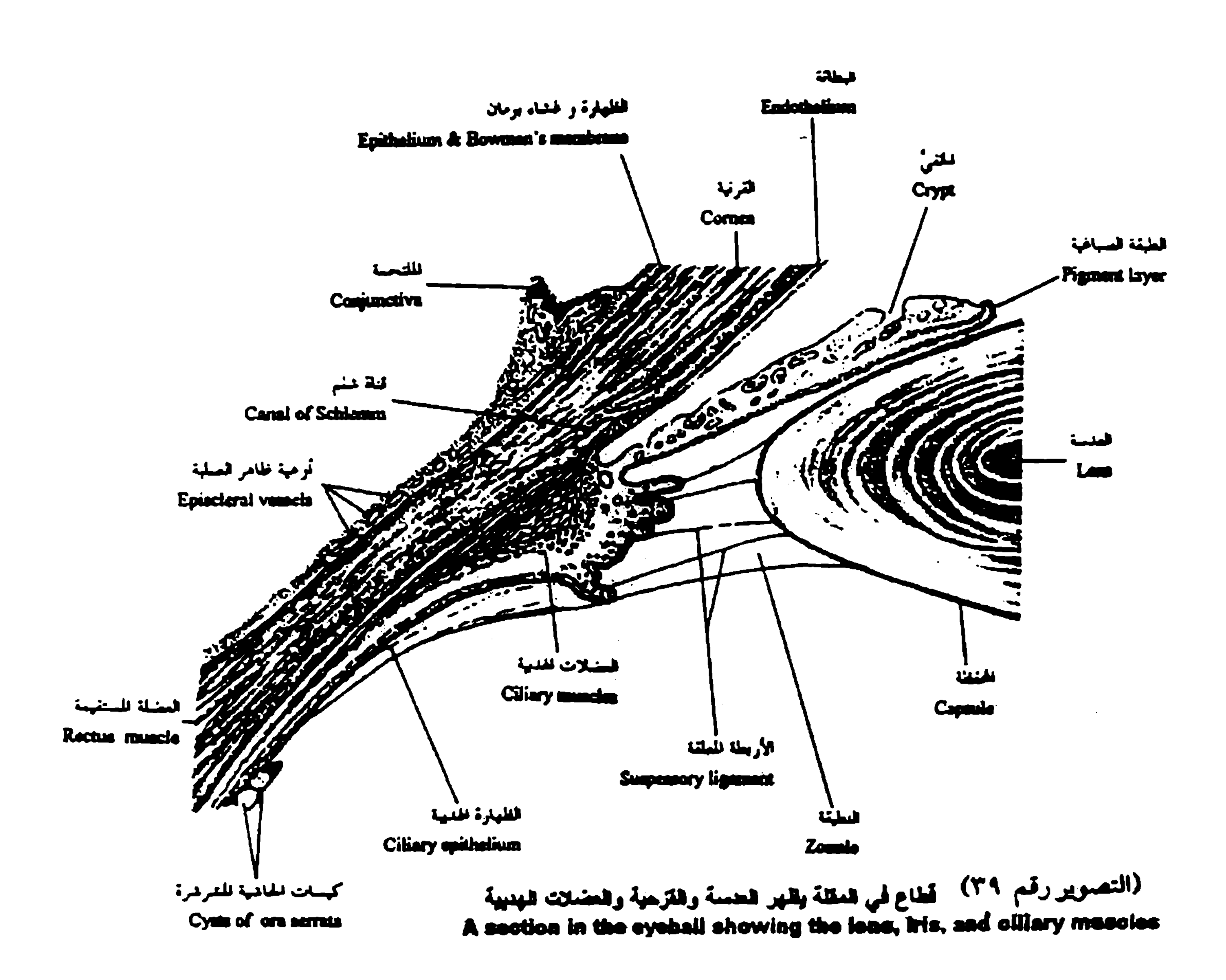
١٠ ـ المشيمة.

١١ ـ العصب البصري.



(التصوير رقم ٣٨) قطاع سهمي في المقلة

Sagittal view through eyeball



(التصوير رقم ٣٩) قطاع في المقلة يظهر العدسة والقزحية والعضلات الهدبية
A section in the eyeball showing the lens, iris, and ciliary muscles

٣ـ حاسة الشم:

قال الحكماء: «هي قوّة منبثّة في زائدتي مقدّم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي تدرك الروائح بتوسّط الهواء المتكيّف بكيفية ذي الرائحة»[1].

وثبت علمياً أن هناك مستقبلات موجودة في التجويف الأنفي في المحارات الأنفية الثلاثة، وكلما ازدادت الرغبة في الشم أي قد تكون الرائحة ضعيفة فعند الرغبة في شمها نحاول أن نأخذ نفساً طويلاً وعميقاً من أجل أن نوصل هذه الرائحة إلى المحارة الجبهية القريبة من الدماغ، علماً أن هناك حواجز في المحارات بالنسبة لجميع الحيوانات إلاّ الكلب فلا توجد عنده هذه الحواجز؛ لذلك نجد حاسة الشم قوية عنده.

٤ـ حاسة الذوق (التذوّق):

قال الحكماء: «هي قوّة منبثّة في العصب المفروش على جرم اللسان، وهي تالية للاّمسة، إذ منفعتها أيضاً في الفعل الذي به يتقوّم البدن، وهي تشهية الغذاء واختياره، وبالجملة يتمكن به على جذب الملائم ودفع المنافر من المطعومات»[2].

لقد ارتقى الله تعالى بالإنسان إلى درجة الكرامة والفضيلة ووفّر له كل ما يحتاجه ويعينه على مكابدة الحياة بهيئة تامة وكاملة لا يعتريها نقص ولا تشوب خلقته شائبة، وترك له عنان الاختيار والتفكر للعبادة والشكر على تلك النعم الفضيلة والتي ميّزه بها عن بقية المخلوقات.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٨ /٢٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ٥٨ /٢٧١.

وممّا تكرّم به تعالى على الإنسان حاسة الذوق التي مكّنه بها من تمييز الأشياء بعضها عن بعض من ناحية الطعم ومعرفة حلوها من مرّها، وما يتلائم مع أحاسيسه ورغباته وما لا يتلائم، ليمكّنه من أن التعامل مع الأشياء تبعاً لحسّه المرهف وذوقه الرفيع.

لذلك جعل الله تعالى اللسان ذا مهمتين: الأولى للنطق والمساعدة في تسهيل تقطيع الألفاظ المستخدمة مثل الكلمات، بالإضافة إلى المهمة الثانية المنوطة به ألا وهي التذوق ومساعدة الأسنان واللعاب في الفم من تدوير اللقمة بالتجويف الفمي قبل أن تبتلع.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن البراعم الذوقية تتوزع بشكل منتظم وحكيم على سطح اللسان، فالمتحسسة بالحلاوة تكون في مقدمة قمة اللسان، والمتحسسة بالملوحة على جانبيها أي على الأطراف المجاورة للحلاوة.

أمّا البراعم الذوقية المختصة بالحموضة فتكون على جانبي اللسان موازية للأسنان (الأضراس).

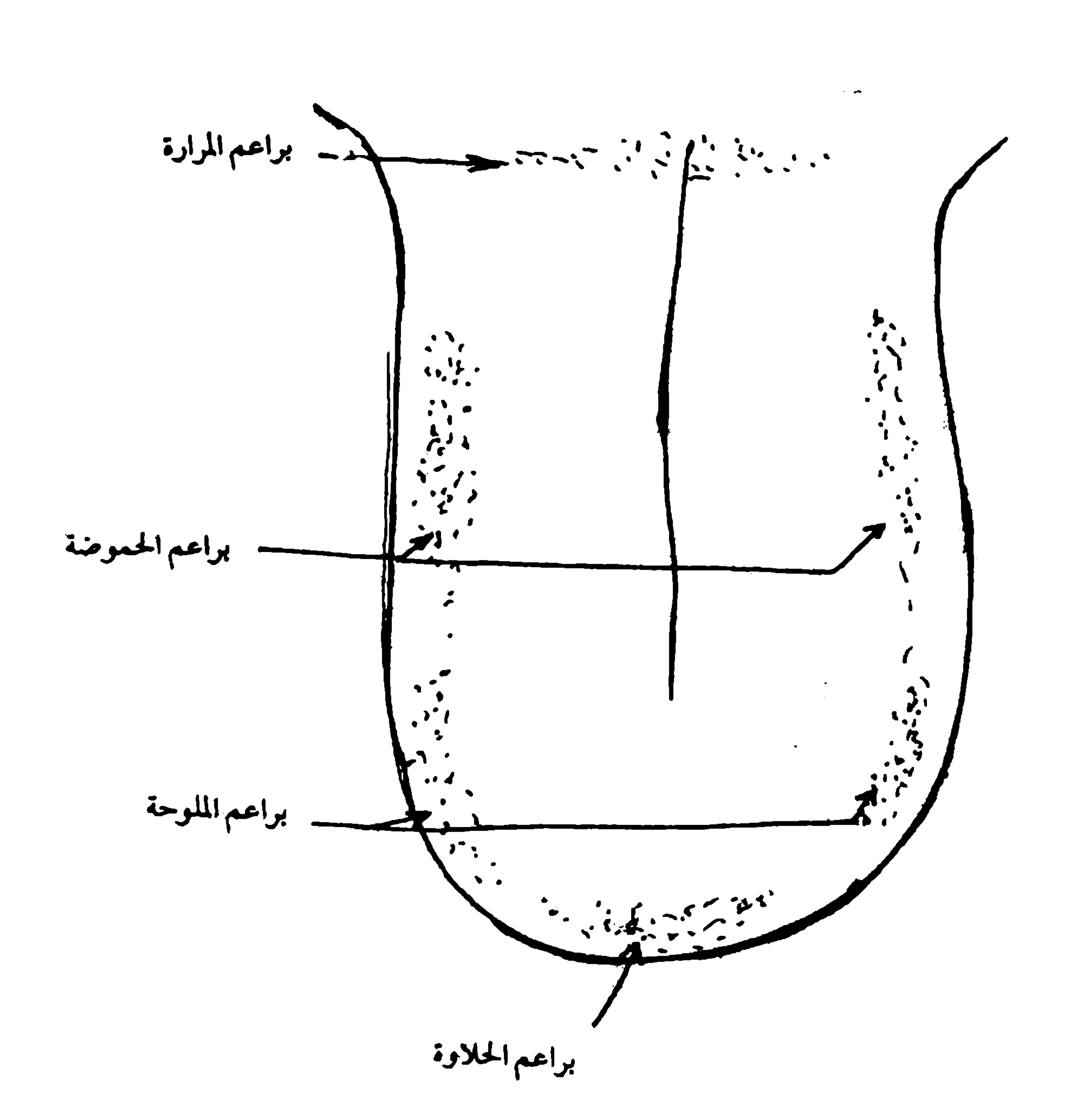
أمّا المرارة فتكون في قاعدة اللسان، أي في آخر جزء من اللسان داخل التجويف الفمي، وهنا تكمن الحكمة بتمهيد التحسس وبصورة تدريجية، فعندما يصل الطعام ذو الطعم المرّ إلى هذه البراعم يكون قد وصل الشيء البسيط منه إلى اللسان فيحس بالمرارة ولا يتفاجأ بها، أما لو كانت في مقدمة اللسان فهذا ما يدفع الإنسان إلى الشعور بمخاوف الصدمة من تناوله الطعام بسبب طعمه المر.

وربّ تساؤل هنالك. وهو كيف يتحسّس الإنسان بالطعم المرّ وخلال ثوانٍ قليلة عند تذوقه الطعام بقمة اللسان؟!.

والجواب على ذلك هو: بواسطة اللعاب الذي يرطب التجويف الفمي، فينتقل الطعم المرّ إلى مراكز المرارة في قاعدة اللسان بطريقة الانتشار؛ ومن هنا

نستدلّ أن الله تعالى قد وضع للإنسان سبل الراحة الخلقيـة علـى أكمـل وجه، وفرّغهم للشكر والطاعة.

والشكل التالي يوضح توزيع مراكز البراعم الذوقية على سطح اللسان.



(التصوير رقم ٤٠)

توزيع البراعم الذوقية على سطح اللسان

٥ـ حاسة اللّمس:

تعتبر هذه الحاسة دليلاً مهماً لمن يفقد بصره لمتابعة أموره الحياتية، وما يكمن في سر أهمية تلك الحاسة أن الله تعالى جعل نهايات الأعصاب الحسية منتهية بشكل دقيق تسمى المستقبلات العصبية أو المجسات الحسية وهي متوزعة في كل الجسم ولكن تختلف درجة الحسّية فيها وفقاً للمكان الذي توجد به وكذلك نسبة للتقرن الجلدي في تلك الأماكن مثل تراكم نسبة عالية من "الكيراتين" التي تترسب بشكل طبقات على سطح الجلد، فكلما زادت هذه الطبقات زادت نسبة التقرّن وقلّ الحس العصبي، كما نلاحظ في منطقة الكعب من القدم حيث زيادة نسبة التقرن لأن المكان معرض لثقل الجسم عليها وعند المشي نلاحظ أول شيء يلمس الأرض هو الكعب ومن ثم الأخمص، ولهذا فإن الاحساس بالمس قليل.

الفصل الثالث

الحاسة السادسة

- العلاقة بين الدماغ والعقل
- الأحداث العقلية
- أكثر الحركات شيوعاً
- نظرية الجسميات
- نظرية سبق التكوين
- نظرية دارون والعلوم التجريبيّة

إن الإحساس والحواس هي عبارة عن ميكانيكية فسلجيّة تختلف بمصدرها المادي والوظيفي والمعنوي (الروحاني) ففي أكثر الأحيان يجمع العلماء - الماديين - تلك الصفات بكلمة واحدة هي حواس مادية أي ما يلمس ويشم ويذاق ويسمع ويرى بالعين.

ومعنى هذا أنهم تغاضوا عن وجود حاسة سادسة أو ما يسمى الحدس أو العقل، فهم عَقَلوا كل الأفعال بالدماغ وكذلك الإحساس.

ولكن وفقاً لدراسات نستعرضها على القارئ الكريم تؤكد عطاء الخالق الذي خصص للإنسان هذه الحاسة، وقد خصّ بعض البشر بها وفقاً لأمور أساسية إما لموهبة أو للطاعة المستمرّة الخالصة لله عزّ وجل كما جاء في الحديث القدسي:«عبدي أطعني تكون مِثْلي أو مَثَلي أقل للشيء كن فيكون تقل للشيء كن فيكون».

وبعد أن اقتنع العلماء - الماديين - بوجود العقل والتخيل المتوقع صحته، وهو نوع من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، ارتأينا ذكر حقائق بسيطة متواضعة تبين ما هو العقل؟ وما معنى كون القلب هو المسؤول عن المشاعر والعواطف الجياشة لدى الإنسان؟ ومدى تآلفه مع الأمور والظروف التي يتحقق فيها ما يرى في حدسه أو عقله أو مخيلته.

فمنذ عصور قديمة كان المعتقد السائد بأن القلب هو مركز العاطفة لدى الإنسان بغض النظر عن الجنس الذي ينتمي إليه هذا العضو المهم.

وفي أواسط القرن الثامن عشر فنِّد هذا الرأي وتحولت الفكرة إلى كون القلب هو العضو المسؤول عن ضخ الدم إلى أنحاء الجسم المختلفة، ولا توجد لديه وظيفة ثانية، فهو مجرد مضخة لا غير.

فمن الناحية العمليّة نلاحظ أن التركيبة العضلية التي يتميز بها هذا العضو تتألف من أجزاء عضلية مترتبة بشكل يتيح له هذه الوظيفة الجبارة من خلال معرفة أن جداره سميك جداً وله قابلية تحمل ضغط عالي، والمثال على ذلك كما في العداء الرياضي حيث نلاحظ عدد ضربات القلب عنده منذ بدء الركض وحتى انتهائه بحيث لا تزيد عن ٦٠ ضربة في الدقيقة، وهذا يعني أن عضلة القلب قد تضخمت وأصبحت أسمك من الطبيعي، وهذه حالة غير مرضية إطلاقاً بل هي حالة طبيعية صحية، وتفسيرها العلمي هو أن الضربة الواحدة للعداء الرياضي تعادل ضربتين للإنسان الطبيعي؛ ومن هنا نجد أن فكرة كون القلب هو مضخة فقط، صحيحة[1].

وبعد مرور أعوام عديدة ونتيجة أبحاث مستمرّة وبالتحديد في مطلع القرن الحالي، توصّل بعض الأطباء إلى أن القلب يمتلك خاصيّة الغدّة لأنه يفرز بعض الهرمونات عندما يتعرض إلى حالة عاطفية أو موقف حزين.

وهذا ما يواكب رأي الشريعة الإسلامية في اعتبار القلب بمنزلة الإمام وهو ما عبّر عنه الإمام الصادق عليه السلام حيث قال:

«اعلم يا فلان أن منزلة القلب من الجسد بمنزلة الإمام من الناس الواجب الطاعة عليهم. ألا ترى أن جميع جوارح الجسد شُرَط للقلب، وتراجمة له مؤدّية عنه: الأذنان، والعينان، والأنف، والفم، واليدان، والرجلان، والفرج.. فإن القلب إذا همّ بالنظر فتح الرجل عينيه، وإذا همّ بالاستماع حرّك أذنيه وفتح مسامعه فسمع، وإذا همّ القلب بالشمّ استنشق بأنفه فأدّى تلك الرائحة إلى القلب، وإذا همّ بالنطق تكلّم باللسان، وإذا همّ بالحركة سعت الرجلان، وإذا همّ بالشهوة تحرّك الذكر، فهذه كلّها مؤدية عن القلب بالتحريك، وكذلك ينبغي الإمام أن يطاع للأمر منه»[2].

---

(١) الحاسّة السادسة والقدرات الخارقة الكامنة: ١٠١.

(٢) بحار الأنوار: ٥٨ /٣٠٤.

العلاقة بين الدماغ والعقل:

هناك تناظر وظيفي يمكن استخدامه في تفسير العلاقة بين الدماغ والعقل، فالقائلون بأن العقل عبارة عن وهم، والدماغ هو كل شيء، ويطلق عليهم «الأحاديون»، وفي الجانب الآخر هناك علماء يطلق عليهم «الثنائيين» وهم يرون أن العقل شيء مستقل ومتعاون مع الدماغ لتكوين خبراتنا.

فعندما تضبط مؤشر الراديو على محطة محلية، يمكنك أن تسمع كافة أشكال الخبرات: الموسيقى والأحاديث الإذاعية والإعلانات التجارية، وهذا ما يدلّ على أن الاسم واحد ولكن لديه أكثر من غرض.

ومن الأمثلة الأخرى تجربة تفسير حالة الوعي المتغيرة مثل تجارب الاقتراب من الموت، فمن الصعب أن تقيّم الأسباب التي جعلت رائد الفضاء الأمريكي "إدجار ميتشيل" يقول: «هناك مجال وعي يخترق الكون بطريقة لا نعرف كنهها حتى يدخل في حالة الوعي» وهذا ما أكده رجال الدين بالنسبة لوجود العقل.

ومن المؤكد أن ميشيل لا يشك في ضرورة الحاجة إلى مفهوم العقل، وهو واثق من الطريق الذي تمضي فيه علوم القرن الحادي والعشرين.

آن الأوان لنبحث عن دليل لا يرفضه العلماء مثلما يرفضون الأحداث العقلية والتجارب الغامضة، فكيف ينقل الجسم النبضات العصبية بين الجسمين نصف الكرويين الأيمن والأيسر للمخ؟! وحين قطع الارتباط بينهما كيف تحدث أشياء غريبة؟ بينما يكون هذا القطع في بعض الأحيان مفيداً لمرضى نوبات الصرع الشديدة في أحد النصفين الكرويين.

ويقوم الجسمان النصف كرويين للمخ بوظيفتين مختلفتين، ففي حالة الشخص الأيمن ـ وهو من يستعمل يمناه عادةً - يكون النصف الكروي الأيسر للمخ هو المهيمن، وهذا يعني التحكم في التعبير الواعي واللغة والتحليل

والاستدلال الهندسي، الخ. أما النصف الكروي الأيمن للمخ، فيبدو أنه أشد ارتباطاً بمجموعة مختلفة من الوظائف التي يمكن التنبؤ بها بسهولة، وتشمل التعبير الناشئ عن الوعي الجزئي، والعمليات المدركة بالحدس أو البديهة الموسيقية والقدرات الفنية، بينما يتحدث النصف الكروي الأيسر بلغة الحقائق والأرقام، والنصف الكروي الأيمن بلغة الانطباعات الرمزية، ومن هنا نجد التضاد في عمل النصفين.

إن العواطف والمشاعر أحاسيس، وهي أساس كل الأحداث العقلية، وفي الحقيقة نحن نستخدم كلمة «إحساس» لوصف عاطفة معينة؛ فهل الإحساس غير نتاج الحواس؟!.

وإذا كنّا الآن في معرض تفسير دقيق لذلك، فلا يمكننا اعتبار العاطفة حاسة، كما أنه ليس هناك عضو في الجسم ينتج معلومات عاطفية، مع العلم أن المشاعر أشياء تحدث في العقل، ومع هذا فلا نعرف حدود الدقة في التعابير التي يجب الالتزام بها[1].

وإذا كان هناك حاسة سادسة فالعاطفة هي الحاسة السادسة.

الأحداث العقلية:

الأحداث العقلية تتحدى تفكيرنا العقلاني العقلائي عن الكون، وذلك التفكير الذي يقول إن الزمن يتدفق من الماضي إلى المستقبل، وليست هناك وسيلة لاستعادة لحظات مضت، أو استباق لحظات قادمة، وكل ما لدينا هو تتابع الحاضر، واحداً بعد الآخر، كالماء الذي ينساب من الصنبور.

ومع ذلك؛ فبرغم المستحيلات، فالإدراك السبقي يحدث فعلاً، وكذلك الحال بالنسبة للأشباح، وليست هناك فائدة من وراء الصراخ الجنوني أو

---

(١) الحاسّة السادسة والقدرات الخارقة الكامنة: ١٠٤.

الهروب، فالتناقضات المثيرة للصدمة النفسية تخفي الحقيقة في الغالب، ولا تحقق العدالة لضحايا الظواهر الغريبة، أو لأنفسنا، والسبب في ذلك أننا نملك قدرات تمكننا من فهم هذا كله.

ولعله من المفيد هنا أن نستعرض شيئاً مما جمعه الأستاذ كريم الشيخ إسماعيل فيما يخص الروحانية وحاسة الحدس لها وفق الآراء العلمية لبعض العلماء المشهورين، والمكتشفين أمثال أديسون وأنشتاين وغيرهم، حيث يقول:

لم يخامرني أدنى شك في حقيقة نظرية الخلود، لقد غدوت أؤمن إيماناً تاماً بأن الإنسان حين يموت سوف يلتقي بأحبابه الذين سبقوه وسيتعرَف إليهم وسيعيد الصلة بهم بحيث لا يفترق عنهم بعد ذلك أبداً.

إني أؤمن في أن شخصية الإنسان سوف تظلَ باقية في عالم أعظم وأرحب، وفي حياة ليس فيها الآلام أو الأحزان التي نعرفها في حياتنا الجسدية في هذا العالم، وأنا آمل بأن يكون في العالم الآخر لون من الكفاح لأن الكفاح ضروري ومفيد ولابد أنه سيكون هناك نوع من التطور والارتقاء لأن أي لون من ألوان الحياة بدون جهد روحي للارتقاء لا يمكن أن يحتمل.

قرأت منذ أعوام خلت عبارة لأحد العلماء إذ قال في عناد وإصرار: «إن الموت يطفئ حياة الإنسان كما تطفئ الريح لهيب الشمعة» ولم يعترض أحد عليه لأن العلوم المادية (مودة) ذلك العصر، أما الآن فإنه سيطالب ولا شك لكي يثبت بالدليل أقواله، فمن أين يعرف أن ليس هناك حياة أخرى؟ إنه لا يعرف الحقيقة قطعاً ولا يستطيع أن يثبت أنه يعرف. إننا نؤمن بالخلود لا لأن في مقدورنا إثباته، وإنما لأننا نحاول إثباته ولأننا لا نستطيع إلاَ أن نؤمن به، والواقع أن الشعور الغريزي بوجود عالم آخر بعد الموت هو من أقوى الأدلة على هذا الوجود أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يقنع البشر بأمر ما، فإنه يغرس فكرة الاقتناع به في غرائزهم، وإن الشوق إلى خلود الحياة ولو في عالم

آخر إحساس شائع في نفوس البشر بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف عام، وإن ما نهفو إليه بقوة وما نحس به في أعماقنا لابدّ أن يكون انعكاسياً لقاعدة أساسية في الوجود البشري.

إن مثل هذه الحقائق العظمى لا نؤمن بها عن طريق الدليل والإثبات المادي، وإنما عن طريق العقيدة والإلهام والمشاعر النفسية، وإن الإلهام في ذاته عامل مهم في الفهم العلمي للحقيقة، والعلماء (كما قال برجسون) عندما يصلون إلى نهاية علمية تحتاج إلى إثبات، إذا هم في ومضة إلهام يصلون إلى الحقيقة، وإن الأبحاث العلمية تؤيد إيماننا بوجود الإلهام والعقيدة، وآراء الماديين عن العالم في طريقها إلى الزوال وهذا (سير جيمس جيانز) يقول: «إن العالم كله في حالة انتقاض» ويقول "أنشتاين": «إن المادة والطاقة متعاقبتان ولكنهما من أصل واحد» وقد لوحظ أخيراً أن العلماء النظريين بدأوا يعترفون بوجود هذا الشيء الروحي العميق الكامن في أصل الحياة.

تحدثت يوماً مع (مسز توماس أديسون) عن آراء زوجها العبقري فيما بعد الحياة فعلمت منها أن المخترع المشهور كان يؤمن أشد الإيمان بأن الروح ذات خاصة تفترق عن الجسم عند الموت، ولما أشرف أديسون على الموت لاحظ طبيبه أنه يحاول أن يقول شيئاً، فانحنى عليه وسمعه يقول في وضوح وبأنفاسه الأخيرة: «يا لجمال ما أرى هناك».

إن التجارب التي سجلت عن رجال ونساء أثناء احتضارهم أو بمعنى آخر أثناء انتقالهم إلى (وادي الظلال) تشير كلها إلى أن في الآخرة حياة وجمالاً، ولكن المرض بطبيعة الحال لا يخلو في أحيان كثيرة من الألم وكذلك الطريق الإنساني نحو الموت العضوي قد يكون شاقاً عسيراً ولكن لحظة الموت نفسها كما وصفها طبيب كبير: «تغمر المحتضر بموجات من الراحة والسلام».

قالت لي ممرضة شاهدت كثيراً من حالات الوفيات: «لقد رأيت عدداً كبيراً من المرضى في لحظة الموت يعبَرون بملامحهم عن مشاهدتهم لشيء جميل، وتحدَث كثير منهم عن ضوء عجيب وموسيقى رائعة. وقال بعضهم: أنهم يرون وجوه أشخاص يعرفونهم وكانت نظراتهم في أحيان كثيرة تنم عن رؤيتهم لأشياء رائعة ومذهلة» وكنت بنفسي جالساً إلى صديق في لحظة وفاته وفيما كان جناح الموت يرفرف عليه سمعته يقول فجأة لابنه الجالس بجانبي:

«جيم.. إني أرى بنايات جميلة وفي إحداها نور وهذا النور يضاء من أجلي إن المنظر رائع الجمال..» ثم مات؛ وقال ابنه: «كان أبي من أساتذة العلم ولم يسبق له في أثناء عمله أن أعلن عن شيء قبل أن يثبته بالدليل الحاسم» ومثل هذه العادة التي تأصلت على مرّ السنين لا يمكن أن تتغير في لحظة ولهذا لا أشك في أنه حدّثنا بما شاهده حقاً.

وقال الدكتور "ليسلي ويثرهيد" الإنجليزي، عندما جلس ذات مرة على فراش مريض يحتضر وأمسك بيده: «ويبدوا أني أمسكت يده بقوة لأنه قال لي لا تجرني فإن الطريق الذي أسير فيه يبدو جميلاً رائعاً».

وتحدث الدكتور "ويثرهيد" أيضاً عن الطبيب المشهور "ويليام هنتر" الذي قال وهو في لحظة الوفاة: «لو كانت لدي القوة الكافية لأمسك القلم لكتبت أقول أنه ليس هناك أسهل ولا أبهج من لحظة الموت».

والواضح أن إرادة الله من الموت هي الحياة، وأن آيات الكتب المقدسة لتبشر بالحياة وليس بالموت، أنها تخبرنا بأن ما يبدو لنا بأنه موت ليس في الواقع إلاّ انتقالاً إلى الحياة الحقيقية الخالدة.

ويقول العلماء أننا جميعاً نعلن عن أدق أسرارنا بخلجات من الجسم أو اضطراب في الصوت أو انتفاضة من اليد أو تقلصات في الوجه أو اختلاف في

النظرة، والعين البصيرة النفاذة التي لا تغفل عن أية حركة مهما صغرت تستطيع أن تفهم الكثير مما يتكشف أمامها.

فإذا أنت دربت عينيك وأذنيك على ترجمة تلك الحركات، فسرعان ما تصبح قارئ أفكار ماهر وتستطيع أن تكشف عن الأفكار المطوية والآمال الخفية، ولكي تروض نفسك على مطالعة الأفكار وقراءتها عليك أن تكون قوي الملاحظة يقظاً ملتفتاً إلى كل الإشارات الصغيرة التي تصدر من الإنسان، ثم تضع هذه إلى جانب تلك متبعاً فن "شرلوك هولمز" حيث أن المنوّمين المغناطيسيين والسحرة الذين يظهرون على المسارح قد استطاعوا في خلال سنوات عديدة أن يستغلوا ما يصدر عمّن حولهم من إشارات وحركات جثمانية، واستطاعوا أن يجدوا أشياء أخفيت عن الأنظار في أي مكان في المسرح وأحياناً في أي مكان في المدينة، وذلك عن طريق قوة ملاحظتهم لتقلصات الوجه أو حركات الأعين من أشخاص يعرفون أين أخفيت هذه الأشياء.

وبهذه الطريقة نفسها تستطيع أن تلقي نظرة إلى أعماق القلوب، والمبدأ الأساسي هو إن كل حافز نفسي تصحبه دائماً بعض التغيرات الجثمانية، والغرض من هذا التغيير الجثماني هو تمكينك من أن تصبح مستعداً للعمل، فأنت إذا فكرت في العدد مثلاً تحفز جسمك دون شعور منك للقيام به وحدث تغيير كيميائي في الدم أو ازداد خفقان قلبك، وأسرع نبضك وتصلبت عضلاتك.

قال أحد العلماء النفسانيين في نيويورك إنّ كل هذه العلامات هي جزء من لغة خاصة، إنها لغة الإشارة ولها منطقها الخفي وكل من يتعلم كيف يترجم هذه الرموز يستطيع أن يفهم في وضوح ما يفكر فيه الآخرون[1].

---

(١) خوارق الإدراك لما وراء الحس: ١٧٥ - ١٧٧.

أكثر الحركات شيوعاً:

حركات العيون:

إننا ننظر عادة قبل أن نتكلم، ولغة العيون هي أكثر اللغات شيوعاً، ومن الأمور الطبيعية أن يشيح الإنسان بوجهه عما يخيف أو لا يسرّ، والإنسان الذي أخفى شيئاً تتجه نظراته بشكل لا شعوري إلى حيث أخفى ذلك الشيء، والإنسان الذي ارتكب ذنباً بيديه تراه ينظر إليهما الحين بعد الحين كأنما يريد أن يتأكد بأن ليس على يديه ما يشير إلى ذلك الذنب.

اتجاه الحركة:

كل حركات الجسم تتجه نحو الشيء المرغوب وبعيداً عن الشيء المكروه، وفينا جميعاً شعور خفي أن نلمس ما نريد وإن كان حسن السلوك يحتم علينا كبح هذا الشعور فإن عضلات الجسم التي لا تتقيد بآداب السلوك تتقلص نحو الذي نرغبه.

الحركة الثائرة الغاضبة:

إن الحركات غير المنتظمة دليل على توتر الأعصاب، وكثيراً ما تكون هذه الحركات في صورة قلق، أو دق على الطاولة، أو المكتب، أو نفث الدخان في صورة متوترة، أو السير جيئة وذهاباً كل هذه الحركات هي في الحقيقة بديل من شيء يود الشخص أن يعمله كأن يتحدث أو يضرب أو يهرب وفيها دلالة على الرغبة في التخلص من نوع من الضغط.

الاختلاجات:

حين ترى إنساناً بدأ جسمه ينتفض، فاعلم أنه مشدود من الجانبين في وقت واحد، والنساء عادة ينتفضن في المرحلة الأولى من المغامرة الغرامية، وهذا الانتفاض دليل على صراع بين الرغبة والخوف من العواقب، أما الرجال فينتفضون نتيجة لكبت غضبهم والانتفاض دليل على وجود حافز قوي يصارع كبتاً في مثل قوته.

التردد في الكلام:

إن الإنسان الذي يكون لديه ما يود إخفاءه عنك تجده مرتبك لأنه حتى في الحديث العادي يقطع تتابع حديثه بين حين وآخر، وفي الحالات التي تكون مدة الإخفاء قد طالت أكثر من الحد المعقول أو أن الخوف من افتضاح ذلك الأمر يكون قوياً فإنه قد يتلعثم، والرجل المتدرب يعلم أن الاضطراب في الحديث يتضمن دائماً نوع من أنواع الخوف.

النسيان:

لقد دلت الأبحاث العلمية على أن في النسيان دائماً دلالة على رغبة خفية، رغبة في نسيان أمر مؤلم أو غير سار، فقلّما ينسى الناس النقود التي لهم عند الآخرين، وقد ينسى الرجل المواعيد العادية كموعده مع طبيب الأسنان مثلاً ولكنه لن ينسى موعده مع فتاة يجب أن يراها.

سقطات اللسان:

قد تخرج من الإنسان كلمات أو مقاطع كلمات هي بلا ريب دليل على رغبات الإنسان الحقيقية. وفي كثير من الأحيان تكون هذه السقطات مدعاة للتفكه.

والظاهر بطبيعة الحال أنه لا يمكن بالطرق المحددة ترجمة حركات العضلات أو الأحاديث للناس جميعاً، فإن القلب يتحدث بعدّة لغات ولابدّ من مراعاة بعض الظروف الخاصة الطارئة فقد تكون حالة الجو باعثة على الانتفاض، وقد يحدث أن يتلعثم إنسان في حديثه أو يتوقف نهائياً حين تجول بخاطره فكرة مؤلمة، والأمر يحتاج إلى تدرب وحذق ليستطيع المرء أن يترجم خواطر الناس وما يجيش في قلوبهم، والإنسان المتدرب يصبح بغير حاجة إلى قواعد يرجع إليها ويستنبئها[1].

نذكر هنا نموذجاً من النظريات التي اجتهد أصحابها في وصف الخلق وطبيعته منها:

نظرية الجسيمات: Particulate theories

يعتبر القرن التاسع عشر البداية الحقيقية لعلم الحياة، فقد اقتنع علماؤه أن عملية التوازن في الكائنات لابد أن تتحكم فيها وحدات خاصة أو أجسام صغيرة كل يختص بصفة من صفات الكائن ويكون مسؤولاً عن نقلها من الآباء إلى الأبناء خلال عملية التزاوج الجنسي، وقد اقترح العالم البريطاني الشهير (شارلز دارون Darwin) مع بداية القرن التاسع عشر نظرية لتفسير ظواهر التوارث في الكائنات المختلفة، هذه النظرية تختلف عن النظرية التي اشتهر بها وهي نظرية منشأ الأنواع التي أعلنها سنة ١٨٥٩م. وقد أطلق "دارون" على نظريته للتوارث اسم «التكوين الشامل Pangenesis» وكان في ذلك الوقت يعتقد بصحة توارث الصفات المكتسبة «Acquired characters» متأثراً بآراء عالم التطور الفرنسي لي مارك"La mark".

---

(١) خوارق الإدراك لما وراء الحس: ١٧٩ - ١٨٢.

ونظرية التكوين الشامل تفترض وجود جسيمات تحدد كل صفة بعينها والتي أطلق عليها اسم «Gemmules» هذه الجسيمات تتجمع من كافة أعضاء الجسم في الدم والذي ينقلها إلى الخلايا التناسلية للفرد، وعند التزاوج تتحد الجسيمات الذكرية مع تلك الأنثوية حيث تمتزج (Blend) مع بعضها لتعطي صفات الجنين.

في حين عارض هذه النظرية العالم "وايزمان Weismann" الذي أثبت عدم صحة توارث الصفات المكتسبة، ونادى بنظرية جديدة هي نظرية «النسيج الجنسي Theory of germplasn» لتفسير عملية التوارث[1].

نظريات سبق التكوين: Preformation theories

تبنّى الفنان والمفكر الإيطالي الشهير "ليوناردو دافنشي" في القرن الثالث عشر مفهوم جديد لتفسير التوارث في الكائنات، أكد فيها الدور الإيجابي الذي يلعبه كل من الأب والأم في تحديد صفات الجنين. وقد تأكد هذا الدور بعد اكتشاف الأمشاج الذكرية والأمشاج الأنثوية في النبات بواسطة العالم الألماني (كوليرتور Kolreutor) في نهاية القرن السادس عشر. ومع ظهور الميكروسكوب، قام العديد من الباحثين بفحص الحيوانات المنوية والبويضات، وكان الاعتقاد بأن الأجنة تامة التكوين داخل هذه الخلايا الجنسية قبل الإخصاب، فقد اعتقد العالم الهولندي (سوامردوم Swammerdum) في أوائل القرن الثامن عشر أن الحيوانات المنوية تحتوي على جنين مصغر تام التكوين أطلق عليه اسم Homunculas.

هذه الأفكار والمعتقدات ظلت سائدة إلى فترة من الزمن حتى أكد العالم الألماني (وولف Wolff) عدم صحة هذه المعتقدات[1].

---

(١) الوراثة وأمراض الإنسان: ٤.

نظرية دارون والعلوم التجريبيّة:

وبعد كل ما ذكرنا بخصوص تطوّر الخلقة وكل ما أثبته العلم الحديث من صحة ما جاء في الكتاب الكريم وسنة أهل البيتﷺ لابد من الإشارة هنا إلى وهن النظريات الأخرى، التي خالفت الأصل لأغراض التمويه أو التستّر على الأهداف المبتغاة من وراء تلك النظريات، وإن كانت نتيجتها إضلال الناس والخيانة العلمية.

وكأن صاحب نظرية التطور المعروف بدارون لم يقرأ القرآن يوماً ولو على سبيل الإطلاع، أو لم يسمع بأهل البيتﷺ ومكانتهم الدينية والعلمية وما أسبغوا على البشرية جميعاً من العلوم والمعرفة بما لا يحيد عنه العلم والتطور إلاّ نظرية التطور الداروينية التي خالفت كل العلوم لا من أجل التطور وإنما لأجل أيديولوجيات مريضة مزيفة تتلائم وما تريده نفوسهم وأهواءهم، وتشجيعاً للمجتمعات على الانحلال والتسيب في ظل قوانين بعيدة عن القيود التي تمنع الجريمة وتحدد عوامل الاستغلال والعنصرية والتسلط.

الداروينية غازلت الماركسية ورقصت معها على أنغام أن لا خالق للكون، ولا حاجة هنالك للاعتقاد بذلك، لأن عكس ذلك يزيف فلسفتهم ويحبط كل آمالهم المنسوجة من أفكار المادية والعنصرية والفاشية، مما حدا بماركس أن يكون من أكبر المعجبين بدارون، وأكثر إطراءً له بعدما أهداه نسخة من كتاب "رأس المال".

وهل علم دارون أين أصبحت الماركسية وأفكارها؟ وماذا طرأ عليها بعد أن عرف الناس زيفها وضلالها بعد تطور أساليب التجربة الحديثة التي

---

(١) الوراثة وأمراض الإنسان: ٢.

أتت على النظرية الدارونية وأثبتت خسرانها هي الأخرى وبعدها عن الحقيقة؟!

تدّعي الداروينية وجود تطور تدريجي بين أنواع النباتات والحيوانات، وقد أثبت علم الجيولوجيا في سجل المتحجرات الظهور الفجائي للأنواع ودون أن يكون هناك أي تطور معروف تدريجي ومستمر، مع العلم أن تلك المتحجرات غنية بدلالاتها وإشاراتها إلى ذلك، وقد سبق أن قال تعالى: ﴿*إني جاعل في الأرض خليفة*﴾[1] وهل الجعل هنا إلاّ الظهور الفجائي للإنسان؟!

فقد أورد العالم الأمريكي البروفسور (دوان ت. كيش) وهو من علماء التطور معلقاً:

«شيء لا يصدق!! تطوّر لمئة مليون سنة، ثم لا نجد أي متحجرة من الأشكال الانتقالية!.. ومهما كانت كل هذه الفرضيات موضوعة بمهارة وحذق ـ يقصد نظريات التطور التدريجي - فإنها لا تستطيع أن تفسّر مثل هذه الفجوة الهائلة على أساس من نظرية التطور»[2].

وكذا ما أورده العالم (Errol white) وهو أحد المختصين بعلوم الأسماك قال:

«مهما كانت الأفكار التي يحملها الأخصائيون حول الموضوع، فإن أصل الأسماك الرئوية - مثلها في ذلك مثل سائر المجاميع الكبيرة للأسماك التي أعرفها - يستند على لا شيء»، ثم أردف قائلاً: «نحن لا نزال نجهل آليات التطور على الرغم من التصريحات الواثقة جداً والصادرة من قبل بعض الأشخاص. كما لا أشك بأننا لا نستطيع تسجيل أي تقدم بالقفز والوثب هنا وهناك وإطلاق صرخات (دارون إله، ونحن أنبياؤه بمعنى من

---

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) تهافت نظرية دارون في التطور: ٢٠.

المعاني) إن من أمثال دين(Dean) وهانشالوود(Henshel wood) من الباحثين الجدد أشاروا إلى التصدعات التي بدأت في جدران نظرية التطور التي كانت تبدو متينة»[١].

أما بالنسبة إلى النباتات فيقول العالم التطوري (E.J.Corner) البروفسور في قسم النباتات:

«ولكني لا أزال أعتقد وبشكل حيادي أن سجل المتحجرات للنباتات هو في صالح فكرة الخلق الخاص»[٢]، ونستطيع هنا أن نأتي بالمزيد من أقوال علماء الطبيعة التي تثبت فشل نظرية دارون، وتثبت أيضاً الخيانة العلمية للكثير من علماء التطور في تزييف الحقائق وتضليل المجتمع العلمي والإنساني لا لشيء إلاّ لنصرة أيديولوجياتهم بتأييد نظرية التطور لدارون، وقد تحدّى الله تعالى كل العلماء وكافة العلوم من أن يضللوا الناس ويحيدوا عن الحقيقة، وأظهر لهم الكثير من المعجزات في ميادين الحياة بما لا يحقق لهم أي مكسب، ويثبت التحدي الإلهي بكونه الخالق البارئ المصوّر ﴿*فأروني ماذا خلق الذين من دونه*﴾[٣] وهذا التحدي ما نراه في خلق الإنسان وأطوار نموه داخل رحم الأم وغرائب مافي ذلك من طبيعة النشوء والتغذية وبث الروح فيه وخروجه بعد الولادة كاملاً ليثبت أن الخالق هو الله وحده.

---

(١) تهافت نظرية دارون في التطور: ٢١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٩.

(٣) سورة لقمان: ١١.

الفصل الرابع

الروح

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا﴾

- ما هي الروح
- لماذا لا نعرف ماهية الروح
- التآلف والتنافر الروحي
- النوم وغياب الروح
- النوم موت أصغر
- فسيولوجية النوم
- الظواهر الغير طبيعية أو المرضية المصاحبة للنوم
  - البكم أو الصمات اللاحركي
  - المشي أثناء النوم
  - النوم الغالب (فرط النوم)
  - شلل النوم
  - هلاوس النوم
- الرؤى تفسير العلماء
- أثر الروح في صدق الرؤيا
- الروح ما بين الموت والمنام
- تفسير الأحلام علمياً

الروح

ما هي الروح؟:

حينما أتمّ الله تعالى مراحل خلق الإنسان وجعله في أحسن تقويم بعدما أنشأه من تراب ثم جعله نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم جعل له العظام التي أعطته هيكلا يعينه على الاستقامة والنهوض بأعباء مسؤولياته وكساها بما يغطيها من اللحم، حكمةً منه تعالى، فإلى هذا الحد أصبح الإنسان خلقاً معيناً مكتملاً ومستعداً لمباشرة مهامه في إنطلاقة أولى نحو الحياة تنقله نقلة نوعية من خلق إلى خلق ومن شيء إلى شيء آخر، ومن سكون إلى حركة، وكل ذلك كان بدافع من الله تعالى وهو يمنحه تاج خلافته على الأرض ويبث فيه من روحه محركاً يبعث في أجزائه وخلاياه الحيوية والنشاط والحركة، ويجعل منه خلقاً آخر يروح ويجيىء يختار ويميز يفكر ويتكلم ويحس بما حوله ليتفاعل معه بكل ما أوتي من قوة، وصدق الله تعالى حينما قال: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ حينما بعث فيه الروح لتدفع به نحو الحياة يملأها قسطاً وعدلاً، وهو حاملٌ أمانته تعالى والتي أبى أن يحملها غيره من المخلوقات لما ميّزه عن غيره بالحرية والعقل والاختيار.

فما كنه ذلك المحرك؟ أو ما هي تلك الروح وما كنهها؟ سؤال اختلف في الإجابة عنه العلماء والمفسرون والحكماء والفلاسفة، فمنهم من قال: «إن الروح الذي سألوه هو الذي به قوام الجسد على قول ابن عباس، ومنهم من قال: هو جبرئيل ﷺ، ومنهم من قال: هو الأمر الذي يعلمه ربي ولم يطلع عليه أحداً».

واختلفوا في ماهية الروح، فعن المرتضى رحمه الله قال: «إنه جسم رقيق هوائي متردد في مخارق الحيوان». وعن الشيخ المفيد رحمه الله: «هو الحياة التي يتهيأ بها المحل لوجود العلم والقدرة والاختيار. ومنهم من قال: «إن الله خلق الروح من ستة أشياء: من جوهر النور والطيب، والبقاء، والحياة، والعلم، والعلوّ» إلى غير ذلك من الآراء التي تعبّر عن مستوى تفكيرهم وما يحملوه من علم محدود[١].

أما ما قاله أئمة أهل البيت عليهم السلام:

فعن الإمام الصادق عليه السلام وهو يجيب زرارة في سؤاله عن قول الله عز وجل: ﴿*يسألونك عن الروح..*﴾ قال عليه السلام: هي «خلق من خلق الله، والله يزيد في الخلق ما يشاء»[٢]، وحينما سئل عليه السلام عن قوله تعالى: [ونفخت فيه من روحي] كيف هذا النفخ؟ فقال: «إن الروح متحرك كالريح، وإنما سمي روحاً لأنه اشتق اسمه من الريح، وإنما أخرجه على لفظة الريح لأن الروح مجانس للريح وإنّما أضافه إلى نفسه لأنه اصطفاه على سائر الأرواح، كما اصطفى بيتاً من البيوت فقال: بيتي، وقال لرسول من الرسل: خليلي، وأشباه ذلك. وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبّر»[٣].

ولا بأس هنا من ذكر ما قاله بعض العلماء في شأن الروح وماهيتها فقالوا:

الروح لطيفة لاهوتية في صفة ناسوتية، دالة من عشرة أوجه على وحدانية ربانية؛ ويعدد العلماء الأوجه العشرة كالتالي:

١ ـ لما حرّكت الهيكل ودبّرته علمنا أنه لابد للعالم من محرّك ومدبّر.

---

(١) تفسير العياشي: ٣١٦/٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢/٥٨.

(٣) بحار الأنوار: ٢٨/٥٨ عن معاني الأخبار: ١٧.

٢ ـ دلّت وحدتها على وحدته.

٣ ـ دلّ تحريكها للجسد على قدرته.

٤ ـ دلّ إطلاعها على ما في الجسد على علمه.

٥ ـ دلّ استواؤها إلى الأعضاء على استوائه إلى خلقه.

٦ ـ دلّ تقدّمها عليه وبقاؤها بعده على أزله وأبده.

٧ ـ دلّ عدم العلم بكيفيتها على عدم الإحاطة به.

٨ ـ دلّ عدم العلم بمحلّها من الجسد على عدم أينيته.

٩ ـ دلّ عدم مسّها على امتناع مسّه.

١٠ ـ دلّ عدم إبصارها على استحالة رؤيته[١].

ولا يعد أن كل ما تقدم من أقوال العلماء والمفسرين ما هي إلاّ نتاج أفكارهم وتجاربهم في هذا الميدان، فهل توصلوا إلى الإجابة الحقيقية المقنعة عن السؤال المتقدم: فما هي الروح وما هو كنهها؟ أم أن الجواب الحكيم هو ما قاله الله تعالى: ﴿*قل الروح من أمر ربّي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا*﴾؟

لماذا لا نعرف ماهية الروح؟

بعد التحقيق والتدقيق الذي يتعب البصر، ويسئم القلب، ويحير العقل، وبالنظر إلى الدقائق التي يغطيها الإبهام والغموض؛ وجدنا أنفسنا ـ وكل من حاول وأجهد نفسه في هذا المضمار ـ عاجزين تماماً عن التوصل إلى حقيقة الشيء الذي لا يمكن تصور تركيبة معينة له، لأنه غير مُدرك، ذلك هو الدماغ البشري الذي هو الآخر لا يفيد بإجابة كافية ووافية حول ماهيّة الروح .

ومثل هذا مشهود في عالم الكمبيوتر، فعندما تعطيه أمراً هو خارج نطاق نظامه وبرامجه، فسيكون جوابه لا شيء؛ لأن هذا الجهاز البسيط لا يعطيك

---

(١) بحار الأنوار: ٥٨/٩٩ ـ ١٠٠.

جواباً إلاّ بحسب المعلومات التي عبئ بها، والأمر كذلك بالنسبة لبني البشر؛ فعلمهم سواء فيما يتعلق بماهية الروح، فحينما يسأل الإنسان ما هي الروح؟ وكيف تدور وتتحرك في هذا الصلصال؟ يقف هذا الإنسان مندهشاً لا يجد جواباً حول شيء هو خارج قدراته العقلية، فهو سرّ من أسرار ربّ العالمين لا يعلمه إلاّ هو؛ إذ قال تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً**﴾[1].

وقد جاء في بعض التفاسير أن اليهود قالت لقريش: سلوا محمداً عن الروح، فإن أجابكم فليس بنبي، وإن لم يجبكم فهو نبيّ، فإنا نجد في كتبنا ذلك؛ فأمره الله سبحانه بالعدول عن جوابهم، وأن يكلمهم في معرفة الروح على ما في عقولهم، ليكون ذلك علماً على صدقه ودلالة لنبوّته.

«وقوله تعالى ﴿**وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً**﴾ قيل: هو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وغيره؛ إذ لم يبين له الروح، ومعناه: وما أوتيتم من العلم المنصوص عليه إلاّ قليلاً، أي شيئاً يسيراً؛ لأن غير المنصوص عليه أكثر، فإن معلومات الله تعالى لا نهاية لها. وقيل: خطاب لليهود الذين سألوه، فقالت له اليهود عند ذلك: كيف وقد أعطانا الله التوراة؟ فقال: التوراة في علم الله قليل»[2].

وهنالك جملة من الأسئلة التي تطرح في كافة أقسام العلوم الطبية والنفسية والفيزيائية والكيميائية والكهربائية فيما يخص خصائص الروح، وهي كما يلي:

١ ـ هل للروح وزن؟

٢ ـ هل للروح تركيبة ذات لون، أم هي عديمة اللون؟

٣ ـ هل هناك تأثير كهربائي بعيد عن المادية المرئية؟

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥

(٢) بحار الأنوار: ٣/٥٨ عن مجمع البيان: ٤٣٨/٦.

٤ـ هل هناك توازن عبر تفاعل كيماوي دقيق، مع وجود عامل مساعد يهيئ هذا التفاعل، وعند الموت ينتهي وينعدم التفاعل؟

٥ـ ألا يمكن أن نعتبر الروح عبارة عن مجموعة وظائف عضوية تقوم بها الأعضاء بتناسق وتبادل منتظم ضمن نظام ثابت، أم نعتبر التواصل وتبادل المنفعة بين الأعضاء هو العامل المهيأ لهذا التركيب غير المعروف، والذي لن يُعرف أبداً؟

والجواب على ذلك هو أننا وبحكم عقولنا البسيطة التي لم تحمل من العلم إلاّ القليل وعلى الرغم من أن هذا القليل ليس بمقدور أي إنسان أن يمتلكه؛ من حيث أنه يعتمد ويقوم على العقيدة والرغبة في تعلّم القليل، إنما تهول وتعظم في أعيننا الاكتشافات والاختراعات في ميادين العلوم المختلفة، وإن هي إلاّ أقل من القليل بالنسبة لعلم الله تبارك وتعالى: ﴿*وما أوتيتم من العلم إلا قليلا*﴾.

وعلى الرغم مما توصّل إليه الإنسان المعاصر، فإن تحقق العلم بماهية الروح أمرٌ متعذّر بل مستحيل، وإنما وجه الاستحالة من حيث انتفاء القدرة المطلقة لدى الإنسان المحدود، مهما بلغ في مدارج العلوم من رقي على تفسير ذلك أو إدراكه بما لديه من عقل لا يؤهله إلاّ لعلم محدود. من هنا نجد أن الله تعالى مكّن الإنسان من أمور تساعده على تدبير معيشته، وتحصيل أسباب نجاته في دنياه وآخرته، وتعتبر آية له ليتعظ ويشكر البارئ عليها، كما جعل الله سبحانه - في الوقت ذاته - أموراً بحكم المستحيل، هي خارج حدود قدرات وطاقات الإنسان العقلية والحسية؛ وذلك ليستشعر هذا الإنسان بأنه عبدٌ مخلوق وعاجز، ومقر بوجود قدرة إلهية مطلقة لا تنفد أبداً، وهي منبع كل هذا الكون وما فيه[١].

---

(١) الحاسّة السادسة والطاقة النفسيّة: ٥٩.

التآلف والتنافر الروحي:

في بعض الأحيان نلاحظ أننا نتقبل أناساً معيّنين نرتاح لهم بغضّ النظر عن مزاياهم الباطنية، وما يحملون في ثنايا حياتهم من العمل الصالح أو الطالح، بل منذ الوهلة الأولى للتعارف نجد أنفسنا متآلفين معهم ومنسجمين تمام الانسجام، وكأن العلاقة التي بيننا كانت موجودة قبل سنين، حيث نلحظ المزحة وروح الدعابة تنشأ بيننا عفوياً وكأنها حصلت منذ فترة طويلة.

هذا النوع من الألفة والانسجام حيّر عقول العلماء النفسانيين وأدهش الأطباء بمختلف اتجاهاتهم ومذاهبهم؛ حتى بدوا مختلفين في الآراء والأفكار إزاء هذه القضية، كما أن التحاليل العلمية والآراء النظرية لم تُزل الغموض أو الغشاوة التي تحيط الأمر من كل جهة؛ وأضحى البحث مهما أعملنا الفكر فيه وسيلة عقيمة لا تجدي شيئاً يرضي الخاطر وينفع المرام في هذا المقام.

وذات الشيء يعرض عندما تقع النفرة ويحصل الصدود في أول العلاقة بين شخصين؛ حيث تنعدم عوامل الشّد والجذب بينهما، حتى يصير التنائي دون التلاقي بينهما أدعى للراحة وأجلب للرضا لدى الطرفين، فما هو سبب ذلك يا ترى؟[1].

الجواب يقرره أئمة الهدى الميامين وأهل بيت النبوة عليهم السلام فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «الأرواح جنود مجنّدة فتشامّ كما تشامُ الخيل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[2].

---

(١) الحاسّة السادسة والطاقة النفسيّة: ٦٢.

(٢) بحار الأنوار: ٥٨/٦٤.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن الله خلقنا من علّيين وخلق أرواحنا من فوق ذلك، وخلق أرواح شيعتنا من علّيين وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحنّ إلينا»[١].

وعنه عليه السلام قال: قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: أنا والله لأحبك، فقال له: كذبت إن الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام فأسكنها الهواء ثم عرضها علينا أهل البيت، فوالله ما منها روح إلاّ وقد عرفنا بدنه، فوالله ما رأيتك فيها فأين كنت؟»[٢].

وفي حديث آخر مرفوع إلى بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام - وهو يقول لعبد الله بن ملجم (لعنه الله) -:

«إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فأسكنها الهواء، فما تعارف منها هنالك ائتلف في الدنيا، وما تناكر منها هناك اختلف في الدنيا، وإن روحي لا تعرف روحك»[٣].

وورد عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قوله: إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلّة قبل الميلاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[٤].

وبناءاً على ما سبق من الأحاديث المروية عن أئمة الهدى عليهم السلام أن الأرواح قد تقدمت في مبدأ تكوينها على الأجساد، وأنها خلقت أول خلقها على صنفين، من ائتلاف واختلاف، فهذه الأجساد التي تحمل الأرواح تلتقي في الحياة الدنيا، فتأتلف وتختلف، بحسب ما خلقت عليه؛ ولذا ترى الصالح

---

(١) بحار الأنوار: ٥٨/٤٤ عن الكافي: ١/٣٨٩.

(٢) بحار الأنوار: ٥٨/١٣٦ عن البصائر: ٨٧.

(٣) بحار الأنوار: ٥٨/١٣٨ عن البصائر: ٨٨-٨٩.

(٤) بحار الأنوار: ٥٨/١٣٩ عن العلل: ١/١٠٦.

يميل إلى الصلحاء، كما ترى الطالح يميل إلى نظرائه ويحبهم. ومن هنا لا تفوتنا الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى قد ميّز بني آدم وخاصة المسلمين منهم بالتراحم والتقارب، كما أن هناك مادة روحية غير معروفة، يمنحها العلي القدير إلى المسلم المطيع الملتزم تجعله إلفاً مألوفاً لدى الناس، فهم يحبونه ويحترمونه وكأنهم يعرفونه منذ زمن طويل.

وفي حديث مسند عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة، وإن روح المؤمن لأشدّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»[1].

وفي حديث نقله حنان بن سدير،عن أبيه، قال: «قلت لأبي عبد الله: إني لألقى الرجل لم أره ولم يرني فيما مضى قبل يومه ذلك، فأحبه حباً شديداً، فإذا كلمته وجدته لي مثل ما أنا عليه له، ويخبرني أنه يجد لي مثل الذي أجد له. فقال: صدقت يا سدير، إن ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا وإن لم يظهروا التودد بألسنتهم كسرعة اختلاط قطر الماء على مياه الأنهار، وإن بعد ائتلاف قلوب الفجّار إذا التقوا وإن أظهروا التودّد بألسنتهم كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على مزود واحد»[2].

وفقي حديث عن رسول الله قال: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمّى»[3].

وهكذا فإن الاستقرار النفسي أو بتعبير آخر «الروحي» إنما يتأتى ويحصل لدى الإنسان من خلال سلوكيات معينة ورياضات روحية ونفسية،

---

(١) بحار الأنوار: ١٤٨/٥٨ عن الكافي: ٢/ ١٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ٥٨/ ١٥٠.

(٣) بحار الأنوار: ٥٨/ ١٥٠.

فنحن نعلم أن ذكر اسم الله وحده - مثلاً - لمن آمن به واتبع هداه هو حصنٌ لنفسه من وساوس الشيطان وأعمال السوء، ولابدّ أن يحصل له آنذاك الاستقرار الروحي التام والاطمئنان القلبي بسلامة الدين والدنيا.

ولو اتبع الإنسان خلاف ذلك الطريق، فسيؤول حاله حتماً إلى معاناة كثيرة وقلق نفسي واضطراب فكري يبعده عن جادة الصواب مما يسبب له انحرافاً خلقياً وعقائدياً، ويعرضه إلى أمراض نفسية وروحية ربما تؤدي به إلى الهاوية السحيقة والهلاك.

النوم وغياب الروح:

النوم لفظ عام يدخل ضمنه حالات كثيرة يمكن تصنيفها ضمن جنس النوم.

فهناك (النعاس) كما في قوله تعالى: ﴿*إذ يغشيكم النعاس أمنة منه*﴾[1] فهو النوم غير العميق الذي لا تعكر صفوه أحلام، بل غشاء يغشي الإنسان بالأمن والطمأنينة والهدوء ليستيقظ منه نشطاً ممتلئاً بالحيوية والصفاء الذهني والراحة الجسدية.

وهناك(السبات) كما في قوله تعالى: ﴿*وجعلنا نومكم سباتا*﴾[2] وهو ذلك النوم العميق الذي يقارب الغيبوبة حيث لا حركة للجسم، وعنده تهدأ الأنشطة المختلفة للعضلات وباقي أعضاء الجسد إلى أقصى حد.

وهناك (المنام) في قوله تعالى: ﴿*إذ يريكهم الله في منامك قليلاً*﴾[3] وفي قوله تعالى: ﴿*فلما بلغ معه السعي قال يا بنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا*

---

(١) سورة الأنفال: ١١.

(٢) سورة النبأ : ٩.

(٣) سورة الأنفال: ٤٣.

تـرىٰ﴾[١] وذلك هـو جزء من النوم أو حالة من النوم حيث الرؤى والأحلام وحيث ما يتوفى الله الأنفس فتستقبل الوحي أو الأمر أو الأحاديث وتتعامل النفس مع تلك المرئيات أثناء المنام بطريقة لا يعلمها إلاّ الله سبحانه وتعالى، ففي المنام يستطيع الإنسان أن يرى وأن يسمع وأن يشعر بـأمور وأشياء لا يدركها سواه وقد يكون لها مدلول سابق أو حاضر أو لاحق وقد لا يكـون لها أي مدلول في الواقع.

ثم هناك (الرقاد) حيث أطلق هذا اللفظ على حالتين أولاهما حال الفتية أصحاب الكهف والرقيم في قوله تعالى: ﴿***وتحسَبُهم أيقاظـاً وهـم رقـود ونقلّبـهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوَصيد***﴾[٢] فهم نـائمون على أرض الكهف يتقلبون على جنوبهم ذات اليمين وذات الشـمال طوال سنوات عديدة، وأما الثانية فهي وصف حالة البشر يوم البعث في قوله تعالى: ﴿***ونُفِخَ في الصور فـإذا هـم من الأجداث إلـىٰ ربّهم يَنسـلون * قـالوا يـا ويلنـا مـن بعثنـا مـن مرقدنـا***﴾[٣] فـالرقود في الحـالتين وصـف «لحالـة» الجسـد النـائم ووضعه الممدد على الأرض لفـترات طويلة جداً من الزمن.

بعد كل ما ذكرنا لا بد أن يستحضر القارئ الكريم سؤالاً جوابه في غاية الأهمية وهو: أيـن الـروح في ذلـك الجسـد المسجى والمنقطع تماماً عن العـالم الخارجي؟

ولنعرف الجـواب لابدّ أن نستقيه مـن منابعــه ونعـرج إلـى مدينـة العلـم فندخل مـن بابهـا ـ وكمـا قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «أنـا مدينة العلـم وعليّ بابهـا – ونرى ما ذكره لنا العلامة المجلسي قدس سره عن: «رجلٍ حسن الهيئة واللباس، فسلّم

---

(١) سورة الصافات: ١٠٢.

(٢) سورة الكهف: ١٨.

(٣) سورة يس: ٥١ و٥٢.

على أمير المؤمنين عليه السلام فردَ عليه السلام فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل، إن أخبرتني بهنَ علمتُ أنّ القوم ركبوا من أمرك ما أقضي عليهم أنهم ليسوا مأمونين في دنياهم ولا في آخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عما بدا لك. فقال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ الخبر » ـ إنما نكتفي بهذا السؤال لعلاقته بموضوع بحثنا ـ.

«فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام فقال: يا أبا محمد أجبه، فقال عليه السلام: أما ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه، فإن روحه متعلّقة[1] بالريح، والريح متعلّقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة فإن أذن الله عزَ وجل بردّ تلك الروح على صاحبها جذبت تلك الروح الريح، وجذبت تلك الريح الهواء، فرجعت الروح فاستكنت[2] في بدن صاحبها، فإن لم يأذن الله عز وجل بردّ تلك الروح على صاحبها، جذب الهواء الريح، فجذبت الريح الروح، فلم تردَ على صاحبها إلى وقت ما يبعث.» إلى آخر ما أجاب الإمام عليه السلام عن الأسئلة الثلاث، «فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلاّ الله، ولم أزل أشهد بها، أشهد أن محمداً عبده ورسوله[3] ولم أزل أشهد بذلك، وأشهد أنك وصيّ رسوله والقائم بحجته ـ وأشار إلى أمير المؤمنين عليه السلام ـ ولم أزل أشهد بها..»[4] الخ، وأخذ الرجل يشهد بمقام كل إمام من الأئمة الاثنا عشر حتى القائم عجل الله فرجه ثم قام الرجل ومضى، فقال الإمام عليه السلام: يا أبا محمد أتعرفه؟ قلت الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم، فقال: هو الخضر.

---

(١) في العلل (معلّقة) في الموضعين.

(٢) في العيون (فأسكنت) وفي الإحتجاج (فسكنت).

(٣) في العيون والإحتجاج (رسول الله).

(٤) بحار الأنوار: ٣٦/٥٨.

وصدق أهل بيت النبوة حيث قال تعالى: ﴿*اللّه يتوفّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها..*﴾[1].

وما نستنتجه من الحديث سوف نرى تفسيره ونثبت صحته حسب تجارب العلماء والمفكرين وما توصلت إليه العلوم الحديثة في ما يأتي من بحثنا هذا..

النوم موت أصغر:

والنوم حالة طبيعية تعتري كل إنسان أياً كان عمره، حالة تتوفى فيها النفس، فيحدث للجسد ما يحدث من ضعف الإحساس وغياب الإدراك وفقدان الشعور بالزمن، وفقدان الإرادة وما يرتبط بها من تصرفات.

والنائم يظل حياً بكل ما تحمل تلك الكلمة من معاني، فهو يتنفس ويتحرك، وقلبه وأمعاؤه وكبده وكليتاه وجهازه العصبي وكل خلاياه نشطة حية، تقوم جميعها بوظائفها على أكمل وجه؛ بل أن نمو الجسد يستمر كما في اليقظة تماماً، وربما يزيد عن ذلك.

لذلك كان القول بأن النوم هو «الموت الأصغر» ذا دلالات إيجابية وله أصله المقنع. فالله يتوفى نفس النائم ويتوفى نفس الميت، غير أن توفي المنام للإرسال وتوفي الموت للقبض.

والنائم يرى من الغيب ورموزه ودلالاته ما لا يدركه اليقظ وما لا تفسّره المادية والقدرات الفسيولوجية المعروفة وإنما يدل على قدرات الروح وهي في حالة التوفي في المنام، وكلها دلائل ونوافذ على عالم الغيب الذي لا يعلمه إلاّ الله سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) سورة الزمر: ٤٢.

كما أن النوم يفقد الإنسان الإحساس بالزمن، فالنائم ساعة كالنائم سنوات لا يدري حين يستيقظ كم قضى من الوقت نائماً، وقد قام أهل الكهف بعد نومهم ثلاثمائة سنة ﴿وازدادوا تسعاً﴾ ليستاءلوا بينهم ﴿...قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم...﴾[1] فلم يشعروا بمرور السنين، كل ما شعروا به أنهم جياع بصورة ملحة ولذلك ظنوا أنهم لبثوا ﴿يوماً أو بعض يوم﴾ ثم انظر إلى هذا الذي تعجب من أمر القرية الخاوية على عروشها ﴿...فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام﴾[2] فهذا ميت يبعثه الله بعد مائة عام فلا يدرك كم من الوقت مرّ عليه وهو ميت.

وهكذا يتشابه النوم والموت من وجوه؛ فالنوم دليل على الموت وإشارة إليه[3].

وهكذا يقضي كل إنسان فترة طويلة من حياته نائماً، ويرى ما يرى، وقد يتحقق بعض ما يراه، لا يشذّ عن ذلك أحد، فهي آية من آيات الله في خلقه، ولغز مبهم وتحدٍ للبشر إلى أن يشاء الله سبحانه أن يري آياته للناس وكما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق﴾[4].

فسيولوجية النوم:

ينام الإنسان فلا يشعر بما حوله، لا يرى ولا يسمع ولا يشعر في حدود معينة، إذ أنه يلزم تسليط مؤثر قوي عليه مثل صوت قوي أو تحريكه بشدة

---

(١) سورة الكهف: ١٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٣) الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجيا والقرآن: ١٢٠.

(٤) سورة فصلت: ٥٣.

حتى يستيقظ، وتتراوح شدة المؤثر اللازمة لإيقاظ النائم من شخص إلى آخر ومن وقت لآخر بالنسبة لنفس الشخص وتختلف في الطفل عنها في الشاب عن الشيخ؛ وقد يأتي المؤثر من داخل الجسد نفسه، فحدوث تقلص في الأمعاء أو المعدة أو غيرها وامتلاء المثانة بالبول وضيق الشعبيات الهوائية معيقاً التنفس والضغط على بعض الأعصاب مثل حالات بروز الغضروف بين الفقرات وغير ذلك قد يؤدي في كثير من الحالات إلى إيقاظ النائم من نومه مهما كانت درجة استغراقه في النوم.. فالحواس لا تنام تماماً أثناء النوم ولكن درجة حساسيتها تقل كثيراً ويرتفع المستوى المطلوب لتنبيه الجهاز العصبي المركزي أثناء النوم إذ يلزم أن تزداد شدة المؤثرات الواصلة إليه لتنبيهه وتنشيط استجابة الجسم لهذا المؤثر وذلك الإحساس. وعندما لا تصل شدة المؤثر إلى الدرجة المطلوبة للتنبيه قد تأتي استجابة الجسم على هيئة أفعال منعكسة أو حركات لا إرادية الغرض منها الابتعاد عن مكان المؤثر.

ينام الإنسان ويهدأ ويصل به النوم أحياناً إلى درجة من السبات أقرب إلى الغيبوبة فلا يستجيب لأقوى المؤثرات، ومع ذلك تظل أجهزة جسده وأعضاؤه الداخلية تعمل بانتظام وبصورة طبيعية دون خلل أو اضطراب، فالقلب ينقبض وينبسط والدم يجري ويسري إلى كل خلايا الجسد، والرئتان تمتلئان بالهواء شهيقاً وتطردانه زفيراً، والمعدة والأمعاء والكليتان في نشاط دائم، والعمليات الحيوية داخل الخلايا على قدم وساق، بل إن عمليات نمو الجسم سائرة بصورة طبيعية بل أنشط، كذلك الدماغ في نشاط دائم كما يدل على ذلك نشاطه الكهربائي والذي يتم تسجيله الدماغ الكهربائي Electro-Encephalo gram والذي يسمى اختصاراً E.E.G.

ويسجل هذا الجهاز نشاط الدماغ على هيئة موجات كهربائية لها تردد خاص يختلف حسب درجة نشاط الدماغ، ويختلف في الغيبوبة عنه في النوم عنه في اليقظة، ويظل نشاط الدماغ الكهربائي مستمراً دون انقطاع وعند

اختفائه يحكم على الشخص بأنه مات، وتلك هي العلامة الأساسية حالياً التي يقرر على أساسها الأطباء موت المرضى في غرف العناية المركزة وبذلك يقومون بفصل أجهزة الإنعاش عن المريض عند توقف نشاط الدماغ الكهربائي واختفاء موجات الـ E.E.G تماماً. وقد لوحظ أن الموجات الكهربائية لنشاط الدماغ يقل ترددها وتهدأ أثناء النوم وتمرّ بمراحل متتالية من زيادة النشاط وقلة النشاط، حيث تستغرق كل مرحلة زمناً يتراوح بين الدقائق القليلة إلى نصف الساعة تقريباً، وبتتبع هذا النشاط الكهربائي للدماغ أمكن تقسيم مراحل النوم إلى مستويات أربعة بين النوم الخفيف والنوم الغرِق أو العميق، ويعنيننا هنا تلك المرحلة والتي أطلقوا عليها لقب «الحركة السريعة للعينين Rapid Eye Movement (REM)» حيث يزداد نشاط الدماغ الكهربائي بدرجة ملحوظة ويصاحب ذلك حركة العينين بسرعة يميناً وشمالاً وفي نفس الوقت تهدأ حركات الجسم كله فلا يتقلب النائم ولا يحرك يديه أو رجليه. وقد يتسارع النبض والتنفس أثناء تلك المرحلة؛ وقد أشارت التجارب على تلك المرحلة بما فيها إيقاظ النائمين بعد بداية مرحلة الحركة السريعة للعينين واستجوابهم إلى أن الأحلام تحدث في تلك المرحلة وليس في غيرها من مراحل النوم الأخرى. على هذا الأساس بدأت دراسة التغيرات المختلفة الفسيولوجية وغيرها في الجسم في تلك المرحلة على أنها دراسة لحالة الجسم أثناء حدوث الأحلام[1].

---

(١) الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجيا والقرآن: ١٢٢.



(التصوير رقم ٤١) تسجيل النشاط الكهربائي للدماغ

الظواهر الغير طبيعية أو المرضية المصاحبة للنوم:

قد يصاحب النوم ظواهر غير طبيعية أو مرضية بعضها له علاقة بالنوم وبعضها لا علاقة له بالنوم ولكنها ترتبط به بشكل أو بآخر. وسنستعرض بعض تلك الظواهر بإيجاز للتعرف على أهم مظاهرها وعلاماتها.

البكم أو الصُمات اللاحركي: Akinetic Mutism

وهذه الظاهرة عبارة عن صورة من صور السبات والتي تشبه النوم إلى حد كبير مع اختلاف واضح بينهما، فالمصاب بتلك الحالة يظل مستلقياً على الفراش مسترخي العضلات تماماً ولا يستجيب لأي مؤثر مهما كان قوياً، ولا يفيق من حالته تلك إلاّ بعد وقت طويل وبشكل تلقائي، وتختلف تلك الحالة عن النوم وغيره في أن عيني المريض تكونان مفتوحتين وتتابعان أي جسم يتحرك أمامها في أي اتجاه ولكن دون إبداء أي إشارة من الجسم تدل على فهم ما يحدث أو الاستجابة له بأي صورة غير تحرك العينين المفتوحتين فقط.

المشي أثناء النوم: Somnambulism

يؤدي المصاب بتلك الحالة بعض الحركات التي تبدو وكأنها إرادية وذلك أثناء النوم، فيقوم من فراشه ويتحرك متجولاً في أنحاء الغرفة بطريقة تلقائية (أوتوماتيكية) ثم يعود إلى فراشه مرة أخرى، وحين يستيقظ فإنه لا يذكر شيئاً من ذلك ولا يدري مما حدث في أثناء نومه شيئاً، وتتسم حركاته أثناء مشيه وهو نائم بالبساطة والتلقائية وليس فيها عنف بالمرة.

وهذه الحالة تصيب الفتيان عادة، ويتميز المصابون بها بطبيعة عصبية غير مستقرة، وهي حالة ليست دائمة وإنما قد تحدث بصورة مؤقتة أو بشكل طارئ

عند تعرض الفتى أو الشاب لظروف نفسية شديدة أو تجربة عنيفة مثل التقدم لامتحان صعب أو حدوث كوارث عائلية أو ما شابه ذلك، وعادة ما يعود الشاب إلى حالته الطبيعية تلقائياً دون علاج بمجرد انتهاء الظروف الصعبة التي يمر بها[1].

النوم الغالب (فرط النوم): Narcolepsy

تذكرنا هذه الحالة بـ(التنابلة) الذي لا عمل لهم غير الأكل والنوم، فالمصاب بتلك الحالة يتميز بقابليته الشديدة للنوم، حيث ينام طوال ساعات النهار وينام تحت أي ظروف كانت وفي أي وضع يكون فيه. وتتكرر نوبات النوم طوال النهار وقد تصل إلى ٢٠ أو ٣٠ نوبة تستمر كل منها ١٠ - ٢٠ دقيقة من المتوسط، وقد تستمر النوبة ساعات أو تقصر إلى دقائق معدودة.

وتكثر نوبات النوم بعد الطعام، وحين يكون الجو المحيط هادئاً أو دافئاً، وعند قيادة السيارة أو ركوب القطار، أو عند الاستماع إلى محاضرة أو حضور ندوة.

وهؤلاء الأشخاص رغم ذلك لا يستطيعون النوم باستمرار أثناء الليل حيث يضطرب نومهم أثناء الليل عادةً بصورة مقلقة فلا يستطيع أن يتمتع بنوم عميق هادئ ليلاً وإنما نوم متقطع قلق طوال الليل.

وقد يصاحب النوم الليلي القلق ظواهر أخرى غير طبيعية كمظاهر ثانوية لحالة فرط النوم، وأشهر تلك الظواهر شلل النوم Sleep Paralysis والجمود Cataplexy، وهلوسة النوم Hypnagogic Hallucination وشلل الاستيقاظ Hypnapomic Paralysis.

---

(١) الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجيا والقرآن: ١٣٠.

وأحياناً ما يصاب المريض بأعراض أخرى مثل نوبات ضعف الذاكرة، وحالات من الإغماء وضعف الإبصار وعدم القدرة على المناقشات التي تستلزم تفكيراً عميقاً مستمراً، وقد يصاب المريض بحالة من القلق والاكتئاب النفسي.

وعادة ما تستمر حالات فرط نوم النهار طوال حياة المصاب بها، بينما تقل حدة الظواهر المصاحبة للنوم بإطراد العمر.

وحين يصاب المريض بنوبة من الشلل العام فإن ذلك يستمر لفترة وجيزة عند الانفعال الشديد، وقد يصيب الشلل عضلات الفك والرقبة فقط، ويظل المريض يقظاً أثناء النوبة، إلاّ أنه قد يصاب بازدواج الرؤية حيث يرى الشيء الواحد شيئين، وقد تطول النوبة لدقائق عديدة تصل إلى نصف الساعة، وأكثر ما يصاب بها المريض أثناء نوبة ضحك شديدة أو انفعال شديد مفاجئ لرؤية شيء أو سماع خبر ما، وأحياناً أثناء الجماع. وعادةً ما تتكرر النوبات بمعدل نوبة واحدة كل يوم ونادراً ما تزيد على ذلك المعدل.

شلل النوم: Sleep Paralysis

ويحدث هذا النوع إما عند بداية النوم Hypnogogic Paralysis، أو عند الاستيقاظ من النوم مباشرةً Hypnapomic Paralysis حيث يكون الشخص ما زال يقظاً وواعياً لما حوله، ويسمع ما يدور حوله وما يقال له، ولكنه يفقد القدرة على الحركة الإرادية تماماً، فلا يستطيع أن يتكلم أو يتحرك أو أن يفتح عينيه رغم إحساسه بما حوله ووعيه التام، وتصيبه حالة من الرعب الشديد أثناء تلك النوبات ويشعر كأنه يدفن حياً وهو لا حول له ولا قوة. وهذه النوبات رغم ما تسببه من رعب إلاّ أنها لا تؤدي إلى آثار عضوية

ضارة، وعادة ما تستمر النوبة لدقائق معدودة يعود بعدها المصاب طبيعياً تماماً[1].

هلاوس النوم: Hypnagogic Hallucination

وحين يصاب المريض بفرط النوم أو غيره بهذه الهلاوس فإنها تأتي عادة على شكل هلاوس بصرية حيث يرى المصاب أشياء ذات أشكال مختلفة وملونة تتحرك أمام عينيه أو تظل ثابتة لا تتحرك، وقد يرى أشخاصاً أو حيوانات موجودة معه في الغرفة مما يسبب له الضيق والخوف أحياناً، وقد يزداد شعور المصاب بأن ما يراه حقيقي مما يزيد من حالة الرعب لديه، وخصوصاً إذا صاحب ذلك نوبة من شلل النوم في النوم المصاحب لبعض الحالات المرضية.

وهنا لابد من ذكر بعض أعراض تلك الحالات المرضية:

١ـ **فرط النوم العرضي**: Symptomatic Hypersomnia

ويقصد بهذا النوع من النوم الغالب هو ما يحدث للإنسان نتيجة لوجود مرض عضوي يؤدي إلى أعراض وعلامات مختلفة تشمل ضمن ما تشمل فرط النوم.

وهذا النوع يحدث للمصابين بأمراض عضوية بالدماغ مثل الالتهابات المختلفة لأنسجة الدماغ، وأورام الدماغ، وإصابات الرأس، وحالات التسمم المختلفة، وهنا يستمر النوم لفترات طويلة تستغرق معظم ساعات اليوم ليلاً ونهاراً، ويمكن إيقاظ المريض لإعطائه الطعام أو الشراب أو الأدوية ولكنه يعود إلى حالة النوم بسرعة.

---

(١) الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجيا والقرآن: ١٣٠.

هذه الحالات لا يصاحبها نوبات من شلل النوم أو الجمود أو الهلاوس وإنّما يصاحبها العلامات الدالة على وجود المرض الأصلي بالدماغ أو التسمم والذي تسبب في حدوث تلك النوبات الطويلة للنوم.

ويعود المريض إلى حالته العادية من النوم واليقظة إذا أمكن علاج الحالة المرضية المسببة لذلك بنجاح، وفي مثل تلك الحالات يجب ملاحظة المريض ملاحظة دقيقة لاكتشاف ما إذا كان يتعاطى خلسة أدوية وعقاقير مسببة للإدمان كسبب هام لتلك الحالات.

٢ ـ فرط النوم الوظيفي Functional Hypersomnia:

وهي حالات من النوم المستمر لعدّة ساعات تتكرّر يومياً، ويستمر ذلك لعدّة أشهر يعود بعدها المريض إلى حالته الطبيعية تماماً.

وحين يكون المصاب طبيعياً من الناحية النفسية والعصبية، فإن النوبات تتميز بحدوثها أثناء الليل حيث يصعب إيقاظ المصاب من النوم مع استمرار علامات النوم عليه بعد الاستيقاظ ولفترات طويلة، فيبدو المريض نصف نائم بينما ينام المصاب المذكور أثناء النهار ويظل هكذا ما لم يوقظه أحد، وهذا النوع يسمى فرط النوم الابتدائي Idipathic وهو نوع وراثي حيث يتم توارثه في أكثر من ثلث المصابين به.

وهناك نوع آخر يحدث في المرضى المصابين ببعض الأمراض العصبية والنفسية مثل الهستريا والعصاب Neurosis حيث يضيف إلى المريض إحساساً بالضعف الشديد والإرهاق، ويسمى هذا النوع بالنوع العصبي Neurotic Hypersomnia.

وتتميز بعض النوبات بزيادة كبيرة في شهية المصاب، حيث يأكل بشراهة وينام لفترات طويلة قد تصل إلى أسابيع عقب نوبات الأكل الشره، ولا يستيقظ المريض إلاّ لتناول الطعام أو الذهاب إلى دورة المياه لقضاء الحاجة.

وتستمر النوبة لأسابيع يعود بعدها المصاب إلى حالته الطبيعية من نوم ويقظة وطعام، وبالطبع فإن وزنه يزداد خلال تلك الفترات بصورة واضحة.

٣ ـ خناق النوم: Sleep apnea

تصيب تلك الحالات من الخناق أو توقف التنفس أثناء النوم بعض الناس دون سبب واضح، بينما تصيب بعض المصابين بضيق الممرات الهوائية نتيجة لضغط الغدة الدرقية المتضخّمة أو لتضخم اللوزتين أو الغدد الليمفاوية بالحلق أو ضيق الحنجرة، وهناك نوع آخر من الناس يصابون بتلك الحالات ويتميزون بالسمنة المفرطة المصاحبة بنقص التهوية الرئوية وهبوط البطين الأيمن للقلب.

وتتميز تلك النوبات بتوقف التنفس أثناء النوم دون سابق إنذار مع حدوث غطيط شديد وحشرجة أثناء النوم، ويضطرب نوم المصاب ويزداد قلقه مما يؤدي إلى شعور عام بالإرهاق والاضطراب أثناء النهار[1].

الرؤى وتفسير العلماء:

إن ما يراه النائم من الحقائق التي لا ينكرها أحد، والتي ما زالت من التحديات العلمية التي لم يصل إلى إدراك كيفيتها الإنسان، فالنائم مغمض العينين ولا يرى بهما حتى لو فتحنا عيني النائم فلن يرانا وهو نائم، ومع ذلك يرى الأحلام والمرائي بألوانها الطبيعية، ويرى في أحلامه الضوء والظلام والقريب والبعيد.

ولقد عجز العلماء وحار الفلاسفة في تفسير ما يحدث في المنام وأسسوا الجمعيات التي تبحث في ما وراء المحسوسات وذلك في مختلف أنحاء العالم، واستحدثوا من التعبيرات في هذا المجال الكثير مثلما أسموه بظواهر انتقال

---

(١) الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجيا والقرآن: ١٩٠.

الفكر، والاتصال على البعد، والاستشفاف، والجلاء البصري، والحاسة السادسة، والإدراك خارج الحواس وغير ذلك من المسميات لوصف ما يحاولون تتبعه من ظواهر خارقة للعادة على حد قولهم.

وقد انتهى العلماء إلى بعض ما يرونه من أدلة على أن للشخصية الإنسانية شقاً لا يخضع للقوانين المعروفة في علم الفيزياء أو الكيمياء وهو الشق الروحي في الإنسان، وحاولوا إخضاع هذا الشق الذي لا تدركه الحواس للبحث والتجربة والاستنتاج، فدخلوا بذلك في متاهات فكرية ونظريات متضاربة، وأعياهم تتبّع الحقيقة التي لا يدركها إلاّ خالقها سبحانه وتعالى.

فلندع كل هؤلاء في تخبطهم ومتاهاتهم، ولنرجع إلى منبع الحقيقة الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولنتدبر وحي الله سبحانه وتعالى قرآناً وسنة، لعلّنا ندرك بعض العطاء في هذا المجال[1].

أثر الروح في صدق الرؤيا:

يقول الخالق سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿*اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*﴾[2] فهناك إذاً ثلاث حالات للنفس في هذه الآية وهي التوفي والإمساك والإرسال.

وفي المنام يتوفى الله سبحانه وتعالى نفس الإنسان النائم، ويقبض الروح، فتتحرر من قيود الجسد ومحدودية الحواس لتدخل في حالة أخرى يظهر فيها

---

(١) تمّ بحث هذا الموضوع بشكل مفصّل في الجزء السادس من هذه الموسوعة في كتاب (النفس وأحوالها).

(٢) سورة الزمر: ٤٢.

ما للروح من قدرات على التلقي والانطلاق حيث يختفي حاجز المكان وحاجز الزمان، فتتلقى الأحاديث وتتعامل معها وكأنها في حال من اليقظة والانتباه.

وتظل الروح على اتصال بجسم النائم بصورة لا يعلمها إلاّ الله تعالى، فتنقل إلى ذاكرته ما تتلقاه ولكن بصورة رمزية أحياناً، ممّا تحتاج إلى تأويل، لمعرفة مدلولها الحقيقي، وأحياناً بصورة صريحة واضحة كأوامر للتنفيذ، ومثال الصور الرمزية ما رآه يوسف عليه السلام حيث قال لأبيه: ﴿ ... *يا أبتِ إنّي رأيتُ أحدَ عشرَ كوكباً والشمس والقمر رأيتُهم لي ساجدين*﴾[1]، وأمّا الصور الواضحة التي لا تحتاج إلى تأويل، فتلك التي رآها إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿*قال يا بنيّ إني أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى*﴾[2] فهو أمر واضح صريح لايحتاج إلى تأويل كي يتم تنفيذه دون خطأ أو تحريف.

ومن المعروف أن ما يراه النائم في منامه لا يتخذ شكل العادة اليومية ولكنه يتكرر من حين لآخر وقد يتباعد كثيراً، ويتميز بعض الناس بصدق ما يرونه في منامهم بشكل يثير الدهشة فعلاً، ولا فرق في ذلك بين غني أو فقير، أو رجل أو امرأة، كبيراً كان أو صغيراً، بل إن رؤيا الكافر قد تصدق في كثير من الأحيان[3].

الروح ما بين الموت والمنام:

تنتقل الروح عند المنام إلى حالة التوفي، فترى وتسمع وتدرك من أمور الغيب ما لا يدركه اليقظ، وعند الموت تقبض الروح، وتفقد اتصالها بالجسد

---

(١) سورة يوسف: ٤.

(٢) سورة الصافات: ١٠٢.

(٣) الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجيا والقرآن: ٢٠٥.

منطلقة إلى آفاق الغيب التي تعجز عـن إدراكـها عقولنـا وأبصارنـا وآذاننـا وحواسنا، وتنتقل إلى عالم آخر غير عالمنـا، لا نعـرف عنه شيئاً إلاّ مـا سـمعناه عن الرسل والأنبياء والأئمةﷺ.

يقـول الرسـولﷺ:«النـاس نيـام فـإذا مـاتوا انتبـهوا» معبراً عـن مـدى مـا نطلع عليه بعد الموت، فكأن الفرق بين ما ندركه ونحن أحياء بحواسنا المعروفة وبين ما ندركه من خلق الله بعد موتنا هو كالفرق بين ما يدركه النائم ومـا يـراه وما يشعر به، وبين ما يدركه اليقظ الواعي من موجودات الكون والخلائق مـن حولنا(١).

تفسير الأحلام علمياً:

في محاولة لتفسير رمـوز الأحـلام في بعـض الحـالات نقـول: إن الرؤيـا قـد تكون راجعة إلى تغيّر مسار الأحاسيس والمؤثرات للوصول إلى الدماغ؛ حيث يختلف المسار أثناء اليقظة، فرؤية شـيء مـا تستلزم أولاً وجـود هـذا الشـيء في الواقع حقيقة، ثم يسقط عليه الضوء لينعكس من كـل نقطـة علـى سـطحه إلـى العين ليمر بطبقاتها المختلفة منتهياً إلى شبكة العين حيث تتكون صـورة مقلوبـة ومعكوسة لهذا الشيء، وهـذه الصـورة تتحـول إلـى إشـارات كهربائيـة تنطلـق خلال العصـب البصـري ومـا يليـه مـن أليـاف عصبيـة حتـى تصـل إلــى منطقـة استقبال الإشـارات البصريـة بالدمـاغ، فتقـوم بترجمتـها إلـى صـورة الشـيء الأصليّة، وتنتقل بعد ذلك إلى منطقة أخـرى بالدمـاغ لإدراك معناهـا وقيمتـها، وبعـد ذلـك يتـم استخراج متعلقـات تلـك الصـورة مـن الذاكـرة إن كـان هنـاك معلومـات سـابقة ترتبـط بـها، وذلـك حتـى يسـتطيع العقـل أن يتخـذ الإجـراء

(١) الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجيا والقرآن: ٢٠٧.

المناسب بعد فهمه لصورة هذا الواقع الموجود أمام العين، وبعد ذلك تصدر الأوامر الخاصة لمناطق الدماغ المختلفة حسب ما يرى العقل من إجراءات، فقد يأتي الأمر لإغماض العينين أو تحريك اليدين أو الهرب أو الإقدام أو غير ذلك.

أمّا إن كان الشيء يُرى لأول مرة دون معلومات سابقة بشأنه، فإن صورته تدخل إلى الذاكرة للحفظ بعد محاولة فهمها وربطها بغيرها من المعلومات السابقة لدى الدماغ، وهذا ما يحدث بالنسبة لباقي المؤثرات من مسموعات أو محسوسات أو مشمومات.

فماذا يحدث إذاً لو تغير المسار الذي يتخذه المؤثر للوصول إلى المراكز المعنيّة في الدماغ؟!.

من المعروف عند توجيه ضربة إلى الرأس أو العين المقفلة - مثلاً - يلاحظ المضروب ومضات ضوئية أو شعلات نارية أو قد يسمع طنيناً شديداً في أذنيه، والسبب في ذلك أن الضربة الشديدة أحدثت تأثيراً على الألياف أو الخلايا العصبية في مناطق مختلفة من الدماغ وتحول هذا التأثير إلى تيار كهربائي انتشر خلال تلك الأعصاب إلى مراكز الاستقبال البصرية أو السمعية، ولأنه لم يأخذ المسار الطبيعي منذ البداية فإن تلك المراكز لا تستطيع ترجمته إلى صورة حقيقية موجودة أمام العين، فتأتي الصورة بحيث لا معنى لها ولا مدلول تستطيع ترجمته إلى صورة حقيقية موجودة أمام العين، ولا تستطيع باقي مراكز الدماغ فهمه أو إدراكه.

ولكن يحدث أحياناً أن يرى بعض الناس تلك الومضات الضوئية دون إصابة الرأس أو العين، وهنا يكون المسبب داخلياً كوجود ورم داخل أنسجة الدماغ أو قصور بالدورة الدموية في الدماغ مما يؤدي إلى إحداث تأثيرات

مباشرة على الأعصاب تؤثر على مراكز الإحساس البصري وبالتالي مراكز الإدراك البصري.

و يتم تفسير تلك الصور غير الحقيقية والأحاسيس غير الطبيعية عن طريق وجود مهيج داخلي يؤثر على الأنسجة العصبية محدثاً فيها ذلك الخلل، أي بوجود مرض عضوي.

ولكن أحياناً ما يحدث أن يرى بعض الأشخاص أشياءَ لا وجود لها في الحقيقة أو يسمعون أصواتاً غير موجودة في الواقع، ودون وجود أي مرض عضوي واضح لديهم وهذا ما يعرف بالهلوسة Hallucinatiions وهنا ربما يكون الخلل داخل الخلايا العصبية نفسها حيث تختل وظائف تلك الخلايا نتيجة خلل بالعمليات الحيوية واضطراب في عمل الخمائر داخلها.

وفي حالات أخرى قد يصل المؤثر إلى العين ويمر بالمسارات الطبيعية إلى مراكز الدماغ، ولكن التحوير والتغيير يأتي قبل أن يصل المؤثر إلى العين، فحين نرى الماء من بعيد ندرك أنه ماء ولكن حين نرى الماء على سطح الطريق الإسفلتي في أشهر الصيف أو نرى الماء على سطح الأرض الرملية الصحراوية وقت الظهيرة فإنّنا نفكر كثيراً قبل أن نقول بأنه ماء فقد يكون سراباً، فالصورة تأتي إلى العين ويترجمها الدماغ كصورة الماء تماماً لأنها تم تحويرها وتغييرها قبل وصولها إلى العين، وما هذا إلاّ بواسطة طبقات الهواء الساخنة الملاصقة لأرض الطريق الإسفلتي أو لرمال الصحراء المستوية فبدت كأنها مرآة أو سطح الماء حين تنعكس عليه صور الأشياء.

وهذه الصورة الخيالية غير الحقيقية يراها الناس كثيراً فيدرك بعضهم أنها مجرد سراب ويؤكد آخرون أنها ماء وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم: ﴿*حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً*﴾[1] ولذلك يعتمد إدراك الإنسان للسراب على خبراته

---

(١) سورة النور: ٣٩.

السابقة ومعرفته بطبيعة الأرض، وتغير الأوقات وتأثير الحرارة وغير ذلك مما يساعده على تفسير ما يراه حتى لو بدا له حقيقياً واقعياً.

وعلى هذا يمكن القول بأن ما يراه النائم قد يأتي من مصدرين:

أحدهما: النائم نفسه؛ وما بداخله من مؤثرات سواء كان مصدر التأثير هو العقل أو الجهاز العصبي أو أجهزة الجسد الأخرى.

والثاني: خارجي عن الإنسان مما يؤثر عليه بمؤثرات قد تكون حقيقية دون تغيير، فتأتي صورها واضحة مرتبطة ومحددة، وقد تكون المؤثرات محورة محرفة، فتأتي صورها رموزاً تحتاج إلى تأويل، وبالطبع فإن مصدر تلك المؤثرات لابد وأن يكون قوي غير معهود حيث نستطيع التعامل مع عقل الإنسان وأماكن الإدراك فيه دون أن نستطيع لمسها مادياً حيث تنفذ إلى قلب الإنسان وإدراكه مباشرة، وهي قوة الخالق وقدرته وما أذن لها من قوى أخرى[1].

(١) الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجيا والقرآن: ٢١٠.

الباب الثالث

الصحة العامة في القرآن الكريم

- الصحّة العامّة في القرآن الكريم
- النظافة
- النظافة الشخصيّة
- الطهارة
- نظافة البيئة وطهارتها
- الرياضة
- الغذاء
- للغذاء خطوط حمراء
- أهل البيت عليهم السلام وبرامج التغذية
- أنواع الغذاء وطبائعها
- الغذاء والحكمة من الصوم

الصحة العامة في القرآن الكريم

تناول القرآن أهم الأسس التي يقوم عليها بناء الصحة المتكامل على مستوى الفرد والمجتمع وهي: النظافة، والرياضة، والغذاء. وقدم حلولاً ونصائح تعالج كافة الحالات التي تعترض حياة الإنسان الصحية، وبطرق يسيرة تتناسب مع كافة المستويات وتعاصر الزمن، لتوفر على الإنسان حاجاته وتكمل مسيرة حياته لأجل راحته وطمأنينته. وسنتناول تلك الأسس بشيء من الإيجاز.

١ـ النظافة:

إذا كانت النظافة عند البعض مجرد ذوق أو مزاج شخصي، أو كانت مرتبطة بالحالة الاقتصادية للإنسان أو الدولة، فهي في القرآن الكريم تخضع لنظام محدد يشعر الملتزم به بضرورة تنفيذه بدافع ذاتي مستمر، وقد اهتم القرآن اهتماماً خاصاً بالنظافة الشخصية ونظافة البيئة[1].

النظافة الشخصية:

حض القرآن على أمرين هامين في حياة الفرد وهما الوضوء والطهارة.

أما الوضوء: فقد فرض الله تعالى الوضوء في مواضع عدة، فجعله مقدّمة واجبة للصلاة حيث قال تعالى: ﴿*يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين*﴾[2] وكذلك

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم: ١٢١.

(٢) سورة المائدة: ٦.

أشترطه في الطواف بالبيت العتيق، كما جعل لمس المصحف الشريف وآياته مع الوضوء والطهارة حيث قال سبحانه: ﴿لا يمسّه إلا المطهرون﴾[٣].

فمن هذا كله يمكننا أن ندرك تماماً أهمية الوضوء وتأثيره الوقائي وفوائده الصحيّة والتي يمكن إجمالها بما يلي:

أ ـ الوقاية من الكثير من الأمراض المعدية والتي تنتقل بتلوث الأيدي، وأهمها ما يسمى بأمراض القذارة[٤].

ب ـ تنشيط الدورة الدموية العامة وتجديد حيوية الجسم، بتنبيه الأعصاب، وتدليك الأعضاء.

ج ـ تخليص الأجزاء المكشوفة من البدن من الأوساخ التي تعلق بها باستمرار، ومن ثم تحفظ وظائف الجلد من أن تتعطل[٥].

وأما الطهارة فقد حبب القرآن إلى الطهارة عامة بأسلوب لطيف، فقال تعالى: ﴿...فيه رجال يحبّون أن يتطهّروا والله يحبّ المطّهّرين﴾[٦] وقال أيضاً: ﴿...إنّ الله يُحبّ التوابين ويُحبّ المتطهرين﴾[٧] إلى غيرها من الآيات الكريمة الدالة على ذلك.

---

(٣) سورة الواقعة: ٧٩.

(٤) أمراض القذارة هي: الهيضة (الكوليرا) والحمى التيفية، والزحار العضوي والالتهاب المعوي بالعصيات الكولونية، وتسمم الطعام الجرثومي، وتشكل هذه الأمراض أهم المشاكل الصحية في البلدان النامية، ومسؤولة لحدٍ كبير عن ارتفاع معدل الوفيات فيها، وتعتمد الوقاية منها على النظافة الشخصية (غسل الأيدي قبل كل طعام وبعد كل تغوط).

(٥) مع الطب في القرآن الكريم: ١٢١.

(٦) سورة التوبة: ١٠٨.

(٧) سورة البقرة: ٢٢٢.

ويمكن تقسيم الطهارة إلى قسمين:

أولاً: طهارة الجسم

وهي الطهارة من الجنابة بالنسبة للرجال وللنساء ﴿...وإن كنتم جنباً فاطهروا...﴾[٨]، وكذلك الطهارة من الحيض أو النفاس بالنسبة للمرأة ﴿فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله...﴾[٩].

والطهارة في الحالتين السابقتين تعني غسل كامل البدن بالماء الطاهر.

أما فوائد الطهارة الصحية ولا سيما بعد الجماع، فهي:

١ـ تنشيط الجسم، وبث الحيوية فيه، بعد خموله وذلك بتنبيه النهايات العصبية التي في الجلد.

٢ـ تخفيف الاحتقان الدموي في الجلد والأعضاء التناسلية مما يدفع الدم إلى أعضاء الجسم الهامة وخاصة القلب والدماغ.

٣ـ تعتبر عملية الاغتسال جهد عضلي، تنشط القلب والدورة الدموية، كما تنشط العضلات الإرادية بشكل عام.

٤ـ الاغتسال يؤمن سلامة وظائف الجلد العديدة والتي من أهمها نقل الاحساسات وتنظيم الحرارة وحماية الجسم.

٥ـ تخليص الجسم من الأدران العالقة به، والتي تتكون من الطبقات المتوسفة من الجلد، والمفرزات الدهنية والعرقية، ومن الغبار والأوساخ المختلفة.

---

(٨) سورة المائدة: ٦.

(٩) سورة البقرة: ٢٢٢.

ومن الطهارة أيضاً غسل الجسم أو قسم منه عند ملامسته النجاسات المختلفة وأهمها البول، والغائط، ولحم الخنزير، وميتة الحيوان، والقيح والصديد، والقيء والقلس، والمسكر المائع.

وندرك السبق العلمي والعملي للقرآن الكريم في تشريعه للوضوء والطهارة إذا طالعنا معطيات العلم الحديث حول العناية بالجلد: «والعناية بالجلد ترتكز في الدرجة الأولى على النظافة وغسل الجسم، وخاصة الأجزاء المكشوفة، والتنظيف المستمر ضروري لتفتح مسام الغدد العرقية والدهنية، ويجب على الإنسان أن يغسل وجهه ويديه وشعره ورقبته مرتين باليوم على الأقل، كما يجب عليه أن يولي النواحي الإبطية والتناسلية عنايةً خاصة، والاستحمام ضروري جداً مرة بالأسبوع خلال الشتاء، ومرتين أو أكثر خلال الصيف»[١٠].

ثانياً: طهارة الملبس

قال تعالى ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[١١] حيث تعتبر طهارة الثياب شرط لصحة العبادات التي لاتنقطع، وهذا يتطلب من الإنسان حرصاً دائماً على طهارة ملبسه من جميع النجاسات التي مرّ ذكرها في طهارة الجسم، ولا يخفى ما لهذا الأمر من قيمة في إبعاد الإنسان عن مصادر التلوث بالعوامل المعدية.

---

(١٠) المدخل إلى الأمراض الجلدية: ٩٠.

(١١) سورة المدثر: ٤.

نظافة البيئة وطهارتها:

قال تعالى: ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾[١٢] وفي هذه الآية إشارة إلى لزوم العمل على طهارة البيئة، وخاصة بيوت الله، كما أن من شروط صحة الصلاة أن تكون في مكان طاهر من النجس والأقذار، ولا شك أن اعتبار البول والغائط والميتة وغيرها من الفضلات نجساً يقتضي من الدولة أن تعمل على تصريف هذه الفضلات بأحسن السبل وعدم استخدامها في ري الأراضي والمزروعات مباشرةً، ومن المعروف في الطب الوقائي أن سوء تصريف الفضلات من أهم أسباب انتشار الأوبئة والأمراض الإنتانية في البلدان المتخلفة، وسنتطرق في نهاية بحثنا هذا إلى جانب من جوانب التلوّث البيئي الناشئ من تأثير الإشعاع على صحة الفرد والمجتمع[١٣].

٢ـ الرياضة:

قضت حكمة الله أن يمارس الملتزم بالعبادات أنواعاً ممتازة من الرياضات في الوقت الذي يستجيب فيه لنداء ربه، وأهم هذه العبادات الصلاة والحج، كما حضّت السنّة النبوية الشريفة على ممارسة أنواعاً أخرى من الرياضات بشكل صريح كالرماية وركوب الخيل والسباحة.

فبالنسبة إلى الصلاة قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم﴾[١٤] وما نلمسه في هذه الآيات هو الروح الحركية التي تتم فيها الصلاة، والتي تتجلى بحركات الصلاة كالقيام والركوع والسجود والاعتدال، وبهذه

(١٢) سورة الحج: ٢٦.

(١٣) مع الطب في القرآن الكريم: ١٢٢ ـ ١٢٤.

(١٤) سورة الحج: ٧٧.

الحركات يعتبر القرآن سباقاً في تطبيق التمارين الرياضية البدنية، والتي شاع تسميتها بالتمارين السويدية.

ومما يميز رياضة الصلاة هو توزعها وبشكل منتظم على أوقات اليوم، ليلاً ونهاراً حيث قال تعالى: ﴿*أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً*﴾[15] ولقد أثبت العلماء أن أحسن أنواع الرياضة هي الرياضة اليومية المتكررة والموزعة على كل أوقات اليوم، وغير المجهدة، والتي يمكن أن يؤديها كل إنسان، وكل هذه الصفات متوفرة في رياضة الصلاة.

وهنالك أهمية أخرى في الصلاة تكمن في السجود وما له من أثر حسن على الأوعية الدماغية وعلى وظائف الدماغ من تفكير وإبداع، فكلما كانت حالة الأوعية الدماغية جيدة كان وارد الدماغ من الغذاء والأوكسجين مع الدم جيداً حتى أن كثيراً من الأمراض العصبية الخطيرة تنتج عن اضطرابات تحصل لهذه الأوعية من تمزق وانسداد.

إن انخفاض الرأس للأسفل أثناء السجود يؤدي لاحتقان دموي في الأوعية، وعند ارتفاع الرأس للأعلى فجأة يحصل انخفاض في الضغط داخل الأوعية، وتتكرر هذه الحركة في كل ركعة ست مرات ما بين ركوع وسجود، وتتكرر ١٠٢ مرة في كل يوم إذا صلى الإنسان الفروض فقط، وتزداد أكثر فأكثر مع إقامة الصلوات المستحبة أيضاً، وفي كل حركة تكون الأوعية الدماغية بين تقلص وارتخاء فتزداد مرونتها وتقوى جدرانها وعضلاتها.

والأهم من ذلك هو ما يرافق الصلاة من الاطمئنان النفسي والصفاء الذهني مما يجعل من الصلاة فرصة ثمينة للدماغ تتكرر عدة مرات في اليوم

---

(١٥) سورة الإسراء: ٧٨.

يستطيع بعدها أن يباشر عمله بشكل أفضل وبفعالية ممتازة، ويغدوا تفكير الإنسان أكثر مثالية وحيوية[١٦].

ويمكن حصر الفوائد الصحية لرياضة الصلاة بما يلي:

١ ـ تحريك جميع عضلات الجسم القابضة والباسطة، وتحريك جميع مفاصله أيضاً حتى المفاصل الفقرية وذلك في كل ركعة.

٢ ـ تنشيط القلب والدورة الدموية.

٣ ـ تحسين وظائف الدماغ بسبب تحسين كفاءة التروية الدماغية.

٤ ـ تقوية جدران وعضلات الشرايين الدماغية، والمحافظة على مرونتها وبالتالي مقاومتها للتمزق والنزيف.

٥ ـ ترويض الجسم على التأقلم مع الظروف المفاجئة، وبالتالي حمايته من التعرض لبعض الأعراض التي تصيب الكثير من الناس كالدوار وزوغان البصر، وتغيم الوعي العابر.

٦ـ الاطمئنان النفسي وما يضفيه من حيوية ونشاط على الفرد، بحيث يعينه على متابعة أموره الحياتية بشكل صحيح وناصح.

أما بالنسبة إلى الحج تلك الرياضة الشاقة فقد قال تعالى: ﴿*وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ*﴾[١٧] فإذا كانت الصلاة رياضة ميسّرة، يستطيع كل فردٍ القيام بها، فإن الحج رياضة بدنية شاقة لما تتضمنه مناسك الحج من أعمال صعبة كالطواف بالبيت العتيق، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، إضافةً لما يعانيه الحاج من مشقة في رحلته الطويلة ذهاباً وإياباً.

---

(١٦) مع الطب في القرآن الكريم: ١٢٤ ـ ١٢٥.

(١٧) سورة الحج: ٢٧ ـ ٢٨.

كما أن الحج سياحة ممتعة ونافعة يتعود فيها المرء الصبر والجهد والقوة.

ومن الممارسات الرياضية الأخرى والتي حضّت عليها الشريعة الإسلامية هي الرماية وركوب الخيل؛ وهي من أهم رياضات الإعداد التي تشير إليها الآية الكريمة: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّةٍ ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم**﴾[١٨] فتعتبر من أرفع الرياضات التي تهب ممارسها قوةً في جسمه ودقةً ومهارةً في ملكاته، كما تكسب النفس صفات الرجولة والإباء.

وقد نبه الرسول ﷺ إلى أن أعلى مراتب القوة هي الرمي «ألا إن القوة الرمي» كما أن الرماية وركوب الخيل كانا من هوايات المسلمين آنذاك كونهما من وسائل الإعداد التي أمرهم الله بها.

٣ ـ الغذاء:

يعتبر الغذاء من ضروريات الحياة الأساسية التي يعتمد عليها نمو الإنسان منذ طفولته لما يحتويه من عناصر مفيدة لبناء جسمه وجعله بحالة صحية يقوى بها لحمل مهامه واستمرار حياته.

وما خلق الله من الطيبات وما أمر بها لهو خير دليل على ضرورة التغذية وإدامتها بشكلها الصحيح والبعيد عن كل حالات الإفراط والتفريط المسببة لخلق حالات من عدم التوازن تتعرض لها بنية الإنسان الجسدية والتي تؤدي به إلى المرض والموت أحياناً.

قال تعالى في كتابه العزيز ﴿**كُلوا من طيّبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي..**﴾[١٩] ومن هذه الآية الكريمة نتعلم قانوناً من قوانين الطب الوقائية والتي

---

(١٨) سورة الأنفال: ٦٠.

(١٩) سورة طه: ٨١.

جاء بها الإسلام رحمةً للعالمين وحفاظاً على بقائهم بصحة وعافية عن طريق ضرورة الإمتناع عن الإسراف في تناول الطعام والشراب، والذي يكون مدعاةً لغضب الله تعالى على عباده لما يسببوه من أمراض تعيق الحياة وتقطع النسل.

فالسمنة مثلاً من الأمراض التي تعيق الإنسان عن دوره في بناء نفسه والمجتمع، وهي غالباً ما تأتي نتيجة الإسراف في تناول الطعام، وتعتبر سبباً للكثير من الأمراض الخطرة كارتفاع الضغط الشرياني وتصلب الشرايين كما أنها من مسببات مرض السكري أيضاً، إضافة إلى ما يصدر عنها من تحديد حركة الجسم نتيجة زيادة الوزن، قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾[٢٠] فقد أمر تعالى بالأكل والشرب وعدم الإسراف فيهما لما في ذلك من مخافة الوقوع في المرض، وتشير بعض الإحصاءات إلى أن ثلث الوفيات في العالم بسبب السمنة.

وليس الإفراط فقط مسبباً لكل ما ذكر؛ وإنما حالة الإقتار وكبت النفس ومنعها من تناول الغذاء بما يكفي حاجة الجسد أيضاً سبب آخر للكثير من الأمراض.

لقد بين علم التغذية أن حاجة الفرد البالغ من الوحدات الحرارية ما بين ١٨٠٠-٣٥٠٠ وحدة وهذا ما يؤمنه ١٠٠-٢٠٠ غرام من البروتينات و٢٠٠-٣٥٠ من النشويات و١٥-٢٥ من الدهنيات إضافة إلى الفيتامينات والأملاح، وهذه الموازنة لو اختلّت بسبب انخفاض نسبة التغذية - كما يفعله النباتيون مثلاً - فإن ذلك أيضاً مدعاةً للأمراض والخلل في بنية الإنسان الجسدية وهذا مما لا ترضاه الشريعة الإسلامية التي كانت سباقة في قوانين التغذية والطب الوقائي.

---

(٢٠) سورة المائدة: ٣١.

للغذاء خطوط حمراء:

لابد من وجود حدود معينة في البرامج الغذائية بحيث لا يمكن تجاوزها، لما تسببه من أخطار تفتك بالإنسان عند عدم احترام تلك الحدود، ومما نحب أن نذكره هنا هو ما قاله تعالى: ﴿***حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع..***﴾[٢١] تلك هي بعض الخطوط الحمراء التي حذّرت من تجاوزها الشريعة الإسلامية السمحاء لما فيها من مسببات لأمراض كثيرة؛ فمثلاً الميتة وما تحويه في داخلها من أنواع من الميكروبات والفطريات التي سبق وجودها أثناء الحياة ولكنها عند الممات تصبح أكثر نشاطاً وأكثر فتكاً خاصة تلك التي تنمو وتتكاثر بدون غاز الأوكسجين، فتنتشر خلال ساعات إلى أغلب أعضاء الجسم الميت، فعند أكلها تسبب حالات التسمم والإصابات الفيروسية أو الميكروبية التي تؤدي إلى الموت.

وكذلك الدم الذي يتحول إلى وسط صالح لتكاثر الجراثيم عند الموت، ففي حالة توقف الدورة الدموية ينقص الأوكسجين ويتحول الدم إلى تربية مليئة بما يسبب الكثير من الأمراض الميكروبية والفيروسية والسرطانية أيضاً، ولهذا السبب حرّمت أيضاً المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة لبقاء دمها في جوفها، ويستخدم الدم في المختبرات العلمية لصناعة الأوساط الزرعية لمعرفة نمو أنواع من البكتريا لهذا السبب.

أما لحم الخنزير فهو ناقل للأمراض الطفيلية، ومن أخطرها الدودة الشعرية الحلزونية (Trechina) التي تنتشر يرقاتها في عضلات الجسم وخاصة العينين والدماغ، إضافة إلى ما يحتويه لحم الخنزير من الشحم واللحم بما لا

---

(٢١) سورة المائدة: ٣.

يمكن فصلهما عن بعض وما يحتويه على أكبر نسبة من الدهون المضرّة بالجسم والمسببة لمرض تصلّب الشرايين(٢٢).

هذا ما أردنا بيانه لمتابعة برنامج غذائي يتناسب وطبيعة خلق الإنسان ومستوى تحمّل جسمه لحفظ توازنه ضمن الظروف الطبيعية التي تمنحه الصحة والعافية.

أهل البيت عليهم السلام وبرامج التغذية:

قدّم الإسلام برامج كثيرة تعني بالصحة بشكل عام سواء للفرد أو المجتمع، وأرسى أسساً تنظم المعادلة الغذائية التي على أساسها يتمكن جسم الإنسان من النمو بشكل صحيح بعيداً عن كل أشكال الأسقام التي تشلّ حركته وتمنعه من مواجهة الحياة فتؤدي به إلى الموت والفناء.

ومن الأسس المهمة التي كان بها الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته سبّاقون في ميادين العلم والمعرفة هو تعليمهم الناس ميزان التغذية الصحيحة في منهج حقٍّ لا يعتريه الخطأ، بل وأثبتته تجارب العلوم الحديثة بعد تفحّص مدلولاتها في المختبرات العمليّة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع»(٢٣) وهذا هو الأساس الذي بني عليه علم الصحة والغذاء. وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال لولده الحسن عليه السلام: «يابُنَيَّ ألا أعلّمك أربع خصال تستغني بها عن الطب؟! فقال: بلى يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: لا تجلس على الطعام إلاّ

(٢٢) من علم الطب القرآني: ٢١١ ـ ٢١٣.

(٢٣) طب المعصومين عليهم السلام: ٣٠.

وأنت جائع، ولا تقم عن الطعام إلاّ وأنت تشتهيه، وجوّد المضغ، وإذا نمت فأعرض نفسك على الخلاء، فإذا استعملت هذا استغنيت عن الطب»[٢٤].

نعم.. هي كلمات أربع ولكنها برنامج متكامل وأسس متينة تحوي في عمقها الكثير من الأنظمة العلمية والطبية والغذائية التي لو اتّبعها الإنسان وسار على نهجها فلا يغزوه مرض ولا تعتريه وعكة، ولا تُفسد حبه لنعم الله تعالى وإقباله عليها أسقام الإسراف الناتجة عن الأكل والشرب بصورة غير مدروسة وغير خاضعة لميزان الاعتدال الغذائي الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام.

ولقد أحببنا في هذا الموضوع أن نذكر ممّا قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام والتي هي بحق أقوال يجب أن تدرس وتسبر أغوارها بشكل يفيد البشرية لما يطيل أعمارهم ويكفيهم الأمراض الناتجة عن الكثير من السموم والبكتريا والطفيليات. فقد ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وأعط كل بدن ما عوّدته»[٢٥] وقد حكي أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان؟! فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله: ﴿ *وكلوا واشربوا ولا تسرفوا* ﴾[٢٦] وجمع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الطب في قوله: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء، وأعط كل بدن ما عوّدته» فقال الطبيب: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً[٢٧].

---

(٢٤) الخصال: ١/٢٢٩.

(٢٥) غوالي اللئالي: ٢/٣٠.

(٢٦) سورة الأعراف: ٣١.

(٢٧) مجمع البيان: ٣/٤١٣.

وما هذا إلاّ دليل لما يدخل جوف المعدة بدون اهتمامٍ عن كثرة أو قلة الطعام أو نوعيته وطبيعته الغذائية، فلأنواع الغذاء وطبائعها أهمية كبيرة في علاج الأسقام بأنواعها، وهنالك تفصيلات ارتأينا أن نذكر البعض منها للفائدة ولبيان أهمية وعمق ما حمله لنا الرسول الكريمﷺ وأهل بيته﵈ في زمنٍ يعوز الطب ما عليه اليوم من إمكانات التجربة العمليّة، ممّا يدل على أنها علوم مستوحاة من روح الشريعة الإلهية، أثبتت العلوم الحديثة صحة جزء منها عن طريق التجربة والبرهان، ولا زالت تُخضع الجزء الآخر لتجاربها.

أنواع من الغذاء وطبائعها:

قد ذكرنا في هذا الموضوع الشيء الكثير عن أنواع الأغذية من لحومٍ وخضروات وفواكه وبقوليات وغيرها، وطرق تحضيرها وصناعتها، والتي مرّ ذكرها في "كتاب الغذاء" من هذه الموسوعة، وللفائدة نعود فنذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر.

نذكر هنا جزءاً من المواد الغذائية ذات الفائدة الكبيرة لجسم الإنسان ونموه، كما أنها توصف كأدوية لعلاج الكثير من الأمراض، مشفوعة بأحاديث السنّة الشريفة عن الرسولﷺ وأهل بيته الأطهار﵈.

العسل:

قال رسول اللهﷺ: نعمَ الشراب العسل، يرعى القلب ويُذهب برد الصدر»[٢٨].

---

(٢٨) بحار الأنوار: ٦٣/٢٩٠.

وقال: «العسل شفاء يطرح الريح والحمى».

كما قال أمير المؤمنين: «لعق العسل شفاءٌ من كلّ داء»[٢٩].

وعن الإمام الصادق قال: «ما استشفى الناس بمثل لعق العسل»[٣٠].

هذا ما قاله أهل البيت، فلنرى ما ذكرته التجارب العلمية عن طبيعة وكيفية العسل.

يعتبر العسل غذاء ذا قدر كبير من الطاقة الحرورية، ففي كل ١٠٠غ من العسل توجد أكثر من ٣٠٠٠ حريرة، والكيلو الواحد من العسل يعادل خمس ليترات من الحليب، وهو يعادل ٢٦ موزة، ٦٠ برتقالة، ٥٠ بيضة، أو "١١,٧٥٠" كغم من لحم البقر.

يحتوي العسل على سكريات الغلوكوز والسكاروز والدكستروز والفروكتوز، حيث تعتبر جميع هذه السكريات من النوع الذي يتم تمثيله مباشرةً من قبل جسم الإنسان، إذن فهو غذاء يعطي الجسم الطاقة وهو مغذٍ جيد، وقد وصفه الأطباء بقولهم: «العسل غذاء حي معطّر، مليء بالخمائر والأملاح المعدنية» وهذه الخمائر تساعد على زيادة قابليته للهضم، أما الأملاح: فهو يحتوي على الحديد الذي يساعد على تشكّل هيموغلوبين الدم فهو يقاوم فقر الدم، وكذا الفوسفور الذي ينشط خلايا الدماغ، إضافة إلى حامض (الأسيد فورميك) الذي يمنحه مزايا مطهرة.

أما الفيتامينات: فهو يحتوي على فيتامين A ,B ,C فهو غذاء حقيقي متكامل يساعد الجسم على النمو ويعطي العضلات القوة، فهو يعطى لكافة الأعمار ولجميع الأشخاص الذين يتمتعون بصحة طبيعية، كذا يعتبر علاجاً

---

(٢٩) بحار الأنوار: ١٠/١٠١.

(٣٠) بحار الأنوار: ٦٣/٢٩٠.

ناجعاً للمصابين بفقر الدم، والأمراض الجلدية، ولمن يعانون صعوبة في الهضم أيضاً لما فيه من أحماض عضوية تعطيه نكهة معينة تساعد على إفراز الغدد اللعابية، كما أنه يساعد على إخراج القشع من الفم لأنه يحرض على إفراز اللعاب بغزارة.

وقد أظهرت التجارب العلمية أنه ذا فائدة كبيرة للمصابين بالكساح خاصة الأطفال الذين ينمون بشكل سيئ، وتناول كأس من الحليب الفاتر مع العسل يساعد على إزالة البحة(٣١).

البصل:

يعتبر البصل من المواد الغذائية المهمّة رغم أنّه عسير الهضم وصعب التمثيل خاصة من قِبل المصابين بعسر الهضم، ورغم هذا فقد وصف البصل كعلاج للكثير من الأمراض، وكما قال الإمام الصادقعليه السلام:«إذا دخلتم بلاداً كلوا من بصلها يطرد عنكم وباءها» وقالعليه السلام: « فإنّه يجلي البصر، وينقي الشعر، ويزيد في ماء الصلب، ويزيد في الخُطا ويذهب بالحمّى، وهو السواد في الوجه والإعياء أيضاً»(٣٢).

وعن الإمام الصادقعليه السلام قال: «كلوا البصل فإن فيه ثلاث خصال: يطيب النكهة، ويشد اللثة، ويزيد في الماء والجماع»(٣٣) وعنه عليه السلام أيضاً قال: «البصل يطيب الفم ويشد الظهر، ويرق البشرة»(٣٤).

---

(٣١) قاموس الأغذية: ١٧٦.

(٣٢) بحار الأنوار: ٢٤٦/٦٣.

(٣٣) بحار الأنوار: ٢٤٨/٦٣.

(٣٤) قاموس الأغذية: ٢٤.

فالبصل يعتبر ضمن قائمة الأغذية المقوّية التي كانت توزع على العمال لتمنحهم الجلد على العمل، وقد عرف منذ أقدم العصور.

يستخدم عادة كتابل تبعاً لطعمه المتميز المأخوذ من خواصه الكبريتية خاصة احتواؤه على سلفات الآليل، وهي المادة المهيجة السريعة التطاير والتي تكون سبباً في تهيج العيون خاصة أثناء تقشيره، وكما تساعد هذه المادة على إفراز الغدد الدمعية فهي أيضاً تساعد على تحريض إفراز الكلى للبول فيعتبر البصل مدراً هاماً عند تناوله نيئاً، لأنه بعد الطهي يفقد الكثير من خصائصه.

للبصل تأثير جيد في حال كونه نيئاً على الجلد والشعر بسبب ما يحتويه من كبريت، وكذلك على الكلى والمثانة وهو علاج جيد للبروستات أيضاً، وعند أخذ بصلة صغيرة قبل الفطور فإنها تساعد على تنقية وتطهير الجهاز الهضمي، كما يساعد أيضاً على التئام الجروح بفضل ما به من كبريت، أما إذا كان البصل مطبوخاً فمن فوائده اعتباره مليناً للأمعاء، إضافة إلى الكثير من المزايا والخصائص التي يتمتع بها هذا النوع من الغذاء(٣٥).

الفجل:

هذا النوع من الغذاء أيضاً يعتبر من المواد الغنية بالمواصفات التي تعين الإنسان على التخلص من الكثير من الأمراض، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «الفجل أصله يقطع البلغم، ولبّه يهضم الطعام، وورقه يحدر البول» وعنه عليه السلام أيضاً قال: «أصول الفجل تقطع البلغم»(٣٦).

---

(٣٥) قاموس الأغذية: ٢٤.

(٣٦) بحار الأنوار: ٦٣/٢٣٠

فمن ناحية قيمته الغذائية فهو يحتوي على الفيتامينات والكبريت والحديد، وأثبت بعض الأطباء أنه يساعد على حل الحصى المتوضعة في الحويصل الصفراوي، ويوقف البصاق المترافق مع الدم، وقد تكون العصارة المستخرجة منه جيدة لإيقاف السعال. يستعمل الفجل كعلاج للمصابين بالبدانة، وللمصابين بالتهاب الكبد والصفراء والكلية، ولكونه مدراً للبول فهو علاج للروماتيزم أيضاً[٣٧].

ومن هنا استعرضنا بعضاً من المواد الغذائية المهمة كأمثلة تطبيقية لما جاء في السنّة النبوية والعلم الحديث، ولا ننسى أن هنالك الكثير من المواد الأخرى التي لا تقل أهمية ولكن لا يسع المجال لذكرها من أمثال الرطب وما قيل فيه لأهميته العظمى خاصة للحامل المقرب حيث قال تعالى: ﴿ *وهُزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رُطَباً جنياً* ﴾[٣٨].

و في حديث للرسول ﷺ قال: «لا تأكل نفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاماً إلاّ كان حليماً، وإن كانت جارية كانت حليمة»[٣٩] ووصفه الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «إذا ولدت امرأة فليكن أول ما تأكل الرطب والتمر فإنه لو كان شيء أفضل منه أطعمه الله مريم حين ولدت عيسى» وكذا بالنسبة لبقية المواد الغذائية كالبيض والسفرجل، والهندباء، واللبان والملح وغيرها كثير.

الغذاء والحكمة من الصوم:

يعتبر الصوم من الأساليب الوقائية الجيدة من أمراض عدم التوازن الغذائي، كالأمراض الناجمة عن الإفراط والتفريط الغذائي، ولا يخلو الأمر

---

(٣٧) قاموس الأغذية: ١٩٨.

(٣٨) سورة مريم: ٢٥.

(٣٩) بحار الأنوار: ٦٣/١٣٥.

الإلهي بالصوم من حكمة في صالح الإنسان واستقراره وضمان صحته، وكما قال تعالى: ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٤٠]. ولابد لنا من أن نستعرض فائدة الصوم التي تنعكس آثارها في أجسادنا وأنفسنا بما نلمسه وندرك أبعاده وأهدافه بالمقاييس العلمية التي تثبتها التجارب الحديثة.

والثابت تاريخياً وعلمياً ودينياً أن الصوم ضرورة من ضرورات الحياة، لما له من فوائد نفسية واجتماعية وجسدية، حيث كانت الأمم السابقة تلتزم بالصوم وكما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٤١]، فقد كان الصينيون واليونانيون والمصريون القدماء يصومون خاصة عندما يتعرّضون لخطر من الأخطار أو وباء من الأوبئة الفتاكة.

قال العالم الشهير (اليكسيس كارل): «إن كثرة الطعام، وانتظامه، ووفرته، تعطل وظيفة أدت دوراً عظيماً في بقاء الأجناس البشرية، وهي وظيفة التكيّف على قلّة الطعام، ولذلك كان الناس يلتزمون الصوم في بعض الأوقات » كما ذكر في دائرة المعارف البريطانية: «إن أكثر الأديان، دانيها وعاليها، قد فرضت الصيام وأوجبته، فهو يلازم النفوس حتى في غير أوقات الشعائر الدينية، يقوم به بعض الأفراد استجابة للطبيعة البشرية في بعض مظاهرها»[٤٢] أما ما نلاحظه في الإسلام فقد حثّ على الاستمرار في الصوم استحباباً في غير شهر رمضان، فخصص أيام الاثنين والخميس مثلاً والأيام الست الأولى من شوال واليوم الأول والأوسط والأخير من كل شهر،

---

(٤٠) سورة البقرة: ١٨٤.

(٤١) سورة البقرة: ١٨٣.

(٤٢) الصوم والصحّة: ١٠.

وغيرها كثير مما يعلّم الإنسان على طريقة سهلة وذات فائدة عظيمة في طبيعة ترويضه على تحمل الصعاب وطرد كل مسببات المرض والوباء، مع العلم أن الصوم لم يكن تعذيباً جسدياً أو نفسياً أو حرماناً مقصوداً لزينة الحياة بقدر ما هو صحة وتربية وطاعة وتدريب على الرياضة الحيوية والالتزام الذي هو أساس كل تقدم حضاري، قال رسول الله ﷺ: «صوموا تصحّوا»(٤٣).

ولو استطلعنا ما يحدث في جسد الإنسان عند صومه وامتناعه عن تناول الطعام والشراب، نجد أن الصائم في البداية يشعر بالجوع نتيجة خلوّ المعدة من الطعام فتنخفض لديه نسبة السكر في الدم، وقد يعقب ذلك شعور بالضعف خاصة مع ممارسة الصائم لوظائفه وبذله جهداً أكبر من العادة، إضافة إلى حدوث الكثير من الأمور الخفية التي لا يمكن رؤيتها بالعين، فمثلاً زيادة الكمية المخزونة من السكر عند الطوارئ في الكبد قد تكون لها آثاراً غير صحية وعند الصوم يبدأ هذا السكر بالتحرك، فينتقل إلى الدم والأنسجة للاستفادة منه وتعويض المفقود، كذا تتحرك الدهون المخزونة تحت الجلد أو في الأماكن الأخرى فيتخلص الجسم من السمنة الزائدة، وهكذا بالنسبة لبعض مواد العضلات والغدد والبروتينات تتحرك جميعها لحفظ توازن الجسم لما يعتريه من نقص غذائي وطاقة فيحافظ على سلامة الجهاز العصبي والقلب خاصة حيث يقل النبض الطبيعي إلى ستين نبضة في الدقيقة وفي هذا راحة للقلب وتخفيف من العبء عليه. وهنا تكمن الفائدة من حديث الرسول ﷺ: «صوموا تصحّوا».

هذه الصحة الناشئة بسبب الصوم كثيراً ما فسّرته التجارب الحديثة، وصرّح به الكثير من علماء الاختصاص، فقد قال بعضهم: «إنّ الصوم

---

(٤٣) بحار الأنوار: ٩٣/٢٥٥.

يستعمل طبيّاً في حالات كثيرة، ووقائياً في حالات أكثر، فللعلاج يستعمل في اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر، ويستعمل عند زيادة الوزن الناشئة عن كثرة الغذاء، وكذلك في ارتفاع ضغط الدم».

وقال البعض الآخر:« لقد كان معظم العلاجات قديماً، وحتى حديثاً تتبع النظام الصحي في الغذاء، والإبتعاد عن الطعام والشراب لفترات محدودة ومنظمة لراحة الجهاز الهضمي، وضمان قدرته عندما يستأنف عمله، وعملية الصوم هي عملية تنظيم لفترات تناول الطعام، ويشمل التنظيم إعداد الجهاز الهضمي لتقبل الغذاء في فترتين محدودتين من فترات اليوم، وفي هذا تنظيم له، وأضاف: «إنّ علاقة التغذية بالأمراض الجلدية علاقة متينة، فالامتناع عن الطعام والشراب مدة ما، يقلل من الماء في الجسم والدم، وهذا بدوره يدعو إلى قلته في الجلد، وحينئذٍ تزداد مقاومة الجلد للأمراض الجلدية المؤذية والميكروبية»[٤٤].

وقد أكد آخرون انخفاض ضغط الدم المرتفع في كثير من الحالات أثناء فترة الصيام، حيث أن امتناع الصائم عن الطعام لفترة طويلة يقلل من استهلاك الملح، ويخفض الوزن لقلة الطعام وهذه الحالة تساعد على خفض ضغط الدم، حيث يكفي الطبيب في علاج هذه الحالات بإنقاص الوزن وانخفاض كمية الملح في الطعام، ومما أكد ذلك أيضاً تنبيه منظمة الصحة العالمية إلى تلك الحقيقة المهمة وجعلها على رأس إرشاداتها الموجهة إلى البشر في كل بقاع الأرض إذ قالت: «راقب وزنك، أحذر الملح الزائد».

إضافة إلى ذلك كله؛ لا شك أن الصائم يعيش في ظل مبادئ وأجواء روحية مريحة ومشبعة بالثقة والإيمان، والتزام الصائم بالامتناع عن الطعام

---

(٤٤) الصوم والصحّة: ٣٩.

والشراب وشهوات الجسد يقوّي عنده الإرادة والثقة بالنفس حيث تمتلئ نفسه باليقين والرضى، فتذهب عن نفسه الوساوس والهواجس والأوهام فيقترب إلى الله أكثر ويتشبث به بعبادته وصلاته، فيصل إلى حالة من الاستقرار والسكينة والأمان، فتقل عنده الشكوى وتختفي عنده الكثير من الأعراض والأمراض، فيشعر بشيء من الصحة والقوة والنشاط لمتابعة حياته بطريقة أفضل وأكثر عطاءً، علماً أن الكثير من الأمراض هي أمراض نفسية تتبع حالة الشخص وطبيعة تعامله مع ما حوله من الظروف العامة والخاصة.

وبهذا ننهي بحثنا، ونسأله تعالىٰ العفو والغفران عن كلّ هفوةٍ أو سهوٍ، ونستميح القارىء الكريم العذر عن التقصير الغير مقصود، والحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة والوحي مُدُنُ العلم وسفن النجاة محمّد المصطفىٰ وآله الأطهار.

المصادر

(١) القرآن الكريم.

(٢) تفسير الميزان: الطباطبائي.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي، دار إحياء التراث ـ بيروت.

(٤) تفسير العياشي: العياشي.

(٥) شرح نهج البلاغة: الدكتور صبحي الصالح .

(٦) بحار الأنوار: المجلسي، الأجزاء ٥٧، ٥٨.

(٧) الحمول الولادات عالية الخطورة: د. محمد معربي و د. صلاح شيخة، دار الرازي ١٩٩٧م.

(٨) الجامع في أمراض النساء: نوفاك، دار الرازي ـ دمشق.

(٩) علم الجنين الطبي: محي الدين طالو، إبراهيم خزعل.

(١٠) الإعجاز الطبي في القرآن: السيد الجميلي، دار الهلال ـ بيروت.

(١١) الوراثة وأمراض الإنسان: أ.د.محمد خليل يوسف، منشأة المعارف ١٩٩٤م.

(١٢) خوارق الإدراك لما وراء الحس: كريم الشيخ إسماعيل ـ بغداد ١٩٧٤م.

(١٣) الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجيا والقرآن: د. وليد عبد الله رزيق، مؤسسة النوري ١٩٩٥م.

(١٤) الحاسة السادسة والطاقة النفسية: سليمان النجار، دار النهار ١٩٨١م.
(١٥) الحاسة السادسة (دراسة في الظواهر الخارقة): طالب عمران، دار المعرفة ١٩٩٠م.
(١٦) عجائب الحاسة السادسة: محمد بشار البيطار، دار الرشيد ١٩٨٥م.
(١٧) الحاسة السادسة والقدرات الخارقة الكامنة: جيني راندلز.
(١٨) المدخل إلى الأمراض الجلدية: عبد الكريم شحادة.
(١٩) من علم الطب القرآني: د. عدنان الشريف، دار العلم للملايين - ط١/١٩٩٠م.
(٢٠) الوراثة وتاريخ الحياة: دانييل بريفولت، ترجمة: محمد وائل - دمشق ١٩٨٤م.
(٢١) الوراثة والجنس: عبد الحليم منتصر، دار المعارف ١٩٤٩م.
(٢٢) الوراثة والطبيعة البشرية: تيودوسيوس دوبزنسكي، ترجمة: إحسان سركيس - دمشق ١٩٨١م.
(٢٣) الوراثة والبيئة: علي عبد الواحد عرافي، دار النهضة - مصر ١٩٧٠م.
(٢٤) الإنتاج والعلاج: عبد السلام محمد، منشأة المعارف ١٩٩٤م.
(٢٥) طب المعصومين: لبيب بيضون.
(٢٦) طب الأئمة: عبد الله بن سابور والحسين بن بسطام، دار الكتاب - بيروت.

(٢٧) طب الأئمةعليهم السلام: عبد الله شبر ـ دار الإعتصام.
(٢٨) قاموس الأغذية: ترجمة: روز مخلوف، دار النمير ـ دمشق ١٩٩٣م.
(٢٩) تهافت نظرية دارون: أورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٩٧م.
(٣٠) الصوم والصحة: نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٠م.
(٣١) طب النبيصلى الله عليه وآله: أبو العباس جعفر المستغفري، مؤسسة أهل البيت ـ بيروت ١٩٩٠م.
(٣٢) مع الطب في القرآن الكريم: د. عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ١٩٨٤م.
(٣٣) الجامع في التوليد: وليامز، دار الرازي ـ دمشق ١٩٩٤م.
(٣٤) علم الحياة الحيوانية: نجاح بيرقدار ـ دمشق ١٩٨٢م.
(٣٥) مبادئ علم الوراثة: د.أحمد مصطفى عثمان ـ الرياض ١٩٨٤م.
(٣٦) الفتاة العصريّة إلى أين: الشيخ اسماعيل البغدادي ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٧٢.
(٣٧) المرأة المعاصرة: عبد الرسول عبد الحسن العفار ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٤.
(٣٨) المرأة والاسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها: المحامي عبد الهادي عباس ـ الطبعة الاولى ـ ١٩٨٧.

(٣٩) المرأة في عالمي العرب والاسلام: عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة - ١٩٧٨.

(٤٠) كتاب العائلة: السيد محمد الحسيني الشيرازي.

(٤١) المرأة في التشريع الاسلامي: السيد محمد الحسيني الشيرازي.

(٤٢) أساسيات الطب الباطني (سيسل) - الطبعة الثانية - ١٩٩٥.

المحتويات

الباب الأوّل

أطوار التخلق الإنساني

الفصل الأوّل

الفصل الثاني

نظرة عامّة في الحمل البشري

الفصل الثالث

الحمل والولادة

الفصل الرابع

النجاح والفشل التناسلي

الفصل الخامس

العلاقة الجنسية بين الشريعة والطب

الباب الثاني

ما به قوام بدن الإنسان وتشريح أعضاءه

الفصل الأول

أعضاء الإنسان

الفصل الثاني

الحواس الخمس

الفصل الثالث

الحاسة السادسة

الفصل الرابع

الروح

الباب الثالث

الصحة العامة في القرآن الكريم